



الشعر الجاهلي

خصائصه وفنونه

الدكتور يحيى الجبور

الاستاذ بجامعة بغداد وجامعة قطر

مؤسسة الرسالة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الخامسة
١٩٨٦م - ١٤٠٧هـ

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية حمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ بوشريان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَدَمَّةُ الطَّبَعَةِ الثَّانِيَةِ

لقد لقي هذا الكتاب منذ صدر سنة ١٩٧٢م من ترحيب الباحثين واهتمام الدارسين ما جعله موضع عنايتهم ومرجع دراستهم ، وقد نفذت طبعته الأولى منذ سنوات ، ولم يتح لي أن أعيد النظر فيه ، فإني من الذين لا يرغبون التبديل والتغيير في شيء كتبوه ، إلا إذا جد جديد ، ولم أجد بعد هذه السنوات أمراً هاماً يستحق التغيير ، إلا أنني رأيت أن أضيف فصلاً عن الحياة الجاهلية تكون بين يدي الكتاب لتوضح طبيعة الحياة التي عاشها الشعر ، وظروف البيئة التي احتوت هذا الشعر وأنضجته ، ولعل في هذا الفصل ما يعين على فهم الشعر وتفسير ظواهره .

وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا دائماً إلى ما فيه الخير ويلهمنا الرشاد والسداد لنكون جنوداً في خدمة أمتنا ولغتنا وتراثنا الأصيل .

يحيى الجبور

استاذ بجامعة قطر

الدوحة

٤ رجب ١٣٩٩ هـ

٣٠ مايو (أيار) ١٩٧٩ م

الباب للهو

الجاهلية

مفترقة في الحياة العربية للرسالة الأولى إلى أهل

مقدمة السبب للدور

هذا السبب في حقيقته مقدمة لسبب بعده في أدب العصر الجاهلي واتجاهاته ، وقد حاولت ان اقدم لأدب الجاهلية بدراسة موجزة بعض الايجاز عن حياة العصر ، تلقى الضوء على أهم الجوانب التي تعين على فهم الادب وتوضح قضاياها وتفسر ظواهره . وحين مضيت في بحث هذه الجوانب ، وجدت ان الموضوعات التي علي ان اطرقها أو أرى ضرورة في بحثها قد كثرت وبرزت أهمية توكيدها وتوضيحها .

وقد توخرت أثناء البحث مادة غزيرة وصفحات طوال ، فأجريت القلم فيها حذفاً وتشذيباً واختصاراً ، فبقى بين يدي ما لا بد من بقائه ، اذ يتعذر الاستغناء عنه والتلاعب به ، فان في ذلك ثلماً للفكرة الاساسية وجوراً على الموضوع الذي اريد .

وقد وجدت ان هذه الفصول التي تراها بين يديك قد اكتملت وتحددت وجمعتها وحدة فكرية وموضوعية ، وان ضمها الى دراسة اخرى سيخرجها عن وحدتها ويحملها ما لا تطيق . فكان - لكل ذلك - ان افردت هذه الدراسة في كتاب مستقل مستكمل الجوانب واضح المنهج .

ولاشك ان دراسة العصر الجاهلي على اهميتها ، تحف بها كثير

من المشكلات ، ولذلك فلا بد للباحث ان يكون حذراً من اطلاق الاحكام والفرضيات بالنسبة لطبيعة الحياة وظروف العصر ، وليس من شأن هذا البحث ان يفيض في دراسة العصر ، فان في ذلك سعة لمن يريد ان يفرغ للعصر الجاهلي فيدرس تاريخه ولغته وأحواله العامة ، وذلك أمر يخرج بي عن طبيعة المنهج الذي رسمت ، وإنما هي هنا أن أدرس العصر بالقدر الذي يعين على فهم الشعر الجاهلي وحياة الشعراء . ويبين ثراعاتهم ويفسر كثيراً من المثل والتقاليد التي يتردد صداها - وما زال - في الشعر العربي .

ولعل من أصعب الامور وأشدّها عسراً أن يحاول المرء رسم صورة للعصر صادقة وواضحة وموجزة في آن واحد ، وهذا ما حاولت ان افعله في هذه الفصول .

لقد نظرت في قضايا الجاهلية فوجدت ان لي رأياً في كثير منها قد يخالف ما تعارف الناس عليه ، وقد كان في نفسي شيء من بعض القضايا التي يظنها الناس اموراً بديهية مسلماً بها ، فأردت ان اعرف وجه الحق اولاً ، وأثبت ما هدا في اليه البحث ثانياً ، وأبين ما ارتضيت من آراء . كونتها الدراسة الفاحصة المحصنة ثالثاً . وقد دلت على وجهة نظري بكثير من الادلة والشواهد ، معتمداً في ذلك على مصادر بحث اصيلة متقدمة .

وقد بنيت هذه الدراسة على خمسة فصول متكاملة مترابطة ، ففي فصل عرب الجاهلية وقفت عند مفهوم الجاهلية وحددت معناها وناقشت الآراء في تسميتها ودلالاتها وأوضحت الرأي الذي ارتبته . وكذلك وقفت عند اهل تلك الجاهلية وميزت بين عرب الحاضرة

وأعراب البادية وبينت الفارق بينها وصلة هؤلاء. باولئك ، و كيف
نظر الاسلام والمسلمون الى العرب والاعراب ، حتى اذا اطمان البحث
الى تحديد المفهوم وإزالة اللبس ودفع الوهم ، مضيت في دراسة العصر
الجاهلي وكان أول ما يجب معرفته ان اتعرف على القبائل العربية
واثبت مواضعها واعرف تحركاتها وأبيّن علاقاتها وصلاتها وما يترتب
على هذه الصلات من تحالف و حروب وهجرات واسفار ،
وكذلك علاقة هذه القبائل بالامارات العربية التي قامت في العراق
والشام ودومة الجندل ، وقد وقفت قليلا عند هذه الامارات وبينت
طبيعة تكوينها وأثرها في حياة الجزيرة وحياة أبنائها اهل المدر منهم
واهل الوبر ، لما كان بينهم وبين ملوك هذه الدول من صلات ودية
حيناً وحربية في اكثر الاحايين .

ونظرت في حياة العرب الاجتماعية فتعرفت على طبيعة حياتهم
وعيشهم ، ونصيبتهم من الحضارة ، وقد ازحت الصورة الخاطئة التي
تصور العرب في البادية جفاة متبدين اصحاب رحلة ونقلة ، واوضحت
ان لكل قبيلة منازل في الصيف ومنازل في الشتاء. فاذا تنقلت في
الصحراء فانها تنتقل ضمن رقعة محددة مبيّنة ، وبينت ان البادية لم
تكن منقطعة عن الحاضرة ، بل متصلة بها تأخذ منها وتعطيها ، فبينما
صلات وثيقة وتبادل وزواج ، وكثير من القبائل لها بادية وحاضرة .
واذا امعنا النظر في طبيعة المجتمع العربي نجد ثمة صلات تجمع بين
القبائل وتؤلف قلوبهم على مثل عليا يحترمونها ويحلونها ، ويستوى
في ذلك السادة منهم والعبيد ، البدو والحضر ، وجماع تلك المثل :
الكرم والشجاعة والمروءة وحماية الجار والوفاء ، والحلم والتسامح .

ونظرت في معاش القوم فوجدتهم يختلفون في ارزاقهم سواء في الحاضرة ام في البادية ، فمنهم الغنى الميسور ومنهم الفقير المدقع ، وكانت طبيعة حياتهم قد حددت معاشهم وبرز مواردهم في البادية الغارة والصيد والاعتماد على ما تدره حيواناتهم ، اما في الحاضرة فقد نشطت التجارة وقامت الزراعة والصناعة ، ولكل ذلك مواضع معينة واناس معروفون . وكان لمكة النصيب الاكبر من التجارة ، كما كان لرجلها اليد الطولى في تنشيط التجارة وتوسيع رقعتها .

اما الناحية الحضارية والعقلية من حياة العرب فقد حاولت اولا ان افند المزاعم الباطلة حول العصر الجاهلي ووصف اهله بالتأخر والبدائية والانعزال ، وحاولت ان اجلو الغشاوة المفتعلة عن الصورة الاصلية لحياة العرب ، فهم اولو حضارة عريقة وصلات بالعالم المجاور ، وقد ساعد ذلك اتصالهم بجيرانهم من الامم التي تتجر وايها او تحضر اسواقها . فكان هنالك تبادل ثقافي بين العرب والفرس وبينهم وبين الروم والحبس والهنود وغيرهم من الامم . وقد ساعد ذلك الاسواق والتجارة وكثرة الاسفار التي يقوم بها تجار العرب ، ثم وجود الجاليات الاجنبية في قلب البلاد العربية .

وظهرت عند العرب جملة علوم كان اهمها معرفتهم بالنجوم ومواقعها وانوائها ، والرياح ومهابها ، وقد غنيت اللغة العربية باسماء المطر والسحاب والرياح ، وألّفوا كتباً كثيرة في ذلك . كما برعوا بالطب والبيطرة ، وان خالطت الخرافة بعض علومهم ، وكان لهم بصر بالفراسة والقيافة ، ولهم علم واسع بالتاريخ والاخبار والايام منذ اقدم الازمنة اما الانساب فقد برعوا بمعرفتها وضبطها ، فعرفوا

اصول كل قبيلة وفروعها واخبارها وايامها وأولوا ذلك عناية فائقة .
وقد ظهرت لديهم الحكم والامثال التي يصح ان نستدل بها على رقى
عقليتهم ونضج تجاربهم ونظرتهم الصائبة الى الحياة .

ووقفت عند الحياة الدينية لعرب الجاهلية ، وناقشت مفهوم
الشرك الذي يطلق على اهل ذلك العصر ، وتوصلت الى ان الشرك يفهم
من تقليد معبودات مع الله سبحانه على انها وسائط يتخذونها لتشفع
لهم عند ربهم ، لا على انها شريكة في ملك الله او انها خالقة مدبرة .
وان العرب كانوا على دين ابراهيم دين التوحيد ، وهم بعد يؤمنون
بالله الواحد القادر الخالق الرازق الذي بيده امر كل شي . . وقد
دخلت الاصنام في حياتهم في عصر متأخر ، وبيئت سبب دخولها
وكيفيته . ونظرت في مدى تمسك العرب بدينهم فوجدت ان الاعراب
اقل احتفالا بالدين واهتماما بالاصنام من العرب المتحضرين .

وقد تبينت لدينا ديانات في الجزيرة كانت تنافس الوثنية الدين
العام للعرب ، منها الحنيفية دين ابراهيم ، وقد شهدت المدن بخاصة
مجموعة من هؤلاء . الاحناف ، الذين كانوا يترقبون الدين الجديد ويسرون
به . وهناك ديانتان اخريان موحدتان كان تأثيرهما محدودا ضيقا ،
هما : اليهودية والنصرانية اللتان لم تستطعا ان تدحرا الوثنية او تقللا
من شأنها . وكان الى جانب ذلك كله ديانات جاءت من الامم المجاورة ،
مثل المجوسية والدهرية وعبادة النجوم والكواكب وغيرها .

وبعد :

فارجو ان اكون قد قدمت في هذا البحث بعض ما اصبوا اليه

من خدمة العربية وتراثها ، فلها علي يد لاتجحد وفي قلبي لها حب لا
يفنى ، وقد نشدت وجه الحق في كل سطر كتبه ، وكل رأى ارتأيته ،
وقد وزعنى اليقين الصادق عن الحماس الضال الكاذب ، فان اصبت
فذلك حسبي ، وان اخطأت فما انا الا امرؤ ضعيف يصيب قليلا
ويخطئ . كثيرا ، وسبحان من له الكمال وحده ، فنه السداد وبه
التوفيق .

والحمد لله اولا و آخرا

حسي الجبوري

تمهيد

بلاد العرب

جزيرة العرب او شبه جزيرة العرب ، اكبر شبه جزيرة في العالم، تقدر مساحتها بثلاثة ملايين كيلو متر مربع وكانت في الازمنة الغابرة الموغلة في القدم خصبة مزروعة عامرة بالسكان ، اذ تأتياها الرياح الغربية المشبعة بالغيوم والتي تمطر مرتفعات سورية وفلسطين، فتمطر الجزيرة ايضا مطرا غزيرا تجرى به السيول في الاودية الكثيرة، وقد بقيت الاودية العميقة في قلب الجزيرة وانحائها من آثار تلك السيول الجارفة والامطار الغزيرة التي هي سبب الحياة فيها .

ويتميز سطح الجزيرة بسهل منحدر من الغرب نحو الخليج العربي ومنخفضات ارض الرافدين وترتفع على هذه المهامه والبطاح الواسعة الشاسعة سلسلة جبال محاذية لساحل البحر الاحمر ، ترتفع ارتفاعا شاهقا اذ يبلغ في الشمال عند مدين تسعة آلاف قدم ، ويشمخ في الحجاز جبل السراة الذي يبلغ عشرة آلاف قدم وفي اليمن جنوبا اثني عشر الف قدم وتنحدر الارض انحدارا تدريجيا نحو الشرق ، وانحدارا فجائيا قصيرا نحو الغرب حيث البحر الاحمر .^(١)

(١) انظر الهدائي - صفة جزيرة العرب ص ٦٧ ط ليدن وقد افدنا في هذا الفصل من جملة مراجع حديثة اهمها : جزيرة العرب - حافظ وهبة وتاريخ العرب - =

وترتفع هضبة نجد في المنطقة الشمالية الوسطى حوالي ٢٥٠٠ قدم وفيها سلسلة جبال تعرف بجبال شمر ، واهم قممها جبل أجأ وهو من الغرانيت الاحمر ويبلغ ارتفاعه ٥٥٥٠ قدما فوق سطح البحر، وهناك جبال اخرى تمتد وراء السهول الساحلية من جهات الجزيرة الثلاث تتفاوت في الارتفاع اعلاها الجبل الاخضر الذي يبلغ ٩٩٠٠ قدم وهو الموضع الوحيد المرتفع من الناحية الشرقية اذ ان المنطقة الشرقية هي منطقة الانحدار .

اما بقية الارض غير الجبال والهضاب فانها في الغالب صحارى ودارات ، والدارات سهول رملية مستديرة بين التلال تستقر تحت سطحها المياه ، منها بادية الشام التي يعرف قسمها الجنوبي بالحماد ، وكذلك بادية العراق التي تعرف ببادية السماوة .

وتتميز الصحراء العربية بثلاثة انواع من الاراضي هي :

اولا : النفود :

وهي بادية متسعة تزيد رقعتهما على مائة الف كيلومتر مربع ذات رمال متموجة بيضاء، تضرب الى الحمرة تسفيها الرياح فتجعل منها كسابانا او تلالا تغطي الجزء الشمالي من الجزيرة بين نجد وبادية الشام وبين نجد والاحساء. وفي جنوب الجزيرة في الربع الخالي ، ويمكن تحديد النفود^(١) بوادي السرحان شمالا ، وجبلي أجأ وسلمى (جبل شمر) جنوبا وتقع واحة تيماء في الجنوب الغربي من صحراء النفود

= جواد علي الجزء الاول . وتاريخ العرب فيليب حتى وجرمي وبيور ١/١٥-٢٧ ومحاضرات في تاريخ العرب - صالح احمد الدي ١/١٣-١٥ وتاريخ الجاهلية - مرفوخ ص ٢٦-٣٦ .

(١) النفود او النفوذ بالذال المعجمة : التي يصعب اجتيازها والطريق النافذ هو الطريق السالك . انظر اللسان والقاموس : نفذ .

ومدينة حائل في الجنوب الشرقي ، وهي على العموم جافة الا في مناطق قليلة هي الواحات التي تصيبها الامطار احيانا فتنبت فيها المروج الخضر فيكثر خيرها وترعاها ابل البادية وانعامها .
ثانيا - الدهناء :

وهي ارض ذات رمل ناعم لا تصلح للنبات ولو سقطت عليها الامطار ، تحتل وسط الجزيرة على شكل قوس كبير يمتد من الشرق حتى الغرب ، وتنحصر الدهناء بين النفود شمالا والربع الخالي جنوبا ، والربع الخالي جزء من الدهناء منحصر بين عمان شرقا واليمن غربا ، وقد عرف الجانب الغربي من الدهناء باسم الاحقاف^(١) .

وتصيب الامطار هذه المنطقة في الشتاء ، فتنتشر فيها الخضرة وترعاها الماشية ، اما في الصيف فتقف الارض ويصيبها الجذب فلا تصلح للحياة . اما الربع الخالي فما زال مجهولا والمعلومات عنه قليلة ، وقد قام برترام توماس بمحاولة - سنة ١٩٣١ - لقطعه واجتيازه من البحر العربي نحو الخليج واستغرقت رحلته ثمانية وخمسين يوما ، ووصف رحلته هذه في كتابه (العربية السعيدة)^(٢) فذكر الرمال المفردة التي كان العرب يظنونها اصوات الجن ، واكتشف

(١) الحقف : الموج من الرمل او الرمل العظيم المستدير أو المستطيل المشرف . انظر اللسان والقاموس والتاج مادة (حقف) وهو منطقة الشعر قرب حضرموت اليمن ، وفي الاحقاف منازل عاد وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم وباسم (الاحقاف) سميت السورة قال تعالى : (واذكر اذا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف) سورة الاحقاف ٢١ وأخو عاد هو هود عليه السلام .

Bertram Thomas :

(٢)

Arabia Felix Across The Empty Quarter of
Arabia (New York 1932)

بحيرة من المياه المالحة عرفت فيما بعد انها من متفرعات خليج العرب
جنوبي قطر .

ثالثا - الحرار :

الحرار جمع حرة وتسمى اللوبة او اللابه ، ارض ذات حجارة
فخرة سود تتكون من الحجارة والمعادن المصهورة التي تسيل من
البراكين^(١) ، وتكثر الحرار في المناطق الغربية والوسطى من الجزيرة
وتتجه نحو الشمال حتى حوران الشرقية ، وفي معجم البلدان ذكر
لحرار كثيرة تبلغ الثلاثين واشهرها حرة المدينة التي نشبت فيها وقعة
الحرة المشهورة سنة ٦٣ هـ وتعرف بحرة النار قرب خيبر ، ويقال بل
حرة واقم التي تنسب اليها وقعة الحرة^(٢) . ومن الحرار المشهورة في
الجزيرة : الخدرية حرة لبني سليم ، وحرة واقم في المدينة وحرة ليلى
بديار قيس وحرة الحوض بين المدينة والعقيق وحرة شوران وغيرها^(٣)
وهناك حرار كثيرة منبثة في وسط الجزيرة وغربها تصعد الى الشمال
حينما وتهبط الى الجنوب في حين آخر ، ويقال ان البراكين التي قذفت
هذه الحمم والحجارة كانت تشور بين آونة واخرى فتقذف بنيرانها ،
وكان آخرها في الاسلام في عهد عمر سنة ١٩ هـ فأمر عمر بالصدقة
فتصدق الناس فانطفأت^(٤) .

هذه انواع الصحاري في بلاد العرب ، وفي وسط هذه الصحاري

(١) لسان العرب والقاموس المحيط (حرر)

(٢) ياقوت - معجم البلدان (حرر)

(٣) المصدر السابق ومعجم ما استمع - البكري ٢/٤٣٠-٤٣٨ والقاموس

واللسان (حرر)

(٤) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٢/٢٣٨ ط القاهرة ١٢٩٢ هـ

والدورات تنفسح هضبة نجد التي تتكون من طبقة من الحجارة الكلسية تتخللها بعض البقع الرملية^(١).

هذا التقسيم الذي شهدناه من حيث طبيعة الارض، اما التقسيم الذي اصطلح عليه الجغرافيون من حيث اثر البيئة الجغرافية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فانهم يقسمون بلاد العرب الى المناطق او الاقاليم الخمس التي هي :

١ - الحجاز :

وارضه جبلية خصبة كثيرة المياه، وبها وديان كثيرة اشهرها وادي القرى بين العلاء والمدينة. والقسم الشمالي من الحجاز يسمى ارض مدين وكانت تسكنها جذام^(٢) وارض حسمى وبها آثار لامم بادت ومن جبالها ارم الذي ورد ذكره في القرآن كما يرجح^(٣) وتكثر في الحجاز المواضع البركانية والحرات، وتنتشر فيه الآبار والعيون وبخاصة في القرى والمدن حيث يحدث الخصب والزرع، مثل يثرب او المدينة كما سميت حين دخلها الرسول الكريم، ووادي القرى شمالي يثرب، ومثل مدينة قرح التي كانت تقوم فيها سوق عظيمة في الجاهلية، وكذلك مدينة الحجر او مدائن صالح وقومه ثمود، وحول المدينة قرى ذات زرع سكن اكثرها اليهود مثل خير وفدك، وقد سكنت هذه المنطقة بعض القبائل العربية قبل الاسلام مثل عذرة وبللي وجهينة، اما قضاعه فكانت عشائرها منتشرة نحو الشمال حتى شبه جزيرة سيناء. ومن مدن الحجاز المهمة مكة ذات المركز

(١) تاريخ العرب فيليب حتي ١٩/١

(٢) اللسان (جذم)

(٣) ياقوت - معجم البلدان ٢٧٧/٣

التجاري والديني ، وفي جنوبي مكة الطائف وهي مصيف المكين منذ القديم وتبعد عن مكة حوالي خمسة وسبعين ميلا ، والطائف عند جبل غزوان وتحيط بها اودية وآبار كثيرة .

٢ - تهامة :

وهي المنطقة الساحلية الممتدة على البحر الاحمر او بحر (القلزم) ، وتسمى الغور او السافلة لانحدارها^(١) وتعرف في الجنوب بـ (تهامة اليمن) وهي ارض رملية شديدة الحرارة ، وفي تهامة بعض الشهور والمرافى . مثل الحديدية في اليمن ، وجدة وينبع في الحجاز ، وشمالى الحجاز ثغر صغير يعرف بالوجه ويقال انه ثغر مدينة الحجر المعروفة الآن بمداثن صالح ، وفي جنوبي الوجه قرية الجوراء . وتمتد جبال السراة شرقي تهامة من الشمال الى الجنوب فاصلة بينها وبين هضبة نجد ومؤلفة اقليم الحجاز .

٣ - اليمن :

وتشمل اليمن مدنا كثيرة منها حضرموت ومهرة والشحر وظفار وعمان ، وبهذا كان الجنوب كله يدعى اليمن ، وقد يخصص بالزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة وهي بلاد اليمن المعروفة الان ، ويعرف القسم الساحلي بتهامة اليمن ، تفصل بينها وبين هضبة اليمن جبال هي امتداد لسلسلة جبال السراة ، وفي اليمن كثير من الاودية والسهول والاراضي الخصبة التي تروىها الامطار الموسمية ، وبذلك عمّ فيها الخير وقامت حضارتها منذ القديم حتى جاء وصفها في القرآن الكريم : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال

(١) معجم البلدان ٤٣٧/٢ و ٣١١/٦

كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور^(١)، ومن أشهر أودية اليمن الحصبة تبالة، وبيشة المشهورة بالاسود والمنسوبة اليها فقالوا: (أسد بيشة). وتعرف المنطقة الشمالية من اليمن المجاورة للحجاز باسم عسير وفيها منازل جميلة في الجاهلية، ومن مدن اليمن المشهورة صنعاء، وعدن ونجران وظفار وزبيد.

٤ - العروض :

وهي صحار وسهول ساحلية وتشمل اليمامة^(٢) والبحرين وما والاها وقطر ومنطقة الاحساء، والقطيف وفيها كثير من العيون^(٣) وفي الجنوب الغربي من القطيف تقع (العفير) وهي ميناء صغير^(٤) وعلى مقربة منها تقع (الجرعاء) وهي مدينة تجارية قديمة وسدوس ومنفوحة ويظن ان موطن قبيلتي طسم وجديس البائدتين في هذه المنطقة، وتمتد البحرين من البصرة الى عمان وبها منازل قبيلة عبد القيس في الجاهلية، ومن اعمال عمان صحار ودبا وكانت تقام فيها سوق مشهورة في الجاهلية، وتشمل العروض منطقة الكويت الحاضرة وكانت تعرف بكازمة، ومن المدن القديمة هجر المشهورة بكثرة تمرها حتى قالوا في الامثال: (كجالب التمر الى هجر) اما الخط التي تنسب اليها الرماح الخطية فهي القطيف نفسها.

٥ - نجد :

تقع نجد وسط الجزيرة وتشمل وادي الرمة، وما حاذي الحجاز

-
- (١) سورة سبأ ١٥.
 - (٢) وقد عدما ياقوت في نجد كما سيأتي انظر معجم البلدان ٥١٦/٨.
 - (٣) جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة ص ٦٨ ط لجنة التأليف ١٩٤٦م
 - (٤) المصدر السابق ص ٧٢ - ٧٣

وتهامه من نجد يعرف بنجد العالية ، وما جاور العراق منها يعرف بنجد السافلة ، والمنطقة الشرقية منها عند اليمامة تعرف باسم الوشوم اما شماليها الى جبلي طى ، (أجأ وسلمى) فيعرف باسم القصيم وهو الرمل الذي يثبت فيه الغضا ، والغضا ضرب من الأثل واليه ينسب اهل نجد فيسمون اهل الغضا ، وتشمل نجد اليمامة عند ياقوت^(١) وتسمى بـ (جوء) ومر كزها حجر وهي موطن طسم وجديس ومن مدنها منفوحة وبها قبر الأعمى الشاعر، وسدوس وهي مدينة قديمة. وتنفسح ارض نجد من الشمال على بادية الشام التي تكثر فيها الاودية والوحدات ، وبادية العراق او بادية السماوة ، وتفصل بينهما وبين نجد صحراء النفود الواسعة ، اما من الناحية الشرقية فتكون صحراء النفود فاصلا بين نجد وبين البحرين وتسمى هنا الدهناء. او (رملة عاجل) وهي منازل تميم وضبة في الجاهلية والاسلام .

المناخ :

مناخ الجزيرة بعامة جاف حار قليل المطر صيفا ، وبارد شديد البرودة شتاء ، وعلى الرغم من ان البحار تحيط بالجزيرة من جوانبها الثلاث ، فان جو الجزيرة بقى جافا حارا ، فرياح السموم التي تهب صيفا تمتص الرطوبة قبل ان تتمكن من التوغل داخل الجزيرة ، فلذلك لم تستطع هذه البحار تلطيف جو الجزيرة ، اللهم الا سواحل المحيط الهندي التي تسقط عليها الامطار التي تحملها الرياح الموسمية في الصيف وخاصة في اليمن . اما الحجاز فالامطار فيه قليلة ، وقد

(١) معجم البلدان ١٦/٨

يستمر الجفاف اكثر من موسم، واذا جاءت الأمطار في بعض المواسم فقد تأتي غزيرة تنشأ منها السيول ، ويتحدث البلاذري عن سيول مكة فيخصص لها فصلا في كتابه فتوح البلدان^(١)، وامطار الحجاز تحملها الرياح الغربية التي تهب من الناحية الغربية الشمالية وهي أمطار شتوية ، اما المناطق الداخلية الوسطى فأماطرها قليلة ولذلك صارت أمطار نجد عزيرة يتمناها الناس فأسموها غيثا .^(٢)

واهم المناطق التي ينزل عليها المطر مدرارا ، اليمن وعسير ، فاكنتت لذلك ارضها بالخضرة وانتظمت الزراعة فيها وامتلات اوديتها بالمياه . اما اقاليم الجزيرة الوسطى وجبل شمر فتسقيها الامطار المتأتية من مياه الخليج العربي وكذلك عُمان في الجنوب الشرقي من الجزيرة فان الامطار تسقط فتسقى الارض الزراعية الخصبة .
وحين ينقطع مدد السماء عن الجزيرة وتحتبس الامطار ، يعم الجذب والجفاف ويحل المحل والهالك ولذلك سمي الجذب سنة بالنسبة للموسم فيقولون (اصابتنا سنة اتت على الأخضر واليابس) .
وقد دفعتم قلة الامطار الى النقلة - وخاصة في نجد - في طلب العشب والكلاء والماء .

ومن هنا نجد ان الزراعة المنتظمة التي تعتمد على الامطار الموسمية هي في المناطق الساحلية الجنوبية والشرقية ، وهي في مناطق الحضر المستقرين ، على نقيض المناطق الشمالية التي تعتمد على المراعي ، وقد

(١) ص ٥٣ - ٥٥ ط ليدن ١٨٦٦ م

(٢) واسمها جودا وحياً لما في ذلك من معنى العون والنصرة والخير والكرم والحياة ،

قام الاستقرار في المناطق الشمالية في الواحات المنتشرة في أنحاء من الجزيرة^(١) وبعض المدن التي تكثرت فيها الآبار والمياه الجوفية، ويمكننا أن نعزو سكن كثير من القبائل الكبيرة في نجد إلى هذه الواحات والمياه الجوفية، حيث يمتد وادي الرمة ذو المياه الجوفية في قلب نجد. وكذلك يعود الفضل في خصوبة حضرموت وزراعتها إلى الأودية العميقة التي تحوي المياه في باطنها. فالجزيرة وإن حرمت من الأنهار الجارية، فإنها تسقى من العيون الثرة والمياه الجوفية والوديان التي تملؤها السيول شتاء، وما تجود عليها السماء من مطر غزير في السواحل، عزيز قليل في نجد والحجاز. ولم تعد قمم الجبال من الأجواء الباردة التي ربما جمد الماء فيها كما هو معروف عن جبل غزوان بجوار الطائف^(٢)، وقد تسقط الثلوج في صنعاء شتاء، كما تسقط على قمة جبل حضور الشيخ في اليمن^(٣).

وقد رسمت هذه الوديان^(٤) والآبار ومواقع الواحات اتجاه الطرق لقوافل التجارة والمواصلات، فالقوافل عادة تتبع طرق المياه وتحاذيها وبذلك كان طريق العراق محاذيا وادي الرمة مارا ببيريدة في نجد،

(١) الواحات هي الدارات التي يكثر ذكرها في الشعر الجاهلي كدارة جلجل ودارة الأرام والابرق وغيرها والدارة كل أرض واسعة بين جبال، ويصف الشعراء الدارات على أن فيها مياهًا غامرة يقصدونها للهو والشرب كما نعرف من وصف امرئ القيس لدارة جلجل ودمون ودارات العرب كثيرة أحصى الفيروز آبادي أكثر من مائة وعشر. انظر القاموس المحيط (دارة) ٣١/٢.

(٢) مسالك الممالك ص ١٩ ط ليدن ١٨٧٠ م

(٣) تاريخ العرب - فيليب حتى ٢١/١

(٤) يرجح الدكتور صالح العلي أن هذه الوديان كانت في الأزمنة القديمة مجاري أنهار. محاضرات في تاريخ العرب ١٤/١ ط ٣

أما طريق الشام فيمر بوادي سرحان متاخما لساحل البحر الاحمر ،
وهناك خطوط اخرى معظمها ساحلية حول الجزيرة ، وبعضها داخلية
تحترق الجزيرة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي متابعة الواحات
الوسطى ومبتعدة عن مناطق الجفاف والربع الخالي على الخصوص^(١) .

نبات الجزيرة :

ان طبيعة المناخ هذه بما فيها من جفاف الهواء ، وقلة المياه وملوحة
التربة ، لم تساعد النباتات على النماء ، والازدهار والانتشار ، ولذلك
توزعت النباتات في الاماكن الخصبة ذات العيون والامطار . وأهم
نبات الجزيرة هو النخل الذي يكثر في الحجاز ، وتمر النخيل أو
البلح هو أهم طعام البدوي واكثره ، فان قوام الحياة في البادية هو
التمر واللبن وفي القليل لحم الابل ، فالتمر هو الطعام الصلب الوحيد
الذي يتناوله ابناء الجزيرة^(٢) ، وبحسب البدوي الاسودان : الماء ،
والتمر ، ونوى التمر يسحق ويصنع منه اقراص لعلف الابل ، ومنه
يصنع النبيذ وخاصة في الطائف .

اما الحبوب فيزرع الشعير في وادي القرى وفدك وخيبر
والمدينة ، وتكثر الحنطة في اليمن واليامة وبعض الواحات ، وتزرع
الذرة في عسير ، والارز في عمان والحسا .

وموطن الافاوية في اليمن ، كالمز والمركاوي وأنواع البخور
والطيب . وينمو شجر اللبان على الهضاب المحاذية للساحل الجنوبي
ولا سيما في مهرة . ويكثر الصمغ في عسير ، اما شجرة البن فقد

(١) تاريخ العرب - فيليب حتى ٢١/١

(٢) عيون الاخبار - ابن قتيبة ٢٠٩/٣ - ٢١٣ ط القاهرة ١٩٣٠ .

دخلت اليمن من الحبشة في القرن الثامن الهجري وتسمى خمر الاسلام^(١) .

وتنمو في الجزيرة انواع اخرى من النباتات منها الطلح الذي ينتج الصمغ العربي ، والغضا الذي منه الفحم الجيد، والسمح الذي تطحن حبوه فتصنع منه العصيدة . أما الكروم فوطنها المشهور الطائف حيث اشتهرت بالنبيد المعروف بنبيد الزبيب . وفي المدن الساحلية وبعض الواحات تنمو الفواكه كالرمان والتفاح والمشمش والموز والبرتقال والليمون الحامض والبطيخ وكذلك قصب السكر^(٢) .

وتنمو الاشجار الصحراوية في بادية نجد كالطلح وهو شجر عظام ترعاه الابل ، والدوم وهو شجر المقل ، والسدر البري أو الضال ، والسلم والأرطى ، وهناك اشجار ضخمة من الأثل وهي الطرفاء والشوحط والشريان والنبع والغرب، ويتخذ من هذه الاشجار القسي والسهام ، اما الأراك فهو شجر من الحمض تتخذ منه المساويك وتتفكه به الابل بعد أن تشبع لما فيه من ملوحة ومرارة وللأراك ثمر يدعى الكباث . ومن نبات البادية ايضا الشيح والقيصوم والعرمض وهو صغار شجر الاراك والسدر ، ومن مراعي الابل اللذيذة السعدان والبرسيم وهو حب القرظ وهو نوع من كراث المائدة وكذلك الفقع وهو نوع من الكمأة^(٣) ومن الاصباغ النيل

(١) الكواكب السائرة - نجم الدين الغزي ١١٤/١ ط بيروت ١٩٤٥

(٢) تاريخ العرب - فيليب حتى ١/٢٢-٢٣

(٣) تاريخ الجماهيلية - صر فروخ ص ٣٣ ط بيروت ١٩٦٤

والورس والحناء. ويستعمل الخنظل وهو نبات صغير مرّ يشبه
البطيخ، لدبغ الجلد وكذلك القرظ وهو ورق شجر السلم، ويستعمل
الاشنان في التنظيف كالصابون، ويستعمل نبات السناء دواءً مسهلاً.
ومن النباتات الطيبة الرائحة الآس والعرار وهو بهار البر - زهر بري
أصفر - والخزامى وشقائق النعمان وغيرها .



الفصل الأول

عرب الجاهلية

أريد هنا أن أقف عند نقطتين اراها على قدر كبير من الأهمية ،
اولاهما : الجاهلية حدها ومفهومها . والثانية : أهل هذه الجاهلية من
عرب وأعراب والفرق بينهما ، فقد اضطرب مفهوم الجاهلية في كثير
من كتابات الكتاب والباحثين ، وراح فريق من الناس يخلط في
هذا المفهوم ويضيف اليه ما ليس له ، ويصمه بما ليس فيه ، حتى غدت
صورة الجاهلية في الأذهان صفة للجهل والجور والبداية . ولا شك
ان ثمة كثيرا من الدوافع املت على الناس ان يفسروا الجاهلية هذا
التفسير ، من ذلك العصبية الدينية والعصبية العرقية .

وكذلك اضطرب الناس وخلطوا بين معنى العرب والأعراب ،
فنجد أن اسم الأعراب ومدلوله يطلقان على العرب ، ومعنى العرب
ينصرف الى الأعراب والبدو الجفاة . وهذا الخلط قديم ، تجده عند
ابن خلدون وغير ابن خلدون ممن كتبوا عن العرب وبحثوا في حياتهم ،
سواء في ذلك عرب الجاهلية أم عرب الاسلام .

وأحاول هنا أن احدد هذه المفاهيم ووضح دلالاتها على ضوء
النظرة الاسلامية مستأنسا بأراء الكتاب القدامى والمحدثين :

(١)

الجاهلية :

يطلق لفظ الجاهلية على عهد ما قبل الاسلام، وقد افتن المتعصبون من المسلمين وغير المسلمين في ذمها واطلاق شتى النعوت التي يراد بها الانتقاص والتهوين من امر ذلك العهد حتى ليخيّل للناظر في اقوالهم ان الباطل كان سمة العصر والضلال طابعه فقالوا: انه الزمان الذي كثر فيه الجهال^(١)، وهو عهد الجهل الذي لا علم فيه أو حرم اهله من أن يجيدوا ضربا منه وان قل شأنه، وقد قسم الألوسي ذلك الجهل الى جهل بسيط وجهل مركب فقال: (فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطا فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا، فإن قال خلاف الحق عالما بالحق أو غير عالم فهو جاهل ايضا كما قال تعالى: « و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (اذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل)^(٢) ومن هذا قول عمرو ابن كلثوم في قصيدته :

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
أي لا يسفه احد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم اي نجازيهم
بسفههم جزاء يربى عليه... وكذلك من عمل الحق فهو جاهل وان
علم انه مخالف للحق، كما قال سبحانه: « انما التوبة على الله للذين
يعملون السوء، بجهالة ثم يتوبون من قريب » .

فعنده ان الجاهلية العهد الذي فيه الجهل وفيه الضلال الذي هو

(١) محمود شكري الألوسي - بلوغ الأرب ١٥/١

(٢) المصدر السابق ١٦/١

عدم الحق وعدم معرفة الحق ، ولذلك يفسر وفق هذا الفهم قول الله تعالى في الجاهلين وقوله في الجهالة وان كانت الآيتان لا يراد بهما المعنى الذي ذهب اليه الالوسي ، وكذلك توجيهه لبيت عمرو ابن كلثوم الى السفه مع ان البيت ينصرف الى الظلم . وقد افتن كذلك الاستاذ احمد امين في اختيار اقصى الالفاظ وأوحشها لرجم الجاهلين: بالسفه والغضب والاثفة فيفسر الآية الكريمة : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »^(١) وفق معناه الذي يريد ، ولا يفوته ان يستفيد من قول عمرو ابن كلثوم :

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ليصف حياة العرب في ذلك العهد بانها مصداق للكلمة (جاهلية)
فهي انفة وخفة وحمية ومفاخرة وسفه.^(٢)

وكذلك ذهب كاتب مقال مادة جاهلية في دائرة المعارف الاسلامية فيزعم ان المعنى الدقيق لكلمة (جاهلية) هو زمن الجهل ... اما الاسلام فهو زمن النور والمعرفة ، وجهل ضد علم ووردت بهذا المعنى كثيرا في اللغة القديمة ووردت اكثر في الازمنة القريبة من الاسلام من ذلك قول عنتره في معلقته :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك

ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

على ان واقع حال العرب قبل الاسلام يفند ما ذهب اليه اولئك

(١) سورة النور ٦٣

(٢) احمد امين - فجر الاسلام ص ٦٩

جميعا ، فليس من المعقول ان يقصد بالجاهلية معناها اللفظي الذي هو الجهل ضد العلم والفهم ، فيذهب اولئك يتصيدون كل ما ورد من مادة جهل في الشعر والقرآن والحديث وكلام العرب ، لأن من كانت صفاتهم صفات العرب قبل الاسلام ، لا يصح ان يكونوا ابناء جاهلية جهلا . وعندهم الحضارة العريقة الممتدة في اعماق الزمان ، ولهم ذلك الفن القولي الممتاز متمثلا في الشعر والخطابة والامثال والرسائل والحكم الماثورة . وفي اكبر الظن ان الكلمة حين اطلقت في اول الامر اريد بها الدلالة على شيوع عبادة الأوثان بينهم ، فلا شك ان من العرب من كان ير كع لصنم وينحر لنصب ، ومنهم من عبد كوكبا او اعتنق المجوسية والصابئية دينا ، او كانوا من اصحاب الدهر ، وقد اشار القرآن الكريم في عدة مواطن لذلك ، فالجاهلية على هذا اذا قصدت فان معناها ينصرف الى تلك الوثنية السائدة قبل شريعة الاسلام .

ويذهب معنى الجاهلية من جهة اخرى - غير الدين - الى تلك الحالة الخلقية التي كانت حاضرة في نفوس العرب ، والاعراب منهم بصورة خاصة ، جامعها الغلو في تقدير الامور والاسراف وسرعة الغضب ، فقد كان من العرب من يفرط في الكرم حتى يغدو سرفا وتبذيرا ، ويغلو في الشجاعة حتى تعود حماقة وتهورا ، ويجاوز معنى النجدة الى الظلم . فالكلمة اذن تنصرف الى معنى الجهل الذي هو مقابل الحلم وليس ضد العلم ، ومن هذا قول الشنفرى في لامية العرب :^(١)

(١) اعجب العجب في شرح لامية العرب - الزمخشري ص ٤٨

ولا تزدهى الأجهال حلمي ولا أرى

سؤولا باعقاب الاقاويل أنمل'

والى هذا المعنى يذهب عمرو بن كلثوم في معلقته في البيت
المقدم ذكره :

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وقد يتضمن معنى الظلم ايضا . ويعزز هذا المعنى الذي يزيد
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من استجهل مؤمنا فعليه
اثمه) قال ابن الاثير يبيّنه : (اي من حمل على شيء ليس من خلقه
فيغضبه فانما اثمه على من احوجه الى ذلك)^(١) .

وقد غدت الجاهلية تثير في نفوس المسلمين شعورا بكرهية عهد
وثنى مملو، بالظلم والآثام ، فهذا الرسول الكريم يسمع ابا ذرّ يعير
رجلا بأمه فيقول مؤنبا ومعاتبا : (انك امرؤ فيك جاهلية)^(٢) اي
فيك روح الجاهلية وطيشها، تغضب فلا تحلم ولا تصبر ولا تسامح،
على انه من الحق ان نذكر ان العهد الجاهلي عرف كثيرا من الناس
وصفوا بالحلم والصبر والتسامح والحكمة، ولا يبعد عنا ذكر قيس
ابن عاصم وحلمه، وهرم بن سنان وطيبته وزهير بن ابي سلمى وحكمته
وغيرهم كثير، حتى ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليدكر السجايا
النبيلة والحياء والمروءة التي تمثلت باعرابي جاهلي مثل عنتره ، فيقول:
(ما وصف لي اعرابي قط فاحببت ان اراه الاعنتره) وكان الرسول
الكريم قد انشد قول عنتره :

(١) النهاية في غريب الحديث ١٩٢/١

(٢) المصدر السابق

ولقد ابنت على الطوى واظله حتى اناب به كريم المأكل^(١)
وفي عموم القول ان المراد من معنى الجاهلية ما يتمثل في الذهن
من مفهوم ديني ، فعهد الجاهلية كان قائما على الشرك والوثنية وفيه
ضلال وظلم وظلمات ، واما العهد الاسلامي فعلى نقيضه ، هو هداية
ونور ، ومصداق ذلك قول الله تعالى : (ليخرجكم من الظلمات الى
النور)^(٢) وقد وردت (الجاهلية) في القرآن الكريم ويراد بها الخط
من القيم الخلقية والاعتقادية لذلك العهد ، قال سبحانه : (يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية)^(٣) وقوله : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن
احسن من الله حكما لقوم يوقنون)^(٤) وقوله : (وقرن في بيوتكن
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى)^(٥) وقوله : (إذ جعل الذين كفروا
في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)^(٦) وقريب من هذا قول الرسول في
حديث الافك : (ولكن اجتمهته الحمية)^(٧) .

اما فترة الجاهلية فيحددها بعض المستشرقين بانها : (الاسم الذي
يطلق على ما كانت عليه جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام ، او بعبارة
اخص ، الاسم الذي يطلق على الفترة التي خلت من الرسل بين عيسى
ومحمد)^(٨) وقد اخذ الكاتب هذا القول من الآلوسي^(٩) دون اشارة

-
- (١) الاغانى ٢٤٣/٨
 - (٢) الحديد ٩
 - (٣) سورة آل عمران ١٥٤
 - (٤) المائدة ٥٠
 - (٥) الاحزاب ٣٣
 - (٦) الفتح ٢٦
 - (٧) النهاية في غريب الحديث - ابن الاثير ١٩٢/١
 - (٨) فير - دائرة المعارف الاسلامية مادة جاهلية
 - (٩) الآلوسي - بلوغ الارب ١٥/١

لذلك ويزيد الالوسي بانها ايام الفترة (وهي الزمن بين الرسولين وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا ، وعلى ما قبل الفتح ، وعلى ما كان بين مولد النبي والبعث) وفي قول عن ابن خالويه : ان هذا اللفظ حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . ويحدد نهاية هذا العهد فتح مكة لا البعثة^(١) .

على اننا اذا اخذنا الجاهلية على انها نزعات ومثل وتقاليد، فانها قد استمرت في نفوس كثير من المسلمين بعد فتح مكة ، وقد عادت جذعة فتمثلت في الردة وفي العهد الاموي وما يليه من عهود ، بل نستطيع القول ان كثيرا من عاداتنا ومآتينا الحاضرة ان هي الا من آثار الجاهلية ، اما ضابط آخر العهد فتح مكة فيعنى ان الاسلام قد تمكن من القضاء على اقوى خصومه وأعظم خطر يهدد الدين ومثله العليا .

(٢)

العرب والاعراب :

جاء الاسلام دين بشري وهدى وايمان ، جاء رحمة للناس وأمانا ، فقد ايقظ الجزيرة العربية من غفوة المت بها ، فنهضت بالاسلام لتلبس - وتلبس الناس معها - ثوب العدل والخير والايان ، فجدد لها عمرها ورسم لها طريقها وكتب لها عهدا مجيدا . وعلينا هنا ان نتبين اهل ذلك العهد الذين ضمهم الاسلام وهداهم سواء السبيل ، ونجلو لبسا

(١) الالوسي - بلوغ الارب ١٥/١

حاصلا وغشاوة مربكة ، ان نفرق بين كلمتين كثيرا ما يقع الخلط بينهما والوهم في استعمالهما ، والكلمتان هما : العرب والاعراب ، فما حد كل منهما ؟

يستعمل القدماء احيانا كلمتي العرب والاعراب في حالة ترادف ، وترد الواحدة مكان الاخرى ، وقد تعمم كلمة العرب فيراد بها الاعراب ايضا ، قال الجوهري : (العرب جيل من الناس وهم اهل الامصار ، والنسبة الى العرب عربي والى الاعراب اعرابي ، والذي عليه العرف العام اطلاق لفظ العرب على الجميع) ^(١) ويقول الآلوسي عن ابي العباس احمد بن عبد الله : (ان العرب اهل الامصار والاعراب سكان البادية وفي العادة يطلق لفظ العرب على الجميع) ^(٢) .

ويكاد الاجماع ينعقد على ان العرب هم سكان الحاضرة والاعراب هم سكان البادية ، فيذكر الآلوسي ان شيخ الاسلام احمد بن تيمية في كتاب (الاقتضاء) يقول : (ان لفظ الاعراب هو في الاصل اسم لبادية العرب ، فان كل امة لها حاضرة وبادية ، فبادية العرب الاعراب ، وقد يقال : ان بادية الروم الارمن ، وبادية الفرس الاكراد ، وبادية الترك التتر ونحوهم) ^(٣) . ويذكر ايضا قول اهل التفسير بأن العرب سكان المدن والقرى ، والاعراب سكان البادية من هذا الجيل أو مواليتهم . ويوضح هذا ويحدده ما جاء في التنزيل قوله تعالى : (وجاء المعذرون من الاعراب

(١) الصحاح مادة عرب وكذلك القاموس المحيط للفيروز اباذي

(٢) بلوغ الارب ١٢/١

(٣) نفس المصدر والمنفعة

ليؤذن لهم^(١) وفي قوله تعالى: (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم)^(٢) فبدوية الاعراب واضحة بانهم (حولكم) ومقابلتها بـ (اهل المدينة) تعين ذلك .

ومن الطبيعي ان العقلية البدوية لا يمكن ان تدرك وتستوعب الدين الجديد بسهولة ويسر ، لطبيعة الحياة القاسية التي يجيهاها الاعراب ، ولذلك كان موقفهم من الدعوة موقف المستخف غير الملتزم بتعاليم الاسلام . ولذلك كثر المرتدون بينهم والناكثون بالمهود والذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ، والقرآن يحكم فيهم بقوله : (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ، ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم)^(٣) .

هؤلا . الاعراب وقفوا من الدين الاسلامي بالذهنية المتعصبة المغلقة التي لا تدرك معنى الدين وامر الرسالة وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيلهم الجهد والعناء ، فكانوا يمتنون عليه اسلامهم ، قيل : قدم عشرة رهط من بني اسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول سنة تسع للهجرة فيهم حضرمي بن عامر وضرار ابن الازور ، فقال حضرمي : (يا رسول الله أتيناك نتدرّع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث الينا بعثا) فنزل فيهم قوله تعالى : (يؤمنون عليك ان اسلموا قل لا تمتنوا عليّ اسلامكم بل الله يمن

(١) سورة التوبة ٩٠

(٢) التوبة ١٠١-١٠٢

(٣) التوبة ٩٧-٩٨

عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) (١) ، وقد دخل كثير من الاعراب في الاسلام لحاجتهم الى العطاء. لارغبة في الايمان، فقد جاء في الاخبار: أن نفرا من بني اسد ثم من بني الحلاف بن الحارث قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة ، فآظفروا شهادة ان لا اله الا الله ، ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وافسدوا طريق المدينة بالمذرات ، واطغوا اسعارها ، وكانوا يفتدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : (اتتك العرب بانفسها على ظهر رواحلها ، وجئناك بالاثقال والعيال والذراري - يفتنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ...) ويريدون الصدقة ويقولون : اعطنا . فأنزل الله سبحانه فيهم : (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) الآيات (٢) وقد كانت الاعراب تبطى. على الرسول ولا تجيبه اذا دعاها الى الجهاد ، فكان قد استنفرهم الى الحديدية فتخلفوا عنه ، وخرج مع رسول الله المهاجرون والانصار ومن لحق به من العرب (٣) .

وما كانت الاعراب - الا القليل - تنظر الى الرسول النظرة الدينية التي تراها العرب ، بل كانوا يعدونه رجلا اوتي السلطان على العرب ، فيطيعونه على انه رئيس مقتدر لا نبي مرسل .

وفي هؤلاء الاعراب كان المتعصبون من الكتاب ومن المستشرقين

(١) الحجرات ١٧ وانظر النوري - نهاية الارب ١٨/٣٠

(٢) الحجرات ١٤ ونهاية الارب ١٨/٣١

(٣) المصدر السابق

يوسعون القول والتقول حتى يسحبوا مفهوم الاعراب على كل العرب ،
وهؤلاء ، غير اولئك . ومن هنا كان غلو أوليري^(١) وابن خلدون^(٢)
وغيرهم ممن اعتبروا الاعرابي بوصفه الذي جاء في القرآن ممثلاً لمواطن
الجزيرة العربية كلها ، غير ملتفتين الى سكان الامصار والقرى ،
واهل الدعوة والحضارة ، وحملة العلم والعمران من العرب .

على انه حتى في اولئك الاعراب من يؤمن بالله خالص الايمان
وينفق في سبيله مبتغياً رحمته ورضوانه ، وفي هؤلاء ، كان قول الله
تعالى : (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق
قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قرابة لهم سيدخلهم الله في
رحمته ان الله غفور رحيم)^(٣) .

ومهما يكن من شيء ، فقد كان العرب المسلمون ينظرون الى
الاعراب المتبدين نظرة حذر وارتياب ، وكانوا لا يرتضون لاعرابي
تحضر ان يتبدى ، من ذلك ما روى عن النابغة الجعدي حيث اشتاق
الى قومه فدخل على عثمان بن عفان فقال : (استودعك الله يا امير
المؤمنين ، قال : واين تريد يا اباليلى ؟ قال : الحق بأبلي فاشرب من
البانها ، فانى منكر لنفسي ، قال عثمان : أتعباً بعد الهجرة يا اباليلى ؟
أما علمت ان ذلك مكروه ؟ قال : ما علمته ، وما كنت لأخرج حتى
اعلمك)^(٤) . هذه النظرة غير المطمئنة الى الاعراب فسحت بجمال

(١) انظر تفصيل رأيه في فجر الاسلام ص ٢٣

(٢) المقدمة ص ١٢١-١٢٢

(٣) التوبة ٩٩

(٤) الاغانى ١٠/٥ ط الدار وطبقات الشعراء ص ١٠٦-١٠٧

القالة حول الاعراب وعليهم فهوّن اناس من شأنهم ، واسرف آخرون في وصفهم بكل منقصة وتواش وطيش وسفه ، وهذا ضرب من التجني لا يتفق والنظرة العلمية المحصنة ، واذا صدق بعض ذلك الوصف على قسم من القبائل ، فان التعميم لا يصح ولا يصدق ، وخاصة اذا عرفنا ان كثيرا من اولئك الاعراب من سكن الحواضر والقرى ، وكان للقبيلة الواحدة حاضرة وبادية ، والتمازج حاصل بين سكنة الحواضر وسكنة البوادي ، وكثيرا ماتحيا القبيلة الواحدة حياتين: يستقر بعضها المدر فيتحضر ويسكن بعضها ظواهر القرى فيكون في اهل الوبر متبديا ، مثال ذلك قريش حيث يذكر عنها صاحب اللسان : (قريش الاباطح اشرف واكرم من قريش الظواهر ، لأن البطحاويين من قريش حاضرة وهم قطان الحرم ، والظواهر اعراب بادية ، وضاحية كل بلد ناحيتها البارزة)^(١) . وكذلك جُهينة كان منها من يسكن في الوبر دون المدر ، في نواحي جبلي رضوى وعزور^(٢) ، بينما يسكن قسم آخر منها المدر في ينبع : (وهي قرية كبيرة غناء ... فيها عيون غزيرة الماء) ويسكن قسم ثالث منها الصفراء : (قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها)^(٣) .

واولئك الذين سكنوا البادية لم يكونوا كلهم اعرابا بعيدين عن الايمان موغلين في الصحراء . قست قلوبهم وغلظت اكبادهم ، بل منهم من كانوا قرييين من المدن ، مطيفين بها متأثرين بعاداتها آخذين

(١) لسان العرب - ابن منظور مادة (ضعا)

(٢) عرام بن الاصبغ - اسماء جبال تهامة وسكانها ص ٧

(٣) المصدر السابق ص ٨

من حضارتها بسبب، فقد ذكر عرام بن الاصبغ في حديثه عن السوارقية قال: (قرية غناء كثيرة الامل ... كان لبني سليم فيها مزارع ونخل وفواكه كثيرة ... وهم بادية الامن ولد بها فانهم ثابتون بها والآخرون بادون حوالها ويمرون طريق الحجاز ونجد في طريق الحجاج)^(١).

وكان الرسول الكريم يفرق بين الاعراب الموغلين في الصحراء والاعراب المقيمين في الضواحي والمستجيبين لدعوة الاسلام ، فقد روى عن ام المؤمنين عائشة انها قالت: (لما قدمنا المدينة نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقبل هدية من اعرابي ، فجاءت ام سنبلة الاسلامية بلبن فدخلت به علينا فأبينا نقبله ، فنحن على ذلك الى ان جاء رسول الله ومعه ابو بكر فقال : ما هذا ؟ فقلت : يا رسول الله هذه ام سنبلة اهدت لنا لبنا و كنت نهيتنا ان نقبل من احد من الاعراب شيئا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوها فان اسلم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا ونحن اهل قاريتهم ، اذا دعونا هم اجابوا ، وان استنصرناهم نصرونا)^(٢).

يتعين من هذه النصوص ان المقصود بالبادية انما هو ظاهر القرية او ضاحتها وما احاط بها، وان كثيرا من القبائل كانوا يقطنون في هذه البوادي قرييين من الحواضر متصلين بها مختلطين بسكانها ، وهم غير تلك القبائل الموغلة في الصحراء البعيدة عن العمران الذين قست قلوبهم فوصفهم القرآن الكريم بشدة الكفر والنفاق .

(١) نفس المصدر ص ٦٥

(٢) ابن سعد - الطبقات الكبير ٢١٥/٨ ط ليد

ومن كل ذلك يزداد حذرنا وارتيابنا من الاحكام التي تطلق
على العهد الجاهلي، والتي تصوره على انه عهد جهالة وبداعة واعرابية
بعيدة عن الحضارة والارتقاء، من غير مراعاة للفروق الواسعة بين
البيئات الصحراوية وبيئات البادية القريبة من المدن او القرى، والتي
كانت متصلة بمـالم المدنية لذلك العهد، مواكبة لركب الحضارة،
مستجيبة لداعي الإسلام .



الفصل الثاني

الحياة السياسية

(١)

القرن السادس هو الزمن الذي مرت به احداث العصر، وان لم تقف عنده او تبدأ به . وبادية نجد هي مسرح الاحداث التي تدور حولها سياسة العصر وتأثر بها كثرة القبائل التي سكنت هذه المنطقة، وان كان اثر الاحداث يتجاوز هذه البقعة ويمتد منها الى الجوانب المحيطة بهذا الاقليم ، حيث الحجاز ، وبلاد الشام ، والمراق ، والبحرين ، واليمن .

واذا ألقينا نظرة على مصور هذا العصر وتوزيع القبائل فيه فاذا نجد :

ان جغرافي العرب يتفقون على تقسيم الجزيرة العربية الى اقسام خمسة : تهامة ، والحجاز، ونجد ، والعروض، واليمن . وان اختلفوا في ضبط وتحديد هذه المناطق^(١) وقد توزعت القبائل - بعد

(١) ينظر تفصيل ذلك في صفة جزيرة العرب - الهداني ٤٨ وما بعدها ، وممجم ما استمع للبركي ٧/١ وما بعدها (السقا ١٩٤٥) وممجم البلدان - ياقوت ٧٦/٢ ومن الكتب الحديثة الجيدة تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ٨٦/١ - ١٤٧ .

الهجرات القديمة^(١) - على هذا الشكل :

١ - القبائل العدنانية :

نزلت قريش في مكة وما جاورها^(٢) . ومزينة في جبال رضوى
وقدس وآرة وما حولها من ارض الحجاز^(٣) وسكنت فهم وعدوان
جبال السراة في الحجاز ايضا ، وتجاورهم قبيلة هذيل^(٤) . واستقرت
ثقيف في الطائف بعد اجلاء بني عدوان وبني عامر منها^(٥) . اما ديار
هوازن فكانت بين غور تهامة الى ما والى ببشة وناحية السراة وحنين
واوطاس^(٦) ، ونزل الحجاز من القبائل القيسية ايضا ، بنو هلال واكثر
بني سليم^(٧) وكان منزل كنانة في ارض تهامة^(٨) .

اما في نجد : فبنو عامر بن صعصعة قبيلة لبيد ، وديارهم غربي نجد
مما يلي الحجاز^(٩) ، وكانوا اول امرهم يشتون في نجد ويصيفون في
الطائف ، فلما قوى امر ثقيف اجلتهم عن الطائف^(١٠) ، وديار بني كعب
ابن ربيعة بالفلج وباديتها^(١١) ، وغطفان موضعها بالحاجر^(١٢) ، ومنازل

(١) ذكر المؤرخون هجرات قديمة للعدنانيين على اثر غزو ملك آشور بلاد العرب
وهجرة القحطانيين المعروفة في اليمن . الاغانى ٧٨/١٣ ط الدار ومعجم البكري ١٩/١

(٢) السيرة النبوية - ابن هشام ١٢٤/١ ط القاهرة ١٩٥٥

(٣) معجم البكري ٨٨/١ ط السقا ١٩٤٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

(٤) معجم البكري ٨٨/١

(٥) نفس المصدر ٧٧/١

(٦) معجم البكري ٨٧/١

(٧) معجم البلدان - ياقوت ٢٥٠/٢

(٨) معجم البكري ٨٨/١

(٩) معجم البكري ٩٠/١ وان كانوا قد تنقلوا في اكثر من موضع

(١٠) نفس المصدر ٧٧/١

(١١) نفس المصدر ٩٠/١

(١٢) شرح ديوان زهير ص ٣٢٦ ط دار الكتب

بني اسد مجاورة لمنازل طى، القحطانيين^(١)، وهؤلاء. الاخرون بين جبلي أجأ وسلمى، ونزلت ضبة وتميم^(٢) بلاد نجد، ثم انحدروا حتى خالطوا اطراف هجر، ونزلوا ما بين اليمامة وهجر، ومضى بنو سعد ابن تميم فحلوا رمل يبرين وخالطوا عبد القيس في بلاد قطر، وذهبت طائفة منهم الى عُمان^(٣).

اما في اليمامة، فقد نزل بنو باهلة بن اعصر، وبنو نمير^(٤)، وكذلك بنو تميم^(٥)، اما حاضرة اليمامة (الحجر) فهي لبني حنيفة^(٦)، وبعد حرب بكر وتغلب انتشرت بكر وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين حتى اطراف العراق^(٧). اما قبائل ربيعة: فقد نزلت عبد القيس البحرين بعد ان اجلت قبيلة اباد عنها، وسار فريق من عبد القيس الى عمان وجاوروا الأزد في بلادهم^(٨). ونزلت قبيلتا تغلب والنمر بن قاسط حول نهر الفرات من أرض الجزيرة (جزيرة أقور)^(٩)، ونزلت اباد - بعد أن اجلتهم عبد القيس عن موطنهم - العراق في سنداد وعين أباغ، واصطدموا بالفرس في معارك كان من نتائجها أن تشتت شملهم، فلحق فريق منهم بالشام ودانوا للغساسنة، ودخل فريق آخر بلاد الروم^(١٠).

(١) ديوان عبيد بن الابرص ص ٨

(٢) ، (٣) معجم البكري ٩٠/١ والاعاني ١٠/١٩ ساسي حول وثوب تميم

على البيت الحرام

(٤) معجم البكري ٩٠/١ (٥) معجم البكري ٨٨/١

(٦) معجم البكري ٨٥/١ ومختصر كتاب البلدان ص ٢٨ ط ليدن سنة ٨٨٥ م

(٧) معجم البكري ٨٦/١

(٨) البيان والتبيين ١٢١/١ والبكري ٨٢/١

(٩) البكري ٨٦/١

(١٠) الاغاني ٢٣/٢٠ ط ساسي، انساب الاشراف ٢٥/١، البكري ٩٧/١.

٢- القبائل القحطانية :

أما القحطانيون فأصلهم من الجنوب ، وهاجروا أكثرهم الى الشمال ،
الابقية منهم بقيت في اليمن وما حولها . فأما الذين هاجروا الى
الشمال واستوطنوا هناك فمنهم : كندة التي رحلت الى نجد وأسست
لها امارة في شمالي نجد وبادية الشام ودومة الجندل^(١) . والازد التي
تفرقت من اليمن فنزل فريق منها البحرين . وعرفت بـ (تنوخ) ،
وصعدت الى جنوبي العراق وأسست -لحم أم عشائرها- دولة المناذرة
في الحيرة^(٢) .

واستوطن فريق منها بلاد الشام - وهم آل جفنة بن عمرو بن عامر -
فغلبوا الضجاعة وأقاموا دولة الفساسنة^(٣) . أما قبائل الأوس
والخزرج - وهم بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا - فنزلوا يثرب . وسكن
بنو حارثة بن عمرو بمر الظهران بمكة وهم خزاعة . ونزل فريق من
الازد عُمان فعرفوا بأزد عُمان ، وفريق آخر استوطن السراة ،
فعرفوا بأزد السراة أو ازد شنوة^(٤) . وحلت طى . في سُمَيْرَ وقَيْدَ في
جوار بني أسد ، ثم غلبتهم على جبلى اجأ وسلمى^(٥) . وتفرعت لحم الى
فرعين الاول نزل العراق ، وهم آل نصر بن ربيعة الذين آل الامر
اليهم بعد جذيمة الابرش ، ومنهم كان امراء المناذرة في الحيرة^(٦) .

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٨ ، ديوان عبيد بن اليربوع ص ٨ .

(٢) تاريخ الطبري ١/٤٣٧ ، تاريخ سني ملوك الارض ص ٩٤

(٣) السيرة النبوية ١٣١

(٤) السيرة ١/١٣١ وفتوح البلدان ١/١٥١ وتاريخ ابن خلدون ٢/٣

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢-٢٣

(٦) تاريخ ابن خلدون ٢-٣٦

والفرع الثاني من لحم نزل جنوبي بلاد الشام في فلسطين^(١). وكذلك نزلت جذام جنوبي الشام في الارض الممتدة من حدود ايلة - العقبة - الى ينبع محاذية لساحل البحر الاحمر^(٢)، ونزلت الشام ايضا عاملة (اخت لحم وجذام) جنوبي البحر الميت^(٣).

وفي الحجاز نزلت قبيلة خثعم ما بين وادي بيشة وتربة وما والاها، وجاورتها قبيلة بجيلة^(٤). وسكنت قبائل سعد هذيم - عذرة وحوطةكة وجهينة - في وادي القرى^(٥). وانتشرت قبيلة بلي بين شمالي يثرب الى تيماء فالعقبة^(٦)، وسكن بنو كلب دومة الجندل وبادية السواة^(٧). اما بهراء، فنزلت بأعالي الشام بين حلب وحماة^(٨).

أما القبائل القحطانية التي بقيت مقيمة في مواطنها، فأهمها: همدان ومنزلها شرقي بلاد اليمن شمالي صنعاء^(٩). ومذحج ومنزلها في تليلث ونجران ونواحيها^(١٠). والاشعرون شمالي زبيد، وكذلك قرب عك^(١١)، ومنزل مهرة بالشحر من بلاد اليمن^(١٢). وكانت قبائل حمير تنزل المنطقة الغربية لظفار حتى عدن وصنعاء^(١٣).

(١) صفة جزيرة العرب ١٢٩ (٢) تاريخ ابن خلدون ٣٧/٢

(٣) المصدر السابق والصفحة وصفة جزيرة العرب ص ١٢٩

(٤) معجم البكري ١٠/١

(٥) المصدر السابق ٣٨/١ وتاريخ ابن خلدون ٢١/٢

(٦) معجم البكري ٩٠/١ وابن خلدون ٢١/٢

(٧) معجم البكري ٥٠/١ وابن خلدون ٢٥/٢

(٨) الاغانى ٩١/١٥ ط ساسي

(٩) صفة جزيرة العرب ص ١٠٩ وابن خلدون ٢٩/٢

(١٠) معجم البلدان - ياقوت ٧٦/٢ وابن خلدون ٣٢/٢

(١١) ياقوت ٧٦/٢ وابن خلدون ٣٢/٢

(١٢) معجم البكري ٢٧/١

(١٣) ابن خلدون ١٥/٢ أما قبيلة قضاة من حمير فكانت في الشام ومنهم كان

الضجاعة الذين ملكوا الشام قبل الساسنة. تاريخ ابن خلدون ٢٤/٢

(٢)

على هذا الشكل استقرت القبائل العربية في الجزيرة وتجاور العدنانيون والقحطانيون ، ولم يكن لهذه القبائل دولة تضمهم ، ولا نظام موحد يسودهم ، بل كانت كل قبيلة تكون وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة ، وقد تجوز أو ليري فأعطى القبيلة مفهوم الدولة^(١) . وقوام القبيلة الاسرة ، وما القبيلة الا اسرة كبيرة تتضخم فتكون قبيلة ، وتنشطر القبيلة الى شطرين أو أكثر ، ويشمل كل شطر سلالة احد ابنا . الجد الاكبر وتسمى باسمه ، وهكذا تستمر القبيلة في التضخم والانقسام على هذا المنوال^(٢) . فرابطة القبيلة هي رابطة النسب والدم رابطة الاب الكبير الذي ينتمون اليه ويعرفون باسمه ، وقد تكون القبيلة منسوبة الى الام - وهذا في القليل - مثل مزينة وبجيلة وخندف .

وهذه القبائل متشابهة في تكوينها ونظامها ، فكل قبيلة تقوم على اساس اشتراك ابائها في الاصل الواحد والموطن الواحد ، وقد يكون هذا الموطن غير مستقر متنقلا مع المراعى ، وتجمع افراد القبيلة تقاليد واعراف تتمسك بها وتحترمها ، والرباط الاقوى في القبيلة هو العصبية ، والعصبية كما يعرفها ابن خلدون (النصره على ذوى القربى واهل الارحام ، ان ينالهم ضم او تصيبهم هلكة)^(٣) .

(١) أساما اوليري : Patriarchal State

Oleary : Arabia before Mohammad . P. 8.

Smith : Kinship and Marriage in Early Arabia . (٢)

P. 3-4 .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٨

فالفرد في القبيلة حريص على هذه الرابطة ، عامل من اجلها ، باذل في سبيلها ما يملك حتى دمه . و افراد القبيلة متضامنون كلهم في المصائب والمسرات ، والجريرة التي يجنيها الفرد يتحملها المجموع ، وقد آمنوا بهذه الفكرة التضامنية في الخير والشر حتى ظهرت في امثالهم فقالوا :
« في الجريرة تشترك العشيرة »^(١) .

وللقبيلة رئيس او شيخ يتزعمها ، ويكون عادة من ذوى السن ، والخبرة ، والحكمة والحلم ، وسداد الرأي وبعد النظر ، والثروة ، والشجاعة ، والكرم ، وطلاقة اللسان بحيث يحوز رضا القبيلة وعجابها ، وينال احترامها ، فالقبيلة تترضى لها رئيسا او شيخا تتوافر فيه صفات الرجولة والبطولة ، والنجدة ، والكرم ، وعراقة الاصل ، وصفاء النسب . وهذه الخصال هي التي تؤهله للقيادة والزعامة ، ولم يكن من المستساغ في نظر العربي نظام الوراثة الذي عرف عند الملوك . وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :^(٢)

انى وان كنت ابن سيد عامر
وفارسها المشهود في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثته
ابى الله ان اسمو بأم ولا أب
ولكنني احى حماها وأتقى
اذاها وارمى من رماها بمنكب

(١) مجمع الامثال - الميداني ١٤/٢

(٢) انساب الاشراف البلاذري ١٧٩/٢ والشعر والشراء ص ١٩٢ ط ليدن
وفيها خلاف .

والرئيس هو الذي يقود القبيلة في حروبها، ويقسم غنائمها، ويستقبل وفود القبائل، ويقوم بواجب الضيافة، ويعين المحتاج، ويقيل العاثر، ويفك اسرى قبيلته، ويتحمل القسط الاكبر من جرائم القبيلة وما تدفعه من ديات، فكل عظمة يمصبونها برأسه، ومن ذلك قالوا: (سيد مميم) يريدون ان كل جناية يجنيها احد في العشيرة معصوبة برأسه^(١). ولم يكن شيخ القبيلة مستبداً برأيه، بل يستعين بشيوخ القبيلة وذوي الرأي والشرف فيها، يستشيرهم اذا حزب الامر.

وكان افراد القبيلة يتمتعون بحرية في ظل النظام القبلي، ولهم حقوق متساوية لا يتميز بعضهم على بعض، وفي مقابل هذا كان على الفرد في القبيلة أن يخضع لرأيها ولا يخرج عليه، ولا يكون سببا في تفريق كلمتها، وتشتيت وحدتها، أو الاساءة الى سمعتها فانه اذا غلا في ذلك وكرت جرائمه عرض نفسه للخلع، والخلع أشد عقوبة توجه للفرد في المجتمع البدوي، وفي اللسان «والخليع الرجل يجني الجنايات يؤخذ بها او لياؤه، فيتبرأون منه ومن جنائمه»^(٢). ولذلك نجد أن أفراد القبيلة جميعا يحرصون على سمعة القبيلة ومصالحها وصيانة حقوقها، وان أحدهم ليضحى لها بماله ونفسه، فهي حياته وكيانه، وهو مع اعتزازه بفرديته وحرية، يجد أن تحقيق تلك الحرية في نطاق القبيلة وعصبية لها.

على أن هذه العصبية لم تكن واسعة الحدود بحيث تشمل فكرة الامة والجنس العربي، بل كانت على الغالب ضيقة الحدود، لا تكاد

(١) عيون الاخبار - ابن قتيبة ٢٢٦/١

(٢) اللسان مادة (خلع)

تتجاوز حدود البطن ، أو القبيلة في مفهومها الضيق ، ولذلك نجد كثيراً من بطون القبيلة الواحدة في صراع وقتال^(١) . على الرغم من شعورها بوحدة نسبها . فكانت العصبية للرھط أو البطن ، تطنى على العصبية الجامعة للقبيلة ، فما قولك بالشعب أو الامة .

ومصلحة القبيلة هي وحدها التي تحدد صلاتها بالقبائل المجاورة لها ، سواء ربطتها بها رابطة النسب ، أم لم تربطها . وربما آثرت القبيلة بدافع المصلحة أو الجوار أو الضعف محالفة قبيلة اخرى ، وتنضم القبيلة الضعيفة عادة الى قبيلة قوية ، تحميها وترد عنها العدوان^(٢) . والحلف - كما هو ظاهر من اسمه - بمعنى اليمين الذي كانوا يقسمونه في عهودهم ، فكانت المحالفات تتم بمظاهر دينية ، ليشعر المتحالفون بخطر هذا التحالف ، فهم ينحرون هديا ، ويغمسون أيديهم في دمه ، ولذلك سميت اليمين المغلظة (غموسا) أو كانوا يغمسون أيديهم بطيب ، وقد عرف من ذلك حلف المطيبين الذي تعاقد فيه بنو عبد مناف ، وبنو زهرة ، وبنو تميم ، وبنو أسد ، ضد بني عبد الدار وأحلافهم ، أو كانوا يوقدون ناراً - فعل الجموس - كما فعلت قبائل مرة بن عوف الذبانيين حين تحالفت عند نار وذبوا منها حتى محشتم فسمي حلفهم باسم (المحاش) وغير ذلك^(٣) . وحين تدخل القبيلة في

(١) كما اقتتل فرط بنو تامر - بنو جعفر بن كلاب، وبنو أبي بكر بن كلاب بسبب ابن ضبا الاسدي - النقاظس ص ٥٣٣ ط أوروبا وكذلك قتال بني جعفر والضبباب في يوم هراميت. النقاظس ص ٩٣٧ ومعجم البلدان ٤٥٠/٨ وكعرب الفساد بين بطون طيء . ابن الاثير ٣٨٨/١

(٢) معجم البكري ٥٣/١ ط السقا

(٣) تاج العروس (محش)

حلف يصبح لها على أحلافها كل الحقوق، فهم ينصرونها على أعدائها ويردون الكيد عنها، وللقبيلة الحق في أن تنفصل عن الحلف متى شئت، لتنضم الى قبائل أخرى في أحلاف غيرها، ولذلك كثيراً ما تضعف بعض الاحلاف وتحل محلها أحلاف أخرى. وكانت بعض القبائل - وهي قليلة - تجد في نفسها القوة والعزة فلا تدخل في حلف من الاحلاف. وأولئك يعرفون بـ (جمرات العرب)^(١).

كانت القبائل تسمى الى المحالفات طلباً للامن، ودفعاً للعدوان، وإيثاراً للعافية ومع ذلك لم تستطع هذه المحالفات حقن الدماء التي كانت تسفك لاتفه الاسباب، بل ربما كان الحلف من اسباب الحرب، تسمى اليه القبيلة اذا هي طلبت ثأراً عجزت عنه، او نزلت بها مصيبة قعدت دون دفعها.

وحياة القبائل بعد ذلك سلسلة حروب ومنازعات، تنشب لاسباب ذات خطر أو ليست بذات خطر، واهم خصوصاً ما تقوم على مراعى السوام ومواقع المياه، والغزو الذي اتخذوه وسيلة من وسائل العيش، والثأر الذي لا يفسل عاره الا الدم، وبذلك كانت حياتهم عمادها الحرب والغارة. والاستعداد توقعاً للخطر، فهم شاكو السلاح، حاضر والعدة، معتصمون بصهوات جيادهم، يجردون في قعقة السيوف ووقع الاسنة وصهيل الخيل، استجابة لمعاني البطولة والقوة في نفوسهم. وقد سميت حروبهم ووقائعهم اياماً لانهم يتقاتلون نهاراً فاذا جاء الليل حجزهم وفرقهم، فاذا حل اليوم الثاني عادوا للقتال.

(١) زهر الاداب - المصري ٢٥/١ ط السادة ١٣٧٢/٥١٩٥٣م

وايام العرب كثيرة بحيث يقال ان ابا عبيدة (معمر بن المثنى - ٢١١ هـ) الف كتاباً^(١) جاء فيه ذكر مائتين والـ الف يوم ، ولم يصل اليـنا هذا الكتاب . ولكن كتابه شرح النقائص ، حفظ طائفة كبيرة من تلك الايام . وقد ذكر الميداني في كتابه (مجمع الامثال) اثنين وثلاثين ومائة يوم ضبط اسماءها وبين احداثها والقبائل التي اشتركت فيها . وقد كانت الايام هذه مادة غنية للشعراء . فكان الشعر صدى واضحا لها ، حكى وقائعها ووصف هولها وبكى قتلاها ، وتوعد الخصوم ، وطالب بالثأر ، وافتخر بالنصر وعيّر بالهزيمة . وقد كانت الكتب التي عنيت بالايام^(٢) دواوين وملاحم رائعة صادقة ، حفظت ذلك الشعر ، الذي ما زالت روعته ونخامته تهز سامعيه ، وتبعث فيهم روح البطولة والـ بسالة والـ الحماسة .

(٣)

وحياة العرب في الجاهلية لم تكن مقتصرة على هذا الشكل القبلي العصبي الضيق ، الذي تتحكم فيه الحمية ، وتعبث به العصبية والنزعات الفردية ، فقد انشأ العرب في قلب الجزيرة وأطرافها دولا وممالك واذا شئت الدقة ، امارات ، ونعرف منها - في هذه الفترة التي سبقت الاسلام - ثلاث امارات : امارة المناذرة في العراق . والغساسنة في الشام ، وكنـدة في شمالي نجد عند دومة الجندل . وقد

(١) النهـرسـت - ابن النديم ص ٨٩ ط أوربا .

(٢) ام الكتب التي اعنت بالايام : نقائص ابي عبيدة ، والاغانى ، وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الاثير ، والمقد الفريد ، ونهاية الارب للنويرى ، وجم الامثال للميداني وغيرها .

كان حظ الامارتين الاوليين عظيمًا ، من الترف والرخاء ، والحضارة ، وقوة السلطان .

فاما المناذرة : فقد اتخذوا الحيرة مستقرا لهم وعاصمة^(١) . وهم من قبيلة لحم اليمنية . وقد جاءوا العراق هم وبعض قبائل عربية - عرفوا باسم تنوخ - في حوالي القرن الثالث الميلادي^(٢) ونشأت امارة المناذرة في كنف الدولة الساسانية ، التي رأت ان تستفيد من استقرار العرب على حدودهم الغربية ، ليقوموا بحماية هذه الحدود ضد من يعتدي عليهم من الروم ، او عرب البادية ، وكان ذلك في عهد سابور الاول (حوالي ٢٤١ - ٢٧٢ م) . واول ملك للمناذرة هو عمرو ابن عدي اللخمي ثم ولى بعده ملوك من اسرته ، كان اهمهم واشهرهم (النعمان الاعور)^(٣) او السائح . صاحب قصري الخورنق والسدير ، وكتيبي الشهباء ، والدوسر . وكان معاصر لـ (يزدجرد الاول) (٣٩٩ - ٤٢٠) الذي ارسل اكبر ابنائه (بهرام جور) الى النعمان في الحيرة لينشأ في بيئة عربية ، ويتعلم الفروسية وفنون الصيد ، وينعم بصحة البادية ، وقد اتقن بهرام اللغة العربية واحب اهلها ، فلما تولى الحكم بعد ابيه قرب عرب الحيرة اليه ، وذكروا لهم نصرتهم اياه حين شب النزاع بينه وبين اخيه حول العرش بعد موت ابيهما يزدجرد^(٤) . ومن ملوك المناذرة اللامعين : المنذر بن ماء السماء (حوالي

(١) تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية على بعد ثلاثة أميال من المكان الذي ببيت فيه الكوفة . والحيرة لفظ سرياني معناه الحصن المنتظم - ابن الجوزي ١٧١/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٢٦/٢

(٣) سمي السائح لأنه كان تزهد وهجر الملك في زمن بهرام جور . أبو الفداء ٧٠/١

(٤) مروج الذهب - المسعودي ٤٠٢/٢ ط اوربا

٥١٤ - ٥٥٤) صاحب الغريين المشهورين ، ويومى النعيم والبؤس^(١) .
 وكان المنذر معاصراً لـ (قُباذ) ملك الفرس ، وكان قباذ قد اعتنق
 المزدكية واتخذها ديناً رسمياً للدولة . وأراد ان يغري المنذر بها . فلما
 رفضها المنذر عزله وولى الحارث بن عمرو امير كندة مكانه . الا ان
 الايام لم تمهل قباذ ، فسرعان ما هلك وخلفه كسرى انوشروان ، الذي
 كان يبغض المزدكية ، فاعاد المنذر الى حكم الحيرة^(٢) . وقد عرف
 المنذر بغاراته الشديدة ضد الفساسنة حتى قتل في يوم (أباغ)^(٣) .
 وخلف المنذر ابنه عمرو بن هند (٥٥٤ - ٥٦٩ م)^(٤) الذي عرف
 بالمحرق ، لانه قتل مائة رجل من تميم حرقاً بالنار يوم اواراة باليامة ،
 وكان طاغية مستبداً كرهه الناس والشعراء ، فهجوه ، وهو صاحب
 طرفة والمتلمس ، وقصته معها مشهورة ، وفيه يقول الشاعر :^(٥)

ابى القلب ان يهوى السدير وأهله

وان قيل عيش بالسدير غرير

به البق والحمى وأسند خفية

وعمر بن هند يعتدي ويجور

وقد قيل ان عمرو بن كلثوم التغلبي قتل عمرو بن هند ثأراً

(١) الاغانى ١/٨٦-٨٨

(٢) المختصر فى أخبار البئر ١/٧١

(٣) ابن الاثير - تاريخ الكامل ١/٣٢٦

(٤) الطبري ٢/٩٤ ط المسيلة - ويحدد جرجي زيدان تاريخ حكمه بسنة ٥٦٣ م

العرب قبل الاسلام ص ١٨٥-١٨٦ .

(٥) الاغانى ٢١/١٢٦ ط ساسي .

لكرامة امه ليلى ، حين أرادت هند ان تذلها بأن تستخدمها^(١) .

وكان اخر ملوك المناذرة النعمان الثالث بن المنذر الرابع (٥٨٠ - ٦٠٢) المكنى بابى قابوس ، الذي امتد سلطانه الى البحرين وعمان ، وشهرت لطاغه التي كانت اجارتها سببا في حروب شغلت قبائل قيس ردحا من الزمان. وكان الشعراء يؤمون بلاطه ، ويحفظون برعايته ، فقد ذكرت كتب الادب اخبارا عن جملة من الشعراء منهم : النابغة الذبياني (وفي النعمان قال اعتذارياته المشهورة) والمنخل اليشكري ، ولييد ، والمثقب العبيدي ، وغيرهم^(٢) .

وكانت نهاية النعمان في سجن كسرى الثاني الذي نكل به ورماه تحت ارجل الفيلة فحطمته . لأنه قتل عدي بن زيد العبادي . وبسببه كانت وقعة ذي قار ، حيث انتصرت قبيلة بكر - حمية للنعمان - على الفرس وعلى اياس بن قبيصة الطائي . الذي نصبه الفرس خلفا للنعمان . وبقي أمر الحيرة مضطربا حتى فتح المسلمون العراق عام ٦٣٣ م . واذعنت الحيرة لخالد بن الوليد^(٣) .

* * *

واما امارة الشام ، فقد اسسها الغساسنة ، وهم - كالمناذرة -

(١) الاغانى ٥٢/١١ ط الدار والشعر والشعراء ١١٨-١١٩ ط ليدن . ويشير عمرو بن كلثوم الى ذلك في قوله من المعلقة :

تهدنا وأوعدنا رويدا متى كنا لامك مقتونيا

(البيت في شرح المعلقات لتبريزي ص ١١٧ ط لايل)

(٢) الاغانى ٣/١١ ط الدار

(٣) المختصر في اخبار البصر ٧٢/١ وتجابوب الامم - ابن مسكويه ص ٢٥٠-٢٥٢

ط ليدن .

من عرب الجنوب نزحوا الى الشمال . مع قبائل كثيرة اهمها جذام ، وعاملة ، و كلب ، وقضاة . وقد اقاموا امارتهم في شرقي الاردن ، ولم يتخذوا لهم حاضرة بعينها . وان كانت منطقة الجولان اشهر مناطقهم ، واشتهرت الجابية كذلك بانها كانت مقراً لملوكهم فعرفت بجاوية الملوك^(١) . كما عرفت جلق - بالقرب من دمشق - من ضمن منازلهم .

وتاريخ الفساسنة غامض على خلاف تاريخ المناذرة الذي كان مكتوباً ومحفوظاً في بيع الحيرة . قال ابن الكلبي : « إني كنت استخراج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة الحيريين ومبالغ أعمال من عمل منهم لآل كسرى ، وتاريخ نسبهم ، من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها »^(٢) . أما تاريخ الفساسنة فقد كتب باليونانية ولم تكن صلة العرب باليونانيين مثل صلتهم بالفرس ، وندر منهم من كان يتقن اليونانية ، ولهذا كثر الاضطراب في تاريخ الفساسنة عند مؤرخي المسلمين .

لقد قامت دولة الفساسنة في أواخر القرن الخامس الميلادي ، (حوالي ٤٩٢ م)^(٣) بعد أن تغلبوا على الضجاعة ، فقر بهم الرومان منهم وجعلهم درعا واقيا لهم ولحدودهم ضد غارات الفرس والمناذرة . وأول مؤسس لدولتهم هو جفنة بن عمرو مزيقيا ، لذلك يسمون آل جفنة . وأشهر ملوكهم وأقواهم الحارث بن جبلة (٥٢٨ - ٥٦٩ م)

(١) تاريخ العرب - جواد علي ١٥٢/٤ - ١٥٤

(٢) تاريخ الطبري ٢٧/٢ ط اوربا

(٣) محمد دوبرسيفال تاريخ اقامة دولة الفساسنة بالشام بحوالي سنة ٤٩٢ م :

C. De Perceval : Essai Sur L'histoire des Arabes.

V. 2. P. 189.

المعروف بالحارث بن أبي شمر الذي عرفت حروبه ضد الفرس وضد المنذر بن ماء السماء، أمير الحيرة، الذي قتله الحارث في يوم حليمة. وقد كان ذلك على عهد الامبراطور (جستينيان) الذي انعم على الحارث بالاكيل، واعترف بسيادته المطلقة على جميع عرب الشام، ومنحه لقب فيلارك، أي شيخ القبائل، وبطريق، وهو أعلى لقب بعد الامبراطور، وكان الحارث نصرانيا على مذهب اليعاقبة^(١). وخلفه ابنه المنذر بن الحارث (٥٦٩-٥٨١ م) الذي هزم أبا قابوس ملك الحيرة سنة ٥٧٠ م في معركة عين أباغ^(٢). وكان آخر ملوك الغساسنة جبلة بن الايهم الذي حارب المسلمين في صفوف الروم، ثم أسلم في عهد عمر بن الخطاب ثم ارتد الى النصرانية. قال ابن خلدون: «ولما فتح المسلمون الشام وأسلم جبلة، واستشرف أهل المدينة لمقدمه حتى تناولت النساء، من خدورهن لرؤيته لكرم وفادته، وأحسن عمر نزله وأحله أرفع رتب المهاجرين، ثم غلب عليه الشقاء ولطعم رجلا من بني فزاة، وطى، فضلل ازاره وهو يسحبه في الارض، وتابذه الى عمر في القصاص، فاخذته العزة بالاثم، فقال له عمر: لا بد أن أقيده منك، فهرب الى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة ٥٢٠»^(٣) على أن الاخبار تصور جبلة وهو نادم على رده، أسف على فعلته في عصيان عمر، وتروى له في ذلك هذه الايات^(٤):

(١) O'Leary : Arabia before Mohammad. P. 21.

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ١٣٥/٤

(٣) تاريخ ابن خلدون ١١٢/٢ ط بيروت

(٤) الاغانى ١٥/١٦ ط بولاق

تنصرت الاشراف من عار لطمه
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة
وبعت لها العين الصحيحة بالعمور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني
رجعت الى القول الذي قاله عمر

وقد كان بلاط الفساسنة - كما كان بلاط المناذرة - مقصد
الشعراء الذين نعموا بالهدايا والهبات، مثل حسان بن ثابت، والنابغة
الذبياني، والاعشى، والمرقس الاكبر، وعلقمة الفحل، وغيرهم .
هاتان الامارتان العربيتان على حدود فارس والروم كانت العلاقة
بينهما علاقة حرب ودماء وثارات، وقد قامت بين هاتين الامارتين،
امارة ثالثة لم يكن ولاؤها لملوك فارس او الروم، بل كانت تمحض
ودها لعرب اليمن من الملوك الحميريين (ملوك سبأ وذي ريدان
ويمنات) وتلك هي امارة كندة ذات الاصل الجنوبي ايضا، وقد
قامت هذه الامارة في القرن الرابع الميلادي شمالي نجد، واتخذوا
دومة الجندل حاضرة لهم^(١). وقد عرف من ملوك هذه الامارة
- التي لم يكن لها شأن الامارتين السابقتين ولا حضارتها - حجر الملقب
بأكل المرار، الذي دانت له القبائل الكثيرة في نجد، وامتد نفوذه
حتى اليمامة، وكان فيمن دان له بالطاعة قبيلتا بكر وتغلب، وان
تمردت القبيلتان بعد عهده، حين ولي الحكم ابنه عمرو المقصور، ثم

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢١٥/٣

قامت الحرب بين بكر وتغلب ودامت طويلا قيل انها استمرت اربعين عاما ، وتلك هي حرب البسوس .

وكان خير عهود كندة ، واشدها نفوذا ، وأوسعها رقعة ، عهد الحارث بن عمرو ، حيث دانت له قبائل نجد واصلح بين بكر وتغلب فدانتا له ، وقد نظم حكمه بأن اقام ابنه شرحبيل على بكر ، وابنه الثاني معد يكرب على تغلب ، وولى على قبائل قيس عيلان ولده سلمة ، اما الابن الرابع حجر ابو امرى . القيس الشاعر فقد حكمه على بني اسد . وكان من قوة الحارث ، وسعة سلطانه ، ان عقد محالفة بينه وبين امبراطور بيزنطة ، وشن حملات على المناذرة ، فوفق في غير معركة . ولما خلع قباذ ملك الفرس المنذر بن ماء السماء عينه حاكما على الحيرة - كما مر بنا - غير ان الامور لم تستقم للحارث ، فسرعان ما مات قباذ ، وجاء كسرى انوشروان ، فعزل الحارث واعاد المنذر الى حكم الحيرة^(١) . واشتد الصراع بين الحارث الكندي وبين المنذر ، وكانت نهاية الحروب ان قتل الحارث وتداعت دولته ، واختلف ابناؤه بعده ، فاقتتلوا فيما بينهم فقتل كل من شرحبيل وسلمة ، وجن معد يكرب وثارت بنو اسد على حجر فقتلته ، وحاول امرؤ القيس ابنه ان يسترد ملك ابيه ويثأر من بني اسد فخابت مساعيه ، وكانت نهايته حين رحل الى امبراطور بيزنطة ليستعين به على محاربة المنذر فلم يعنه ومات في تلك الرحلة .

ومها يكن من شيء ، فان امارة كندة لم تبلغ من المجد والسلطان

(١) المختصر في اخبار البشر ٧١/١

واسباب الحضارة والرخاء ، ما بلغت امارة المناذرة في العراق ، ولا امارة الفساسنة في الشام ، وكان عهدا قصيرا ، ونفوذها مقتصرا على عرب البادية ، على حين كانت الامارتان الاخرتان تتمتعان بسلاطنهما على سكنة الحواضر والبوادي على حد سواء .

هذه هي الصورة العامة للحياة القبلية والحضرية في القرن السادس ، وهي صورة عرفت بعلاقات سكان الجزيرة وارتباطاتهم ونظمهم وطبيعة الحكم عندهم ، ونظرتهم القبلية التي حددت صلاتهم بالدول الاجنبية . وهذا هو الجانب السياسي من هذه الحياة فما نصيب المنطقة من الحيوانات الاخرى الاجتماعية والفكرية والدينية؟ ذلك ما أحاول أن أبينه فيما يلي من فصول .



الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

(١)

العرب في الجزيرة العربية قسماً : أهل و بر و بادية ، وأهل مدر و حاضرة ، فالمناطق التي يجودها المطر ، وتكثر فيها المياه والابار ، تكون مناطق زرع ورعي واستقرار ، ثم تقوم فيها الابنية ويكثر العمران وتنشأ فيها أسباب الحضارة ، وتنشط التجارة والاسواق ، وسكان هذه المناطق هم أهل المدن التي كانت حول الجزيرة ، في الحجاز واليمن والعراق والشام ، و قليلاً ما تكون في قلب الجزيرة ، لانها صحراوية او جبلية مجدية الحياة فيها قاسية ، فلا تتفق والحياة المستقرة ، فيحتاج لذلك سكانها الى الرحلة والنقلة ، طلباً لمساقط الغيث ومنابت الكلاء . و اذا قلنا الرحلة ، فلا نعني بها التجوال المستمر الذي لا قرار فيه في ارض معروفة ، او بقعة معينة ، بل لكل قبيلة منازل في الصيف ، ومنازل في الشتاء معلومة مبينة . ومع كل ذلك ، فان هذا التقسيم الاجتماعي بين البدو والحضر ، لا يفهم منه انقطاع البادية عن الحضارة او انعزالها ، فاذا صح ان بعض القبائل المتبدية كانت منقطعة متوحشة ، لاهم لها الا الغزو وانتجاع الكلاء ،

فان كثرة القبائل كانت على صلة دائمة بالمدن ، تتزود منها وتتأثر بها ، وان حياة المدن نفسها كانت حياة قبلية ، فايثرب الا مستقر لقبيلتي الاوس والحزرج ، والطائف كانت مصطاف بني عامر ثم مستقر ثقيف ، ومكة مدينة قريش . والواضح من هذا - في أن البادية لم تكن بمعزل عن الحاضرة .. ان القبيلة الواحدة قد يكون لها حاضرة وبادية في آن واحد : فقريش لها حاضرة ولها بادية ، جاء في اللسان : (قريش الاباطح اشرف واكرم من قريش الظواهر ، لان البطحاويين من قريش حاضرة ، وهم قطان الحرم ، والظواهر اعراب بادية ، وضاحية كل بلد ناحيتها البارزة) .^(١) و قبيلة مزينة كانت موزعة بين الجبال والقرى ، فقسم منها سكن جبل ورقان^(٢) ، وقسم آخر نزل في جبلي القدسين وقسم ثالث في جبلي نبهان وبقيتها استوطنت في قرية الفرع ، وهي قرية كبيرة غناء كما يصفها عرام السلمي^(٣) . وكذلك الامر في جهينة فقد كان منها من سكن الوبر في نواحي جبلي رضوى وعزور ، وسكن قسم آخر قرية ينبع ذات المزارع وعيون المياه الغزيرة ، وسكن قسم ثالث من هذه القبيلة قرية الصفراء التي تكثر فيها المزارع والنخيل وعيون المياه ، وموقعها فوق ينبع مما يلي المدينة^(٤) . والامثلة على هذا كثيرة .

تلك القبائل التي سكنت البوادي او التي سكنت الحواضر ، لم

(١) اللسان مادة (ضحا)

(٢) اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصبغ السلمي ص ١٦ تحقيق

عبدالسلام هارون ٥١٣٧٣ .

(٣) اسماء جبال تهامة وسكانها ص ١٨-١٩

(٤) المصدر السابق ص ٨

تكن طبقة واحدة متساوية وانما هي ثلاث طوائف اجتماعية : ابناء القبيلة ، ومواليها ، وعبيدها .

(أ) فابناء القبيلة الخالص الذين ينتمون اليها بالدم ، هم عماد القبيلة وقوامها وعليهم واجب حمايتها والدفاع عنها والعصبية لها .

(ب) ثم الموالى الذين هم ادنى منزلة من ابناء القبيلة ، وهؤلاء اما ان يكونوا : موالى بالجوار او الحلف ، وهو ان يحتمى بعض الافراد بقبيلة اخرى غير قبيلتهم ، فتتمهد بحمايتهم ، او يحتمى بفرد من ابناء القبيلة فيكون مولاه ويعيش في ظل القبيلة ولكل منهما ان يرث صاحبة اذا مات قبله ، وحقوق المولى - على كل حال - لا تبلغ حقوق الاصيل ، فلا يستطيع المولى ان يجير على القبيلة كما يجير ابنها عليها ، وسرعان ما تنعقد بين المولى وجاره رابطة قوية ، فالحامي يحافظ على عهده وجواره ، ويحرص على الوفاء له ، فإنه كان من اقبح العيوب عندهم نقض العهد والغدر ، وهم يحقرون من يقعد عن نصره جاره أو يغدر به ، حتى انهم كانوا يرفعون بذلك لواء في الاسواق تعبيراً وتشهيراً ، قال الحادرة (قطبة بن أوس) يخاطب امرأة :^(١)

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة

رفع اللواء لنا بها في مجمع

أو يكون المولى من الخلقاء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جنائياتهم ، فيستجير أحدهم بقبيلة اخرى فتجيره ، ويكون كأحد ابناءها له مالهم

(١) المنضليات ص ٥٦ وحامدة البحرى ص ٢١٦ ط لندن او ١٤٩ ط لويس

وعليه ما عليهم ، ومن هؤلاء الخلفاء طائفة الصماليك ، كالشغري وتأبط شرا وعروة بن الورد وغيرهم . على أن الخلع لم يكن هيناً ميسوراً ، وما كان يحدث إلا في حالات نادرة معدودة ، فالفرد عزيز على قبيلته وهو حريص عليها حرصه على حياته .

ومن الموالي أيضا العبيد المعتقون ، فهم في حماية القبيلة وتكون العلاقة بين المعتق والعتيق ولاء ، فلا ينسى العتيق فضل سيده وحسن صنيعه .

(ج) وطائفة ثالثة في القبيلة هي : العبيد ، وكانوا عادة من اسرى الحروب أو ممن يجلب من الأمم الاخرى ، كالأحابيش (الرقيق الاسود) المجلوب من الحبشة وما حولها^(١) وكان هؤلاء العبيد أقل مكانة من الموالي ، ويقومون بالاعمال الشاقة المرهقة^(٢) ، وكانت حالتهم بانسة مزرية ، ولا سيما الذين كانوا في ملك اناس قساة القلوب غلاط الالكباد ، وقد كان في مكة كثير من العبيد ، وكانت قريش تستخدمهم في حراسة قوافلها التجارية وفي الحروب ، يدل على ذلك اشتراك وحشي وغيره في يوم أحد ، وقول كعب بن مالك في مقتل حمزة بن عبد المطلب :

فلاقاه عبد بني نوفل يبربر كالجمل الأذعج

وقوله ايضاً يصف جيش قريش يوم أحد وفيهم العبيد :^(٣)

فجئنا الى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع

(١) المهر - محمد بن حبيب ص ٣٠٦ - ٣٠٨ . وقد ذكر ابناء الحبشيان في الجزيرة .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ص ٥١ - ٥٢

(٣) السيرة النبوية ٢/١٣٦ ، ١٣٨ ، والاغانى ١٥/٢٨ ط ساسي .

(٢)

ويجمع أبناء القبيلة هؤلاء - الخالص منهم والموالي والعبيد - ولا ،
وعصبية ، وتضامن ، أحكم عراه حرصهم على شرف القبيلة ومجدها ،
فالاخلاص للقبيلة رباط وثيق بين الجميع ، وعليهم ان يضحوا بكل
شيء في سبيلها ، وان الفردية التي عرف بها العربي لتفنى وتذوب في
القبيلة ، وهو يرى ان خير القبيلة خير له ، وعليه ان يتحمل اوزارها ،
وينعم بنجورها ، ويهب لنصرتها حين يدعوه الداعي ، وهو مع قبيلته
على كل حال ، سواء عليه أكانت قبيلته تلك غاوية ام راشدة ،
ومصدق ذلك قول دريد بن الصمة :^(١)

وهل أنا الا من غزية ان غوت

غويت وان ترشد غزية أرشد

ولم يكن امر القبيلة فوضى - كما قد يبدو - بل كانت لها اصول
مرعية في داخلها ، تنظم علاقة الافراد بعضهم ببعض ، كما ان لها
نظامها الخارجي الذي يحدد صلاتها بالقبائل الاخرى ، وهناك روابط
عامة ومثل عليا يلتقى عندها العرب جميعا ، لانهم يرون فيها بغيتهم
التي تكسبهم العزة والرفعة والمجد والذكر الحميد ، وتلك المثل جماعها
المروءة والخلال الطيبة ، مثل : الكرم والامانة والوفاء وحماية الجار
والحلم وسعة الصدر والاعراض عن شتم اللئيم والنجدة والقوة والصبر
عند البلا . .

وأبرز خصلة يعتز بها العربي ويتميز بها عن غيره هي الكرم

(١) الاصمعيات ص ١١٢ ط دار المعارف . وشرح المرزوقي على الحاسة ٢/٨١٥ .

ط هارون . غزية : من قبائل بني جشم

والسماحة والبذل، ومهما قيل عن أسباب الكرم ودوافعه عند العرب، من قسوة الحياة، وجذب الصحراء، والمحل وانتشار الفقر، ونفاد الزاد، فإن الكرم في العرب سجية متأصلة في نفوسهم، فهم يلقون الضيف بالبشر والترحاب ويبدلون له أجود ما لديهم من طعام وخير طعامهم لحم الشياه والابل^(١)، ولم يكن كرمهم خاصا ضيق الحدود، بل كانوا يكرمون الغريب والبعيد، من يعرفونه ومن لا يعرفونه، حتى عدوم اذا نزل فيهم استبشروا بمقدمه واكرموا وفادته، كانوا يكرمون سراة الناس ووجوههم، كما يكرمون فقراءهم من اليتامى والارامل والبائسين والمرملين، بل كان نفرهم باطعام الفقراء اشد من غيره، لم يشذ احد منهم عن ذلك غني او فقير، وما قولك بقوم يغيرون على أموال الاغنياء فيقسمونها بين الفقراء، ويتساوى في طبيعة الكرم هذه السادة والعييد والخلما والصعاليك، فهذا عروة بن الورد الفارس الصعلوك^(٢) كان يجمع الى خيمته فقراء قبيلته عبس والمعوذين منهم والمرضى، يتخذ لهم حظائر يأوون اليها ويفيض عليهم مما ينعم^(٣). ويكفى هذا الصعلوك شرفا ان تمنى ملوك المسلمين الانتساب اليه، نقل عن عبد الملك بن مروان انه قال: « ما كنت احب ان أحدا، ولدي من العرب الاعروة بن الورد لقوله:

أتهزا مني أن سمنت وان ترى

يجمسي مس الحق والحق جاهد

(١) فتوسم والاستقصاء واجم كتاب الدكتور الحوقى (الحياة العربية في الشعر

الجاهلي فصل الكرم ص ٣٠٨ - ٣٢١)

(٢) انظر اخلاق الصعاليك ومذهبهم وكرمهم في الحياة العربية ص ٢٩٩-٣٠٦

وكذلك كتاب الصعاليك في الشعر الجاهلي ليوسف خليف .

(٣) الاغانى ٧٨/٣ ط الدار

لائي امرؤ عافي انائي شركة
وانت امرؤ عافي انائك واحد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة
وأحسوقراح الماء والماء بارد»^(١)

وكانت العرب لا تترك وسيلة لهداية الضيفان اليها الا فعلتها ،
فهم يوقدون النار ليلا ليهتدي بضوئها من يراها ، وكان بعضهم يوقد
النار بحطب طيب الرائحة ليهتدي بهذه الرائحة من فقد نعمة البصر^(٢) ،
وهذا ضرب من الأريحية تنقطع دونه أعناق اللثام . وقد عرف من
أجواد العرب خلق كثير حتى ضربت بهم الامثال ، وما زال الناس
يتمثلون بكرم حاتم وغيره ، من أجواد العرب ، وكانوا يتمدحون
بالكرم ، وهم يرونه فرضا واجبا وقت الضيق والبرد والشدّة والقحط ،
فكانوا ينحرون ويطعمون حين تهب الصبا ، وقد خصوا الصبا لانها
لا تهب إلا في البرد والجذب ، وعرف اولئك بمطاعم الرياح ومنهم
الشاعر لبيد بن ربيعة الذي نسبت اليه هذه الرياح فأمر الكوفة
- الوليد بن عقبة - يمدحه بقوله :^(٣)

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل

(١) العقد الفريد ١/١٩١ . وانظر ديوان عروة ص ١٣٨ - ١٤١ ط الجزائر
١٩٢٦ الماني : طالب المروف . اناؤك واحد : اي تأكل وحدك . القراح : الخالص
الذي لا يخالظه لبن ولا غيره .

(٢) بلوغ الأرب ١/٧ - وانظرة الحياة العربية ص ٣١٥ - ٣١٦ حيث يرفض
الدكتور الحوفي هذا الرأي ويرى ان ايقاد النار بالندل ضرب من الترف واطهار المقدره
والتباهي بالثراء ورغبة ان يشموا رائحة الطيبة .

(٣) طبقات الشعراء - ابن سلام ص ١١٤ والشعر والشعراء ص ١٥٠ ، وكذلك
الاغاني ١٤/٩٤-٩٥ .

ولم يكن ليبد وحده يفعل ذلك ، بل فعل ذلك أبوه (ربيع المقترين) قبله ، ومثله في هذا كنانة بن عبد ياليل^(١) . وكذلك فعلت قريش^(٢) وفعل قريش هذا له دلالة . فهي في مجتمع حضري تسيطر عليه روح التجارة ، ومع ذلك لم يكن الكرم مقتصرا على البادية أو محدوداً بحدودها وبظروفها ، وأخبار الكرم والكرما في الجاهلية والاسلام أوسع من ان تحيط بها هذه الالمامة^(٣) .

وكانت طبيعة الحياة العربية تتطلب القوة والشجاعة والاقدام وركوب المخاطر والتجدد للمكاره والخطوب ، وقد دعاهم الى ذلك طبيعة الحياة المضطربة القائمة على الغزو والغارة والعداء فهم في حرب مضطربة الأوار لا تكاد تجبو حتى يشب ضرامها ، وما اسرع ماتستعر الحروب لامور ذات خطر او ليست بذات خطر ، ودواعي الحرب كثيرة عندهم فقد يتنافسون على شرف ورياسة ، او يتنازعون على ماء او مرعى ، او تكون طلبا لثأر قديم او غارة او مفاخرة ومنافرة ، كانت تشتد الحرب بسبب من هذه الاسباب او غيرها ، وان احدهم ليهب لنصرة قومه اذا سمع الصارخة ، وهو يعلم السبب او لا يعلمه ، وقد صور هذه الحال خير تصوير قريط بن انيف^(٤) :

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم

طاروا اليه زرافات ووحدانا

(١) ذكرم الميداني في التل (اقربى من مطاعيم الريح) بجمع الامثال ١٢٧/٢

(٢) الهجر - محمد بن حبيب ص ٢٤١

(٣) ينظر تفصيل ذلك في كتاب الدكتور الحولي (الحياة العربية في الشعر الجاهلي)

ص ٣٠٨ - ٢٢١ ط الرابعة .

(٤) شرح الحماسة للرزوقي ٢٧/١ - ٢٩ الناجد : ضرر الحلم ، مثل

لاشتداد الشر .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا

ويعزز هذه الحال ما روى عن عبد الملك بن مروان ، أنه سأل ابن مستطاع العنبري : « أخبرني عن مالك بن مسمع ، قال : لو غضب مالك لغضب معه مائة الف سيف ، لا يسألونه في أي شيء غضب »^(١) لقد كان الغزو ديدنهم والغارة معاشهم ، فكانوا يغيرون على الأعداء وعلى الأباعد ، فان لم يجدوا ذلك لا يترددون في ان يميلوا رؤوس الخيل نحو أقربائهم وذوي الأرحام منهم ، وقد عبر الشاعر القطامي (عمير بن شميم) عن هذا بقوله :^(٢)

وكنّ إذا اغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا

اغرن من الضباب على حلول وضبة انه من حان حاناً^(٣)

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ولا بد في هذا المجتمع الحربي من القوة لانها السبيل الوحيد للحياة الكريمة ، وهم يحتقرون الضعف - احتقارهم الجبن - لانه مظهر الذلة والهوان ، وقد ملئ شعراً بذكر الشجاعة والبطش والقوة ، واکرم الموت عندهم في ساحات القتال وهم يمتقنون الميتة حتف الأنف في غير ميادين القتال ، هذا الخطيئة يحتقر هذه الميتة بقوله :^(٤)

وشر المنايا هالك وسط اهله

كهلك الفتاة ايقظ الحي حاضره

(١) المقد الفريد ١٠٥/١

(٢) شرح الحماسة للتبريزي ٨١/١ . وشرح الحماسة للفرزوقي ٣٤٨/١

(٣) الضباب : تشمل ضبة وضبيب . وحسل وحسيل والحلول . الحلات النازلة

حولهم وفيهم .

(٤) ديوان الخطيئة ص ٤٥

وقد جاء أدبهم معبرا بصدق عن حياتهم الحربية، فوصفوا الحرب وهولها وابطالها وصرعها وادوات القتال فيها، من قنا وصورام ودروع وسهام وقسي^(١).

وهذه الحروب المستمرة المهلكة لا بد ان تنكشف عن صرعى من كلا الجانبين المتقاتلين، ودم القتل لا يذهب هدرا، بل لا بد من الثأر الذي به وحده تطفأ غلة الموتور ولا يغسل الدم الا الدم، فأما الدية فكانوا يرونها ذلا ومهانة لا يرضى بها الا الذليل وقد كان من حرصهم على اخذ ثأر القتل ان توهموا حوله الاساطير، وذلك ما عرف عندهم بالصدى والهامة، يقول الشاعر:^(٢)

يا عمرو الاتدع شتمي ومنقصتي

اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقد «بلغ من كلفهم بالثأر انهم كانوا يتجانفون النساء والخمر والطيب لانها ضرب من التنعم والبهجة لا يليق بحزين موتور، او لانها قد تلهى وتشغل عن الجد في الثأر»^(٣) ولا شك ان الثأر شر كله. فأكثر الحروب، وجل ايام العرب، قامت على الثأر او بسببه وقد تنتهى الحرب ويتبدل الزمان، ويتغير الناس، ينسون كل شيء، الا الثأر فانه يغلي في الصدور (وتبقى حزازات النفوس كما هيا) وان جريرة الثأر لا تقتصر على القاتل نفسه بل تصيب ابناءه، واخوته، واسرته، وكل فرد في قبيلته.

(١) راجع الحياة الرية - فصل الحرب - ص ٢٣٠-٢٧٦

(٢) امالي التالي ١٢٩/١

(٣) الحياة الرية في الشعر الجاهلي ص ٢٠٦

وإذا كان هذا مذهب العرب في الأثر والغلو بسفك الدماء ، فانهم لم يعدوا من كان يدعو الى السلم ، ويحث على حقن الدماء . وتحمل الديات ، كما فعل هرم بن سنان والعمارة بن عوف حين اصلاحا بين عبس وذبيان ، وتحملا ديات القتلى^(١) و كما صنع زهير بن ابي سلمى حين ندد بالحرب وكرهما الى الناس ، وحب اليهم السلم والموودة والصفح والتسامح وقد خصص جزءا غير يسير من معلقته لذلك ، و كما فعلت بهيسة بنت أوس الطائي حينما تزوجها العمارة ابن عوف ، ورفضت ان يقربها حتى يصلح بين عبس وذبيان ، واحتمل الديات مع هرم بن سنان^(٢) .

وكان العرب يحرصون على المثل العالية والخصال النبيلة ، ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها ، ومن تلك الخصال حفظ الجوار والوفاء بالعهد فهم يحرصون على جارهم حرصهم على شرفهم ، سئل اعرابي عن مبلغ حفاظ قومة فقال : « يدفع الرجل منا عن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه »^(٣) .

ويتمدح قيس بن عاصم بقومه فيقول :^(٤)

لا يفتنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فطن
وقد فطنوا لخصال الخير فذكروها في نخبها ، معتزين بنسبتها اليهم ، كالنجدة وحماية الضعيف ، والعفو عند المقدرة والحلم والتسامح ،

(١) الشعر والشعراء ص ٦١ ط أوروبا

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي ص ٤٦٣

(٣) المقدم الفريد ١/١٠٥

(٤) شرح الحماسة للمرزوق ٤/١٥٨٤ ط هارون واحد امين ١٣٧٢/١٩٥٣

وكانوا مع ذلك يأبون الضيم ويأنفون من الذل والهوان ، ولو ركبوا في سبيل ذلك المخاطر . وليس يبعيد ما ذكر عن عمرو بن كلثوم أنه أطاح برأس الملك انفة من أن تذلل أمه^(١) . وقد علمتهم بيئتهم القاسية الصبر والجلد واحتمال المصائب ومضاء العزائم .

تلك الحصال كانت اذا لم يشتطوا فيها ، خصال خير وشرف ، على أن هناك آفات ينخر منها جسم المجتمع العربي ، ومنها الخمر والميسر .

كانت الخمر عندهم من أهم متع الحياة ، وقل أن تجد شاعراً في الجاهلية لا يذكر الخمر فهي مظهر من مظاهر الفتوة والشباب والقوة ، يقول حسان بن ثابت :^(٢)

ونشربها ففتر كنا ملوكا وأسدا ما ينهنها اللقائم
كانوا يشربون الخمر لأنها تهز الأريحية ، وتبعث على الكرم ، يقول عمرو بن كلثوم :^(٣)

تري اللعز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا
وقد عنى العرب بالخمر ومجالسها ، فوصفوها مدققين بوصفها ، وذكر أنواعها وكؤوسها وندمانها ، وكانت مجالس الخمر تستكمل بالغناء ، حيث تغنى القيان أو ترقص في هذه المجالس ، وذكروا أن عبد الله ابن جدعان كانت له قينتان عرفتا بالجرادتين ، كانتا تغنيان في مجالس

(١) الاغانى ١١/٥٢ ط الدار ، والشعر والشعراء ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) ديوان حسان ص ١

(٣) شرح المعانيق للتبريزي ص ١٠٩ ط لايلى ، اللعز : البغيل أو السيل الحلقى .

امرت : ادبرت .

شربه وقد وهبها لأمية بن أبي الصلت حيث كان قد مدحه^(١). وكان من العرب من يدمن شربها ، فتعبت بعقله وسلوكه ، حتى تضيق به قبيلته فتخلعه متبرئة من جرأته ، مثل ما برئت كنانة من البراض ابن قيس ، إذ كان سكيراً فاسقاً^(٢). وكذلك كان طرفة حيث يشير الى ان قبيلته قد تحامتة ، وافردته كما يفرد البعير الاجرب ، لاسرافه في الخمر والمجون :^(٣)

وما زال تشرابي الخمر ولذتي
وبيعى وانفاقي طريني وملتدي
الى ان تحامتني العشيرة كلها
وافردت افراد البعير المعبد

على ان من عقلاء العرب في الجاهلية من اعرض عن الخمر وترفع عن شربها ، لما تفعله في الانسان من ذهاب العقل والحلم والوقار ، وما تجلبه من مهانة وطيش وسفه ، ومن اولئك الذين هجروا الخمر العباس بن مرداس ، وقيس بن عاصم ، وكثير من الصحابة كعثمان ابن عفان ، وعبدالرحمن بن عوف وأبي بكر ، وعثمان بن مظعون ، وغيرهم ، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة انها قالت : « ما شرب ابو بكر رحمة الله عليه خمرأ في جاهلية ولا اسلام »^(٤) ، وقد قيل للعباس ابن مرداس في جاهليته : « لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك ،

(١) الاغاني ٣٢٧/٨ ط الدار

(٢) الاغاني ٧٥/١٩ ط ساسي

(٣) شرح المعلقات للتبريزي ص ٤٢

(٤) كتاب الاشرية - ابن قتيبة ص ٢٤ ط دمشق ١٣٦٦/١٩٤٧ تحقيق

محمد كرد علي .

فقال : ما أنا بأخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي ، وأصبح سيد قومي وأمسى سفيهم»^(١) ، وقد ذكر أبو الفرج :^(٢) انه ما مات احد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمر استحياء مما بها من الدنس . اما نساؤهم ، فلم يعرف ان امرأة منهم شربت الخمر في جاهلية ولا اسلام^(٣) .

وإذا ذكرت الخمر فيذكر معها القمار والميسر ، وقد تمدحوا بالميسر لأنه وسيلة من وسائل الانفاق والكرم واطعام الفقراء ، وأكثر ما يفخرون به عند البرد والقحط . فقد كانوا يعطون الفقراء وذوي الحاجة نصيبهم من الجزور حين يربحون ، وكانوا يرون ان من كمال الفتوة والكرم ان يقامر المرء ، ويذمون من لا يدخل معهم في الميسر ويسمونهم (البرم) يريدون به البخيل عديم المروءة . قال لبيد يمدح قومه بلعب القمار :^(٤)

وبيض على النيران في كل شتوةٍ

سراة العشاء يزجرون المسابلا

كان فتيان الجاهلية يفخرون بانهم يتعاطون الخمر والميسر ، ويتمتعون بالنساء ، وتكاد تكون هذه الامور الثلاثة من مظاهر الفتوة عند بعض شبانهم ، وقد جمعها المنخل اليشكري في قصيدته الرائية التي أولها :^(٥)

إن كنتِ عاذلتِ فسيري نحو العراق ولا تحوري

(١) كتاب الاثرية ص ٢٥

(٢) الاغانى ٨/٣٣٢

(٣) كتاب الاثرية ص ٣٠

(٤) الديوان ص ٢٤٩ ، سراة العشاء : وقت الضيف . المسابيل : القداح .

(٥) شرح الحماسة للمرزوقي ٢/٥٢٦-٥٢٩ ط هارون

وتتمثل خلال الفتى من هؤلاء في شخص طرفه الذي قرن بين
الخمر والفروسية والتمتع بالنساء. ولولا هذه الخصال الثلاث لما حفل
متى قام عنه العائدون: ^(١)

فلولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عودي ^(٢)
فهنن سبق العاذلات بشربة
كيت متى ما تمل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المضافُ محنباً
كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد

لقد كانت متع الجاهلية متلازمة يكمل بعضها بعضاً ، وقد كان
من أسباب نكوص الاعشى عن الاسلام ، أن أباسفيان تصدى له
وهو في طريقه الى المدينة ليسلم - وقد أعد قصيدة في مديح رسول
الله صلى الله عليه وسلم - فقال له : ان محمداً يحرم الخمر والزنا والقمار
فصرفه عن الاسلام ^(٣) .

لقد صر بنا أن المرأة كانت من متع الشباب في الجاهلية ،
والمرأة هنا هي القينة والجارية ، اما الحرة فقد كان لها منزلة رفيعة

(١) شرح القصائد العشر - التبريزي ص ٤٣ ، ط لايل
(٢) المود : من يحضره عند المرض . المضاف : الذي نزلت به الهموم . المحنب :
فرس يمدعما بين الرجلين . السيد : الذئب . المتورد : الذي ورد الماء . البهكنة : المرأة
التامة الخلق .

(٣) السيرة النبوية ١/٣٨٦ وما بعدها ، الاغانى ٩/١٢٦ ط الدار

في نفوسهم ، فقد كانت تشارك الرجل في كثير من الاعمال تربي الاولاد ، وتخرج الى القتال تضمم الجرحى وتقزل وتنسج ، ومنهن من تحترف تجميل النساء . او إرضاع الاطفال وتوليد النساء . او تقويم الرماح ، ومنهن من تنسج الشياح وتصلح الخيام وتطهي الطعام وتعمل في الحقل كما يعمل الرجل ، ومنهن من ترعى الماشية وتطلى الابل الجرب وتجنى الكمأة وتحلب اللبن ، الى غير ذلك من الاعمال والصناعات^(١) ومنهن الشريقات الموسرات اللواتي تخدمهن الجوارى فتكفيهن هذه الاعمال ، وكان الكثير منهن سافرات يقابلن الضيفان ويجلسن اليهم في حشمة ووقار ، وكان لبعض النساء من بنات الاشراف حق في اختيار ازواجهن ، على نحو ما عرف عن هند بنت عتبة حين استشيرت في خاطبها ابي سفيان^(٢) . واذا حدثت الحرب فانها تخرج - في بعض الاحايين - الى ميادين القتال ، لتشير همم الرجال ، وتحرضهم على الاستماتة وتنشدهم الاناشيد الحماسية وتهدى لهم النبال وتضمم الجرحى وتسقي الماء . وكانت سببا في اثارة كثير من المعارك ، فتدفع الرجل الى طلب الثأر وتعير القاعدين عن ذلك ، قالت ام عمرو بنت وقدان تحرض قومها على الثأر لاختيها^(٣) :

فان أنتم لم تطلبوا بأخيكم

فذرنا السلاح ووحشوا بالابرق

(١) انظر (صناعات المرأة) في الحياة العربية للدكتور الحوفي ص ٣١٦-٣٢٩ الطبعة الاولى .

(٢) امالي القالي ١/١٩٨

(٣) شرح الحماسة للرزوقي ٣/١٥٤٦ وحشوا : اطلبوا صيد الوحش . الابرق مكان فيه حجارة سود وبيض . المجاسد : الثياب المصبوغة بالجماد وهو الزعفران نقب النساء : ازهرن .

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا

نقب النساء فبئس رهط المرهق

وقد نزلت المرأة من نفس العربي منزلة رفيعة، فهي الام والاخت والبننت والحبيبة ، وقد عنى الشعراء بها عناية كبيرة فهي مصدر الهامهم ، بذكرها تنشط القرائح وتهيج العواطف وتهتز النفوس ، وهم يفتتحون القصائد بمخاطبتها ومناجاتها ، ويقفون على ديارها وقفة شوق وذكري ، ويبشونها اشواقهم واحاسيسهم ، ويذكر الشعراء المرأة على انها الحريصة على البيت الحافظة للمال التي تلوم على الاسراف والتبذير ، يقول حاتم :^(١)

أماوى ان المال غاد ورائح

ويبقى من المال الاحاديث والذكر

أماوى انى لا اقول لسائل

اذا جاء يوماً حل في مالنا نذر

ومها يكن من شيء فان مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي - وفي غير الجاهلي - دون مكانة الرجل بكثير ، والعرب تحب الذكور لانهم جنود القبيلة ورجالها الحماة ، اما المرأة فلا تغنى في الحرب شيئاً ، بل تكون عبئاً على القبيلة لانها مقصد الاعداء يريدونها سبية ، وسبى المرأة عندهم عار لا يسكت عنه ، ولا يقعد دونه ، الا الوغد الذليل ، وليس ادل على بغضهم للاناث من قول الله تعالى يصف حالهم : «واذا بُشِّرَ أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم

(١) ديوان حاتم الطائي ص ٣٩ ط لندن ١٨٧٢

من سوء ما بشر به ، أي مسكه على هون أم يدهسه في التراب الاساء .
 ما يحكمون»^(١) وقد كان منهم من يتخلص من الاناث بوأدهن -
 كما تشير الآية الكريمة - خوف الفقر أو خوف العار ، وقد نهى
 الاسلام عن هذه العادة البغيضة وندد بفاعليها فقال تعالى : « ولا تقتلوا
 اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وان قتلهم كان خطأ
 كبيراً »^(٢) على ان حوادث الوأد كانت قليلة ومحصورة في قبائل من
 الاعراب الجفاة ، من مثل اسد وتيم ولم تكن عامة في القبائل^(٣) وكان
 من العرب من ينكر هذه الفعلة ، ويبدل المال ليفتدى المؤؤدات ،
 كما كان يفعل صعصعة بن ناجية ، قال الفرزدق يفتخر بفعال جده :^(٤)

ومنا الذي منع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم تؤأد

تلك حال المرأة الحرة ، اما الامة فهي دون الحرة منزلة ، واكثر
 الاماء^(٥) من السبى او الرقيق ، ومنهن القيان والجواري اللواتي
 يكثرن في حوانيت الخمارين ، وكن متعة السكارى والفساق من
 اصحاب اللهو والمجون .

وقد جاء الاسلام فأكرم المرأة - امة وحررة - فدعا الى العناية بها
 والعطف عليها فحرم ان تعضل أو تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها ،

(١) سورة النحل ٥٨-٥٩

(٢) الاسراء ٣١

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٩٢-٣٠٤

(٤) الكامل - المبرد ٢٧٢ ط لا ييزك ١٨٦٤ ، وديوان الفرزدق ٢٠٣/١

ط الصاوي ١٩٣٦/١٣٥٤

(٥) يفرق الدكتور الحوفي بين السبايا والاماء (فالسبايا عرييات يؤخذن قسراً
 في حرب أو غارة وتمنهن الدم ، اما الاماء فغير عرييات يشترين بالمال للخدمة والتسري)
 المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٨٩ ط اولى .

كما حرّم أنواعا شائنة من الزواج ، كانت عند الجاهليين ، منها نكاح المقت^(١) ونكاح الشغار^(٢) والجمع بين الاختين وان كانوا يكرهونه وينهى بعضهم عنه^(٣) كما نهى الاسلام عنه^(٤) .

وعلى كل حال فان مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي - على ما فيها من الهنات والمساوى . - مكانة كريمة ، والمرأة نفسها عرفت بالعفّة والادب والحرص على شرفها وكرامتها ، وهذا أمر طبيعي في مجتمع يتبوأ فيه العرض والشرف المكانة العليا ، ويحرص العربي فيه على عرضه حرصه على الحياة .

(٣)

أما مكاسبهم وحياتهم المعيشية ، فلم يكن حظ العرب من الرزق يختلف عن حظوظ الأمم الاخرى من اختلافهم في الموارد والمكاسب ، فسكان المدن العامرة في اليمن ومكة ويثرب والحيرة غير سكان البادية الموغلين في الصحراء ، وسكان المدن أنفسهم يختلفون في مستوياتهم المعيشية ، فمنهم التاجر الثري ، ومنهم العبد الرقيق ، ومنهم المسكين الضعيف ، وآخرون بين هؤلاء وهؤلاء ، وفي البادية أغنياء موسرون ، وفقراء صرملون ، وكذلك حياة الناس منذ كانوا حتى

(١) وهو ان يخلف على المرأة الابن الاكبر لزوجها - الاغاني ٩/١ . وكان الجاهليون انفسهم يشكرون هذا الضرب من النكاح ، وكانوا يسمون الولد منه (مقتى) او (مقتى) وقد حرّموا ضروبا اخرى من الزواج على انفسهم . وقد اقر الاسلام هذا التحريم الهبر - محمد بن حبيب ص ٣٢٥

(٢) ان ينكح الرجل وليته رجلا ، وينكح هو ولية ذلك الرجل بلا مهر . لسان

العرب وتاج المروس . ونهاية الارب ٢/٢٤٥

(٣) الملل والنحل - الشهرستاني ٣/٣١٧

(٤) سورة النساء ٢٣

اليوم . والذي يلاحظ ان الاحوال المعيشية في البادية قبيل الاسلام وaban ظهوره ، كانت تنحدر من الرخاء الى الشدة والعسر ، وآية ذلك ان الحاجة والعوز وسوء الحال ، دفعت بعض الاعراب ان يتظاهروا بالدخول في الاسلام لارغبة في الايمان بل طمعا في العطاء ، كما توضح الرواية التي تقول : « ان نفرا من بني أسد ثم من بني الحلاف ابن الحارث ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المدينة في سنة جدبة ، فظهروا شهادة ان لا اله الا الله ، ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وأفسدوا طريق المدينة بالعدرات وأغلوا الاسعار ، وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : اتتكم العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال - يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان... ويريدون الصدقة ويقولون : اعطنا ، فأنزل الله سبحانه فيهم : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ... الآيات »^(١) وقد بين القرآن الكريم التباين في الحياة المعيشية حين ندد بالذين يتعاطون الربا ، والذين يخسرون الكيل والميزان والذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، وبخاصة في مجتمع مكة .

وقد قسم بعض المؤرخين المسلمين العرب الى مراتب : فهم ملوك وغير ملوك ، وهؤلاء ، اهل مدر واهل وبر واهل المدر قسمان : زراع وتجار . اما الصناع ، فكانوا قلة ليس لها اثر واضح ، قال : « واما سائر عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين : اهل وبر وأهل مدر ،

(١) نهاية الارب ٢١/٨ وسورة الحجرات ١٤

فاما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الارض للتجارة، واما أهل الوبر، فهم قطان الصحارى، وكانوا يعيشون من البان الابل ولحومها منتجين منابت الكلال ومرتادين لمواقع القطر، فيخيمون هنالك ما ساعدتهم الخصب وامكنهم السرى، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه، فلا يزالون في حل وترحال.....»^(١)

ان الحياة في الجزيرة العربية موقوفة على الامطار وما تدره عليهم السحب في مواسم معينة، وهي قليلة على أي حال، ولذلك لم يتيسر للبادية أن تقوم فيها زراعة منتظمة بل نشطت الزراعة في المناطق التي تتوفر فيها المياه من العيون والآبار والامطار، فعرفت الزراعة في الجنوب والشرق ومدن وقرى الحجاز، مثل الطائف ويثرب وخيبر ووادي القرى. وقد صور القرآن الكريم حياة ثمود الزراعية المستقرة في غابر الزمان، قال تعالى: «أتركون في ما هاهنا آمينين في جنات وعيون وزروع ونخل ظللها هضيم، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين»^(٢) كما وصف المؤرخون المدن والقرى الزراعية التي كانت قبيل الاسلام، منها القرى المشهورة التي مر ذكرها، ومنها الواحات والقرى المنبثة في أنحاء من الجزيرة، وفي كتاب (أسماء جبال تهامة وسكانها) وصف لكثير من هذه القرى، قال المؤلف يصف قرية الصفراء: «قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون

(١) مختصر الدول - ابن العبري ص ١٥٨-١٥٩ وكذلك طبقات الامم - صاعد

الاندلسي ٦٥-٦٦

(٢) الشعراء الآيات ١٤٦-١٤٩

كلها ، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري الى ينبع «^(١)». وقال في وصف قرية السوارقية انها قرية « غناء كثيرة الاهل » وذكر حاصلات بني سليم : « فيها مزارع ونخيل كثيرة وفواكه ، من موز وتين ورمان وعنب وسفرجل وخوخ » ثم بيّن ما عندهم من ابل وخيل وشاء كثير^(٢)، وكذلك الامر في قرى كثيرة كالفرع^(٣) وخيف سلام^(٤) وغير ذلك ، وعلى كل حال فان الزراعة حرفة الحضرة في المدن والقرى وما حولها . أما أبناء البادية فكانوا ينظرون الى الزراعة على انها عمل أهل الذلة والهوان ، فهم ينالون أرزاقهم بأطراف القنا والسيوف ، يسعى للحرب منهم شباب مرد على خيل جرد ، وقد صور الاعشى هذه النزعة حين عيّر أباداً بالزراعة فقال :^(٥)

لسنا كمن جعلت أباد دارها تكريت تنظر حبا أن يحصدا
قوما يعالج قلا أبناءهم وسلا سلا أجدا وبابا موصدا

ونظرتهم المترفعة هذه عن العمل الزراعي ، جعلتهم قوما متكئين على الغيث ، متبعين لمواقعه ، فتى اهتزت بقاع الارض وربت رعوا أنعامهم في زرعها ، وشربوا من ريبها ، حتى إذا انسوا مراعى أخر تتبعوها وسعوا اليها ، فهي قوام حياتهم - بعد الغزو - وحياة أنعامهم وسواء عليهم أكانت تلك المراعى في أرضهم وحمام ، أم كانت

(١) اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصبع السلمي ص ٨ - تحقيق عبدالسلام هارون ١٣٧٣ هـ .

(٢) اسماء جبال تهامة ص ٦٥

(٣) المصدر السابق ص ١٩

(٤) نفس المصدر ص ٣٥

(٥) ديوان الأعشى ص ٢٣١ ط محمد حسين . اجدا : موثقة .

في أرض غيرهم ، ومثلهم في ذلك قول القائل^(١) .
إذا سقط السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غضابا
ولذلك نجمت الحروب ، وكثرت المعارك ، بسبب المراعي
والمياه .

وقبل ان اذكر التجارة عمل العرب الكبير ، أود ان انتهى من
ذكر الصناعة ، لانها ضيقة النطاق ، ومحصورة في الحواضر والمدن ،
وقليلا في البادية . ان البادية كانت تنظر الى الصناعة - نظرتها الى
الزراعة - نظرة زراية واحتقار ، ان نفوسهم لتأبى الامتهان بها ، وكما
عير الاعشى ايدا بزراعتها ، فقد عيّر عمرو بن كلثوم النعمان بن المنذر
- وهو على ملك الحيرة - بأن امه من اسرة تمتهن الصياغة ، قال عمرو :^(٢)

لحا الله ادانا الى اللؤم زلفة والامنا خالا واعجزنا ابا
واجدرنا ان ينفخ الكير خاله يصوغ القروط والشنوف ييثربا

وقد كان جرير - فيما بعد - يلج على الفرزدق بتذكيره ان احد
أجداده كان قينا^(٣) . هذه عقلية البادية اما الحاضرة فنظرتها الى
الصناعة أهون من ذلك وان كان الاشراف يترفعون في جاهليتهم
عن الصناعة . وكان اليمينيون اعرق في الصناعة واكثر خبرة ودراية
من المضريين ، فأهل اليمن صناع مهرة ، ومن الصناعات التي اجادها
اليمينيون صنع الاسلحة من سيوف ورماح ودروع ، وقد شهرت

(١) الروض الانف ١٧٤/٢ ، والشاعر هو مناوية بن مالك معبود الحكماء
عم لبيد .

(٢) نهاية الارب ٨٢/١

(٣) النقايش ص ٤١٣ ط ليدن

بنسبتها الى صانعيها ، او الى أماكن صنعها ، فقالوا : السيوف
اليمانية ، والرماح الردينية ، والقنا السمهرية .

وفي الشمال كانت بعض الصناعات ، كنسج الثياب ، وعمل
الزروود والسروج والصياغة ، وخاصة في مكة والمدينة .

اما البناء ، فما كان متقدما بشكل ملحوظ ، وكانوا يستعينون
بعمال من الفرس والروم في تشييد ابنتهم المهمة ، كتجديد الكعبة
او توسيعها ، ويقال ان معاوية بن ابي سفيان لما اراد ان يبني دوره
التي يقال لها (الرقط) في مكة ، حمل لها بنائين من فرس العراق
فكانوا يبنونها بالجص والاجر^(١) ، وكذلك بنيت القصور في الحيرة
كالخورنق والسدير .

اما التجارة فكانت المهنة المربحة التي عرفها العرب وبرعوا فيها ،
وهي مهنة الحضرمات المتعلمين ، ولم تكن ظروف البادية ولا طباع اهلها
تعين على ان يبرعوا فيها ، ولكن بعضهم كان يعمل دليلا يرشد القافلة
ان تفضل في مجاهل الصحراء^(٢) ، او خفيرا حاميا يمنعها من النهب
والغارة^(٣) . وقد نشطت التجارة اول الامر في اليمن فامتدت تجارتهم
بين الهند شرقا الى افريقية غربا ، والى بلاد الشام والروم شمالا ،
حتى اذا ما هددت السيول سد مأرب وساءت حركة السوق
واضطربت الاحوال السياسية ، كسدت التجارة وانتقل النشاط
التجاري الى ايدي القرشيين في مكة ، فكانت قوافلهم تجوب

(١) الاغانى ٢٨١/٣ ط الدار

(٢) المهجر ص ١٨٩ . والمغازي - الواقدي ص ٨٦ ط كلكتا .

(٣) المهجر ص ٢٦٤ ورسائل الملاحظ ص ٦٥ ط بولاق

الصحراء شمالا وجنوبا ، حيث رحلتا الشتاء والصيف الى اليمن شتاء
والى الشام صيفا ، والى ذلك تشير الآية الكريمة : « لا يلاف قريش
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف »^(١). وكذلك تسير تجارتهم الى الحبشة
غربا والى الحيرة وبلاد فارس شرقا ، وان فريقا من تجار قريش بلغوا
بتجارتهم اقاصي بلاد العرب والعجم ، فهاشم متجره الشام ، وعبد شمس
متجره الحبشة ، وعبد المطلب الى اليمن ، ونوفل نحو العراق^(٢) .

ولا شك ان هذه الرحلات كانت تحيط بها المضاعب والمخاطر ،
ولا تنتهي الى غاياتها الا بشق الاثنس ، وذلك لبعده الشقة ، ووعورة
الطريق ومجاهل الصحراء ، وغارات اللصوص من ذؤبان العرب
وصعاليكها ، وبخاصة من ذؤبان فهم وهذيل .

وقد كانت القوافل من الكثرة والضخامة بمكان حيث بلغت
احداها خمسمائة والى الف بعير^(٣) كما بلغت احدى قوافل قريش الفين
وخمسمائة بعير ومائة رجل - على ما ذكر الطبري^(٤) - ولاهمية هذه
القوافل ، وكثرة حمولتها ودوابها ، فقد كانوا يؤمنون الطريق ،
فيرسلون الرواد والمستطلعين قبل الرحيل ، حتى يتعرفوا اخبار
الطريق ، كما حدث في غزوة بدر ، فقد علم اولئك الرواد أن
المسلمين يتربصون بقافلة قريش فأسرعوها الى مكة واستنفروا أهلها^(٥) .
وكانت هذه القوافل تحمل الطيب والبخور ، واللبان ، والجلود

(١) قريش ١-٢

(٢) الهجر ١٦٢ ، والسيرة ٤٧/١

(٣) المنازي ص ٢٠

(٤) الطبري ٢٦١/٢ ط الحسينية

(٥) السيرة ٢٦٠/٢

والثياب المعدنية ، وتوابل الهند ، كل هذه البضائع من اليمن والهند
 وافريقية الشرقية ، وتأتي من الصين الجلود والمعادن والحزير^(١) ، ومن
 الحبشة الرقيق والصمغ والعاج ، ومن العراق وفارس التمر والشعير^(٢) .
 ويحملون من الطائف الزبيب ، ومن مناجم بني سليم الذهب ، يحملون
 كل ذلك الى بلاد الشام ، ويعودون حاملين الاسلحة والقمح والزيت
 والحمر والثياب القطنية والكتانية والحزيرية وغيرها^(٣) .

وكانت قوافل قريش تحمل الفضة (او القزدير) حيث استولى
 المسلمون في غزوة بدر الموعد (سنة اربع للهجرة) على قافلة لقريش
 فيها اموال ابي سفيان بن حرب ، ففخر بذلك حسان بن ثابت وعير
 قريشا المهزومة ، فلما كان يوم احد ، رد ابو سفيان بن الحارث على
 حسان بقصيدة منها هذا البيت :

حسبتم جلاد القوم عند قبابهم
 كماخذكم بالعين ابطال آنك

فقال ابو سفيان بن حرب يعاتب ابا سفيان بن الحارث : « يا ابن
 اخي لم جعلتها آنك ، ان كانت لفضة بيضاء جيدة »^(٤) من كل ذلك
 نعرف ان قوافل قريش كانت تحمل الغنى والثراء والمال النفيس .
 وقد استطاعت قريش^(٥) ان تجعل من مكة مركزا تجاريا مهما ،

(١) حضارة العرب - جوستاف لوبود ص ١٠٦

(٢) الكامل - ابن الاثير ٢/٢٢٨ ط ليدن

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (٥٤٤)

(٤) طبقات الشعراء ص ٢٠٨ - الانك : القزدير

(٥) لقد برعت قريش في التجارة وحذقت شئونها فسميت بهذا الاسم من تفرش
 المال قيل : (سميت بذلك لانهم كانوا اهل تجارة ولم يكونوا اهل زرع وزرع ، من
 قولهم فلان يتفرش المال ، اي يجمعه (لسان العرب) (قرش) .

تكدست فيه الاموال و كثر في الثروة ، وذلك لما كانت تتمتع به من مكانة دينية مقدسة ، لانها صاحبة البيت و سادنة الكعبة ، و أرضها حرام و حرما آمن ، لا يحل فيه قتال و لا غزو^(١) . و قد عقدت مع كل ذلك محالفات مع القبائل المجاورة ، و لم يكن بينها و بين غيرها ثارات و أحقاد ، و بما كانت تسمح لشعرائها أن يتعرضوا بالهجاء لغيرهم ، بل هي تضرب على أيدي شعرائها المهجائين من مثل عبد الله بن الزبير ، و تنكر أن يهجو بعضها بعضا^(٢) ، و لم تعرف مكة بكثرة الخصومات و الحروب ، فابن سلام يفسر قلة شعر المكيين في أنهم : (لم يكن بينهم نائرة و لم يحاربوا)^(٣) ، اللهم إلا أن تدفع الى القتال دفعا كما حصل في حروب الفجار ، و قد استطاعت قريش أن تنشر الأمن و السلام في أرضها ، بحلف عقده و أسمته (حلف الفضول) ، كل ذلك هيا لها الجو الطيب كي تنشط تجارتها فترتاد الصحاري و البوادي في أمن و طمأنينة ، و هذا من فضل الله على أهل بيته ، فقد قال سبحانه : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف »^(٤) . قال الزمخشري في تفسيره لسورة قريش : « و كانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن ، و في الصيف الى الشام ، فيمتارون و يتجرون ، و كانوا في رحلتهم آمنين لانهم أهل حرم الله و ولاة بيته ، فلا يتعرض لهم ، و الناس غيرهم يتخطفون و يغار عليهم » قال تعالى : « أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجيب اليه ثرات كل شي . رزقا

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٨/١ ط اوربا

(٢) السيرة ٤١٨/٢

(٣) طبقات الشراء ص ٢١٧

(٤) قريش ٣-٤

من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون»^(١)

وكان للأسواق الاثر الكبير في رواج التجارة وتبادل السلع ، وأهم الاسواق كانت تقام على مقربة من مكة ، كمكاز ومجنة وذى المجاز ، والعرب تسمى الى هذه الاسواق من كل حذب وصوب ، يشهدوا منافع لهم ، ويتناشدوا الاشعار ، ويذيعوا الخطب ، ويتحاكموا في خصوماتهم ، ويتفادوا الاسرى ، ويعقدوا الصلح ، أو يتفاخروا بالاحساب والمحامد والاعجاد .

ولم تكن هذه الأسواق محصورة في منطقة واحدة ، بل كانت تقام في قلب الجزيرة حينا وفي أطرافها في حين آخر ، وفي أوقات معينة معلومة ، ومن أسواقهم المهمة : سوق دومة الجندل في شمالي نجد ، وسوق خيبر ، وسوق الحيرة ، وسوق الحجر باليامة ، وسوق صحار ودبا بعمان ، وسوق المشقر بهجر ، وسوق الشعر ، وسوق حضرموت ، وسوق صنعا ، وعدن ، ونجران ، وغير ذلك من الاسواق الكثيرة^(٢) . وقد كان لهذه الاسواق الاثر الكبير في تنشيط حركة التجارة وازدهارها ، كما كان لها الفضل في توافق العادات وحل المشاكل وامتزاج ثقافات امم مختلفة ، وقد ساعد كل ذلك على الرقى العقلي والحضاري .

(٤)

رأينا فيما مرّ بأن الحواضر كانت تعنى بالزراعة والصناعة والتجارة ، أما البوادي فما كان بمقدورها ذلك بل انصرفوا لاكتساب

(١) تفسير الكشاف ٤٨٧/٢ ط بولاق حجر ٥١٢٨١ وسورة القصص ٥٧

(٢) الازمنة والامكنة - الباب الاربعون ص ١٦٦١-١٧٠ وانظر الحجر ص ٢٦٣

العيش من غير هذه الموارد - مرت جملة منها في سياق البحث - ونذكر هنا عنايتهم بالانعام مصدر الكسب والحياة ، وأهم حيوان البادية وأكثره نفعا وأشدّه احتمالا لقسوة الصحراء ، الابل . كانت الابل عماد الحياة عند العرب ، يأكلون من لحومها ، ويشربون من البانها ، ويكتسبون من أوبارها ، ويصنعون بيوتهم منها ، وعليها يحملون أثقالهم ويرحلون ، قال الله سبحانه في ذكر الانعام وما جعل فيها من منافع لعباده : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم »^(١) وقال سبحانه : « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين »^(٢) . وقد أفاد العربي من الابل كل فائدة فلم يترك منها شيئاً إلا وجعل لنفسه فيه النفع فقد صنع من جلدها الأُخفاف والقرب والسيور والأنساع ، واتخذ من عظامها ألواحاً يكتب عليها ومن بعرها وقوداً يصطلي بناره وينضج به طعامه ، وإذا اشتد المحل ونزل الجذب فكان يصنع من وبرها ودمها بعض الأُطعمة مثل (العلهز)^(٣) . والابل عند العرب خير المال ، بها يقومون البضائع ويشمنونها ، وبها يتقايضون ويفتدون الاسرى ويدون القتلى ويدفعون المهور للزواج . ويدفعونها عطايا حين تهتز أريحياتهم . وكما أفاد العرب من الابل هذه الفوائد الكثيرة

(١) سورة النحل ٥-٧

(٢) سورة النحل ٨٠

(٣) كتاب الاثرية - ابن قتيبة ص ٢٢

فكذلك عنوا بها عناية فائقة ، كانوا يطلبون لها أجود المراعي ، ويتخيرون مواطن الدف. لتوليدها ، واهتموا بأسمائها وصفاتها وحر كاتها ، فوضعوا لكل عضو من أعضائها اسماء و كثر ذكرها في أساليبهم ، ودارت حولها تشبيهااتهم واستعاراتهم وضربوا بها الأمثال ، ونظموا فيها القصائد ، وخاطبوها وناجوها وبشوها اشجانهم وعواطفهم كما يبث الخلد الحبيب .

كذلك عنوا بالخيال ، لأنها من مظاهر العز والمنعة ، فهي عدتهم عند الفارة ، ومكسبهم في الغزو والحرب ، وكانوا يرسلونها على الطريدة وفي السباق ، وقد اهتموا بانسابها وانسالها وسموها بأسماء. اشتقوها من صفاتها او الوانها ومن شياتها ، مثل النعامة والحرون ، وقرزل ، والجون ، وداحس ، والغبراء ، وغير ذلك . وكانوا يقربونها الى مساكنهم ويبنون لها الحظائر ويفضلونها في الطعام . وان اخدم ليجيع عياله ويؤثر فرسه بالطعام ، قال اخدم في فرسه (سكاب) :^(١)

ايبت اللعن ان سكاب علق نفيس لاتعار ولا تباع
مفـداة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع

وللعرب مكسب اخر من طيب الرزق هو الصيد ، فهم يدرّبون الكلاب خاصة على اصطياد الفريسة ومطاردتها ، ويتقنصون الحمر الوحشية والبقر والوعول والماعز الجبلي والظباء ووحوش الصحراء الاخرى .

على ان الصيد كان مكسب الفقراء والضعفاء ، اما الفرسان

(١) الصحاح (سكب) ١٤٨/١ ، بلوغ الارب ٨١/٢ .

وذوو الشرف ، فإ كانوا يرون الكسب الا في الغزو والغارة ، الذي هو دأب ذوي البطولة والبسالة والشجاعة. ولذلك يهجو عمرو بن معد يكرب بني زياد ، لانهم اهل قنص وصيد ، وليسوا اهلا للحرب والقتال :^(١)

أبني زياد أنتم في قومكم
ذنب ونحن فروع اصل طيب
نصل الخميس الى الخميس وانتم
بالقهر بين مربق ومكلب
حيد عن المعروف سعى أبيهم
طلب الوعول بوفضة وبأكلب

تلك أم الموارد والمكاسب التي كان عرب البادية يتعيشون بها ، وهم لا شك متفاوتو الرزق ، منهم من يملك مئات من الابل والانعام ، ومنهم المعدم الذي لا يكاد يجد قوت يومه وبخاصة اذا قل الغيث واحلت الارض واجدبت الديار ، على انهم كانوا يتقوتون بالقليل من الزاد والبسيط من الطعام فغذاؤهم الشعير بعامة ، وقد يضاف اليه التمر واللبن ، وقد يكون جل هم الرجل منهم ان يقيم اوده بالاسودين الماء والتمر :^(٢) .

الاسودان أبر. اعظامي الماء والتمر دوا سقامي
ومن البدهي ان هذه الحياة القاسية من الشظف والجرمان ، قد

(١) الحيوان ٣٠٩/٢ - ٣١٠ الخيس : الجيش . المربق : الصائد بالربة وهي العروة في الجبل . المكلب : الصائد بالكلاب . الوفضه : جبة للسهم من ادم
(٢) المستطرف - الابشبيي ١٤١/١

اكتسبت العربي الصبر وقوة الاحتمال والزهد، وقد اعتاد هذه الحياة الحشنة واصبح لا يرضى بها بديلا، حتى انه حين جاء الاسلام وكثرت الفتوح، واستوطن بعض الاعراب في المدن، وتحسنت احوالهم المعيشية، نجدهم يسأمون حياة الحضارة، ويميلونها، ويشتاق بعضهم حياة الجوع والقسوة والحرمان في الصحراء، قال قائلمهم^(١)

اقول بالمصر لما سائني شعبي الا سبيل الى ارض بها جوع
الا سبيل الى ارض بها غرث جوع يصدع منه الرأس برقوع
وقد ظلوا أبدا يحنون الى البادية، يحنون الى أهلها وهوائها ومياها ورمالها وانعامها، وبهم عيمة الى البان ابلها^(٢). يروى ان التابعفة الجعدي دخل يوما على الخليفة عثمان بن عفان، فقال: «استودعك الله يا أمير المؤمنين»، قال: «واين تريد يا أبا ليلى»، قال: «الحق يا بلي فأشرب من البانها»، فانسى منكر لنفسي، فقال عثمان: «أتعربا بعد الهجرة يا أبا ليلى»، اما علمت ان ذلك مكروه، قال: «ما علمته وما كنت لاخرج حتى أعلمك»^(٣) نعم كان التابعفة منكررا لنفسه يدفعه الحنين الى البادية حنين الغريب الى وطنه، وهو ما يعرف اليوم بداء الوطن.

(١) عيون الاخبار - ابن قتيبة ٣/٢٢٢ ط دار السكتب ١٣٤٨/١٩٣٠ بالاصل

(غرس) جوع برقوع : شديد

(٢) فتوح البلدان - البلاذري ص ٤٩١ ط أوروبا

(٣) طبقات الشعراء ص ١٠٦ - ١٠٧ والاغاني ١٠/٥ ط الدار

الفصل الرابع

الحياة العقلية

(١)

ان الصورة التي استقرت في كثير من الازهان عن العصر الجاهلي ، فيها كثير من الضلال والخطأ والاجفاف بحق ذلك العصر ، فالذي يقرأ ما كتب ويكتب عن الجاهلية ، يخيّل اليه ان الامة العربية كانت امة جهل وعمى ، قد عزلت عن العالم وعاشت غارقة في بحر من البداوة والفضى والتوحش وليس لها ماض مجيد يشدها اليه ، ولا حاضر قويم يحيى فيها معاني المروءة والهداية^(١) . وقد كان لذلك دافعان : حب الاسلام والغيرة عليه أولا ، والشعوبية ثانيا .

لقد ذهبت طائفة من الكتاب المسلمين - بدافع من حرصها على الاسلام وغيرتها عليه - تتسقط كل هنة ومثلية في طباع الجاهليين وعواندئهم ، فتضخمها وتوسع خرقها ، حتى غدت الجاهلية عندم حياة مظلمة سوداء . لا خير فيها ولا نفع في اهلها ، ظننا منهم ان ذلك مما يرفع من قدر الاسلام ، والاسلام في غنى عن هذه المغالاة ، لانه لا شك في انه رفع العرب طبقات وبرأهم من الوثنية وكثير من

(١) ينظر فجر الاسلام (طبيعة العقلية العربية) ٣٥ حتى ٥٨ .

الشورر . على ان العرب في الجاهلية كانوا مستعدين الى ان ينهض بهم الاسلام تلك النهضة العظيمة ، فقد كان منهم عقلاء سارعوا الى الاسلام ، فكانوا حماة ، والامناء عليه ، وناشري الويتة في الخافقين ، وأولئك هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجنوده من أئمة المسلمين ، وقد كان في تلك البيئة من المثل العليا في المروءة والكرامة والشرف والحياء والغيرة والايثار والنجدة والوفاء ، ما اقرها الاسلام وشجع عليها ، وان الاسلام حين جَبَّ رذائل الجاهلية كان قد اقر فضائلها ، وبارك في كثير من عوائدها التي توافق الاسلام ولا تضاده . هذا هو الدافع الاول الذي نسب للجاهلية كل بدعة والصق بها كل منقصة .

أما الدافع الاخر فهو : الشعوبية التي حمل الفرس رايتها ، ناراً لماضيهم المهان وحمية لدينهم الذي عفى عليه الاسلام ، فافتنوا منذ غدروا بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب يكيدون للعرب ويفترون على تاريخهم وماضيهم ، بل لم يسلم حتى الاسلام من بدعهم وضلالاتهم حيث ادخلوا فيه ما هو برى . منه من مظاهر المجوسية ، وشعائر المانوية ، وشدوذ المزدكية . وكانت الجاهلية أقرب تلك السبل اليهم ، فنسبوا لأهلها كل ضلالة وجرودوم من كل مكرمة ، ولابي عبيدة ، وعلائن الشعوبي ، وبشار ، في ذلك اليد الطولى ^(١) .

وما زال بعض الباحثين من شرقيين ومستشرقين يرددون تلك الأقوال السقيمة على الرغم من تعاقب الاعصار ، يقول خدا بنخش

(١) ينظر المقد الفريد ٢/٨٧-٨٩

غامزاً شرف العرب :^(١)

« لقد كانت الناحية الخلقية عند الجاهليين في أشد اوقات جزرها قبيل الاسلام فلم يكن اخلاص الرجل لزوجته شديداً ، وكان يدعوها الى معاشرة غيره من الرجال » أما رينان فيجرد العرب من كل مكانة سياسية وثقافية ودينية^(٢) . ويقول آخر : « ان العصر الجاهلي عصر ظلام حالك »^(٣) الى غير ذلك مما يقال .

ولا أريد هنا أن أضفي على العرب أكثر مما لديهم ، وأصفهم بصفات ليست فيهم ، بل أريد أن أقول : إن العرب امة من الامم لها فضائلها ووزائلها ، مثلما لكل الامم والشعوب فضائل ووزائل ، ولها كذلك نصيب من الحضارة والمعرفة في عهد الغابر ، فقد ورثت الجزيرة تراثاً جليلاً خلفته الأجيال العربية ، حيث نجد المعالم الناطقة بالمجد العريق ، وبخاصة في القسم الجنوبي من بلاد اليمن السعيدة . فقد قامت دول معين وسبأ وحمير ، وفي الحجر حيث وجدت حبان وثمود ، وفي بطرا ازدهرت دولة الأنباط . والقرآن الكريم - وكفى به شاهداً - يصف دولة سبأ وما كانت عليه من ترف ونعمة ، قال تعالى :
« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور »^(٤) .

وقد أشاد المعنيون بالحضارة الشرقية من الاوربيين ، فشهدوا

Khuda Bukhsh : Contributions to the History of Islam Civilization. V. I. P. 171. (١)

حضارة العرب - جوستاف لوبون ص ٩٧ (٢)

Mohammad Ali : Mohammad the Prophet. P. 6. (٣)

سبأ ١٥ . (٤)

بمراقبة تلك الحضارة وأثرها فيما حولها من الامم ، يقول سايس « لم يكن المسلمون الذين انطلقوا في الجزيرة العربية ، وفتحوا العالم المسيحي ، وأسسوا الممالك ، الا من نسل اولئك الذين كان لهم قديما أثر عميق في مصير الشرق »^(١) وكذلك يدهش هو مل لما كان لعرب الجنوب من قلاع وحصون ونقوش ، وأثر حضارتهم في العبرانيين واليونان^(٢) .

وحال العرب في جاهليتهم الاولى - وحتى قبل الاسلام - تنقض الصورة الخاطئة التي جعلت المجتمع الجاهلي معزولا متأخراً ، لا يرتبط بأسباب الحضارة والعمران ، ولم يتأثر بالامم المجاورة .

لقد كان العرب الجاهليون على صلة وثيقة بحضارة العالم القديم ، فضلاً عن حضارتهم العريقة ، وقد كانت الصلات قائمة بين العرب وغيرهم من فرس وروم وهنود ، وكان من مظاهر ذلك إماراة المناذرة في العراق والنساسة في الشام ، اللتان أتاحتا لثقافة الفرس والروم أن تدخل الجزيرة وتمتزج بثقافة العرب . وقد اتيح للعرب الكثير من الوسائل التي جعلتهم يفيدون من خبرات الامم الاخرى وعلومهم ، فمن ذلك : الاسواق والمواسم التي كانت تقام في انحاء مختلفة من الجزيرة ، كانت الاسواق ملتقى العرب على اختلاف منازلهم وثقافتهم يقصدها التجار - من العرب والعجم - من تجار فارس ، والروم ، والهند ، والصين ، فيكون الاخذ والعطاء وتبادل المتاع ، ومن البدهي أن تلتقي الثقافات والعقول ، فيفيد بعض من بعض من الخبرة والصناعة والعلم ، وحتى العادات والتقاليد .

A. H. Sayce : Early Isreal. p. 128.

(١)

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢٧٧/٢ وما بعدها .

وقد ذكر محمد بن حبيب : ان كثيراً من تجار الامم المحيطة ببلاد العرب كانوا ينتقلون الى الجزيرة كما تفعل تجار فارس والروم حينما توافي بسوق المشقر ، يقطعون اليها البحر يبياعاتها^(١) .

وقال ابو علي المرزوقي : « ثم يرتحلون منها (من صحار) الى دبا ، وكانت احدى فرض العرب يجتمع بها تجار الهند والسند والصين واهل المشرق والمغرب ، فيقوم سوقها آخريوم من رجب فيشترون بها بيوع العرب »^(٢) .

والعرب انفسهم كانوا يسافرون الى بلاد الروم والفرس والاحباش ، منهم التجار الذين يحملون بضائعهم الى اقصى البلاد ، ومن اولئك تجار قريش كهاشم وكان متجره الى الشام وقد مات بغزة ، وعبد شمس ومتجره الى الحبشة ، وعبد المطلب ومتجره الى اليمن ونوفل ومتجره الى العراق ، وهؤلاء هم اصحاب الايلاف من قريش^(٣) .

وكان من العرب من يتعرض لعطاء الملوك ، كالشعراء ، ورؤساء القبائل ، وذوي الفصاحة المتصلين بالملوك المنادين لهم ، وما ذكره النابغة وحسان في مجالس المناذرة والغساسنة بمنكر ، وقد عرفت منادمة الربيع بن زياد للنعمان بن المنذر ، وقصة وفد بني عامر وبلاء لبيد في مجلس النعمان^(٤) . وان صحت رواية وفود العرب على كسرى وخطبهم في ذلك فرحلتهم تشمل مجموعات كبيرة من العرب ، غير مقتصرة على الافراد . وكان من العرب من ساح في الارض طلباً

(١) المحبر ص ٢٦٣ وما بعدها

(٢) الازمنة والامكنة ١٦٢/٢

(٣) المحبر ١٦٢ والسيرة ٤٧/١

(٤) الاغانى ٩٢/١

للهداية والعلم ، مثل زيد بن عمرو بن نفيل ، الذي شك في الاوثان ورحل يطلب دين ابراهيم حتى بلغ الموصل وجال في الشام^(١) ، والحارث ابن كلدة الثقفي الذي تعلم الطب وضرب العود بفارس واليمن^(٢) ، وغير هؤلاء . كثير .

وكان من اسباب التمازج الحضاري في المجتمع الجاهلي ايضا ، الجاليات الاجنبية التي كانت تفد الى الجزيرة فتمكث فيها زمانا ، وقد يتخذ بعضها الجزيرة موطننا ومقاما ، وطبيعي ان هؤلاء من جنسيات واديان مختلفة ، وعقليات وثقافات متباينة ، فمنهم النصراني واليهودي ، والمجوسي ، ومنهم الرومي ، والحبشي ، والفارسي والهندي^(٣) . ومن هؤلاء من جاء مبشرا بدين كالنصاري الذين اقاموا البيع والصوامع والاديرة في المدن والقرى ، ومنهم من جاء طالبا الربح والتجارة ، او العمل والكسب ، او التجسس على العرب في ديارهم^(٤) . ولا شك ان كثيرا من هؤلاء كان مكسبه عن طريق نشر اللهو والمجون في الحانات ، حيث الخمر والغناء ، والرقص .

ومن تلك الصلات ، وذلك التمازج البشري بين العرب والاقوام الاخرى ، افاد العرب و كسبوا ثقافتين : الاولى ورثوها عن اسلافهم ، والثانية اقتبسوها من الامم المجاورة .

(١) السيرة ٧٦/١ والاغاني ٢٦/٣ ط الدار

(٢) طبقات الامم - صاعد الاندلسي ص ٧٤ ط السعادة

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (مكة) وفي المهرج ص ٣٠٦-٣٠٨ ذكر لأبناء

الحبشيات . وفي اسد الغابة ذكر للروم والروميات انظر مثلا ٢١٢/١ ، ٢٣٢/٤ ، ١٩٤/٥

(٤) Oleary : Arabia before Mohammad. p. 39.

وقد استطاع مؤلفو المسلمين ، على بعد الشقة ، ان يحفظوا
للمتأخرين جوانب من معارف الجاهلية وعلومهم ، كما حفظ الشعر
الكثير من تلك المعارف .

(٢)

لقد كان للعرب علم بالنجوم ومواقعها ومسالكها والوانها
ومطالعها وانوائها ، وعرفوا منها أوقات الخصب ، وأزمان المحل ،
ومهب الرياح ، وسقوط المطر ، واهتدوا بها في ظلمات الليل ، قال
الجاحظ : « وعرفوا الانواء ونجوم الاهتداء ، لان من كان بالصحاح
الاماليس - حيث لا اماراة ولا هادي مع حاجته الى بعد الشقة -
مضطر الى التماس ما ينجية ويؤديه ، ولحاجته الى الغيث ، وفراره من
الجدب ، وضنه بالحياة ، اضطرته الحاجة الى تعرف شأن الغيث ،
ولانه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كوكب ، ويرى
التعاقب بينها ، والنجوم الثوابت فيها . وما يسير منها مجتمعا ، وما
يسير منها فاردا ، وما يكون منها راجعا ومستقيا »^(١) .

و كذلك يقول صاعد الاندلسي : « كان للعرب معرفة بأوقات مطالع
النجوم ومغاربها ، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها ، على حسب
ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة ، لاحتياجهم الى معرفة ذلك
في أسباب المعيشة »^(٢) . ويذكر ابن قتيبة : ان العرب أفادوا مما عند
الكلدانين (الصابئة عبدة الكواكب) ، وبين أسماء البروج

(١) الحيوان ٣٠/٦

(٢) طبقات الامم ص ٤٥ بيروت

والكواكب في العربية والكلدانية شبه كبير فبرج الشور هو (ثورا) في الكلدانية والجددي (كديا) والمريخ (مرادخ) وهكذا، أما السرطان فنفسه في اللغتين^(١)، واشتهرت بعض القبائل ببحرتها الواسعة بمواقع النجوم وأوائها مثل قبيلة مُرّة، وبني حارثة بن كلب، وكثر ذكر الكواكب في الشعر، كالفرقدين والسماكين، وبنات نعش، والشعري، والجوزاء، والعيوق، وغيرها. وكان نظرم دقيقاً ثاقباً في المطر والرياح ومهابها، والسحاب وأشكاله ومواسمه، واللغة العربية غنية بأسماء السحب وأنواع الرياح وضروب القطر، وقد افرد ابن قتيبة لذلك كتاباً (الأنواء)^(٢) - نقلنا عنه قبل قليل - كما ألف أبو زيد كتاب (المطر)^(٣)، وعقد الثعالبي فصلاً في كتابه (فقه اللغة)^(٤) أسماء (الآثار العلوية)، تحدث فيه عن الرياح والسحب والأمطار والرعود والبروق وما إلى ذلك. وقلما يخلو من هذه الموضوعات كتاب من كتب اللغة.

وكان للعرب المام بالطب والبيطرة، وهي جملة معارف وخبرات توارثها الناس خلفاً عن سلف، ومن الطبيعي ألا يكون طبهم قائماً على العلم المنظم الدقيق، بل هي معارف وملاحظات قد يصاحبها الخطأ في كثير من الاحايين، وقد تدخل الخرافة والرقى في بعض ما لا يعرفون يقول ابن خلدون في ذلك :

(١) كتاب الأنواء في مواسم العرب في صفحات متعددة ط شارل ييلا

١٩٠٦/١٣٧٠

(٢) المصدر السابق

(٣) طبم الكتاب لويس شيخو سنة ١٩٠٨ ضمن البلغة في شذور اللغة

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٤٠٣

« وللبادية من أهل العمران طب ينونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحلي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، إلا أنه ليس على قانون طبيعى ، ولا على موافقة المزاج »^(١) . ومن تلك الخرافات التي أشرنا إليها ظنهم أن دم السادة يشفى من الكلب ، وان عظام الميت تشفى من الجنون ، وقد استخدموا في طبهم الكي بالنار حتى قالوا (آخر الدواء الكي) والتداوي بشراب العسل ، وعصارات بعض النباتات البرية ، وغير ذلك . وقد عرف منهم بعض الأطباء الحاذقين ، كالحارث بن كلدة الثقفي^(٢) (توفي ٥١٣ هـ) الذي تعلم الطب في بلاد فارس ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من يمرض من أصحابه أن يأتيه ويستوصفه^(٣) ، وكذلك ابن حذيم التيمي الذي ضرب المثل في خبرته ومهارته بالطب ، فقالوا « أطب من ابن حذيم »^(٤) .

وكان لعناية العرب بالحيل والابل أن برعوا في البيطرة ، فعرفوا عيوب الحيوان وعاهاته وأدوائه ، وقد هدتهم الحاجة ، ودقة الملاحظة أن عرفوا كل الأمراض والأعراض التي تصيب الحيوان ، فالتمسوا لكل داء دواء . وقد تحدث الجاحظ عن معرفة العرب بالبيطرة فقال :
« كثيراً ما يبتلون بالثاب والمخلب ، وباللدغ واللسع والعض والأكل ، فخرجت بهم الحاجة الى تعرف حال الجاني والجارح والقاتل ، وحال المجنى عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطلب والهرب ، وكيف

(١) المقدمة ص ٢٩٤ ط مصر .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) طبقات الامم ص ٧٤ والأخبار الطوال - الدينوري ص ١٢٢ ط جوتنجن .

(٤) مجمع الأمثال ٥٢/٢ ط بولاق .

الداء والدواء ، لطول الحاجة ولطول وقوع البصر ، مع ما يتوارثون من المعرفة بالداء والدواء .^(١)

وكان للعرب خبرة واسعة بالخيل وبصر دقيق بشياتها وأوصافها ، وما يستحب منها وما يذم فيها ، وقد عنوا بسلا لاتها وعرفوا أنسابها ، وفرقوا بين العتيق منها والمهجين ، وعرف في ذلك سلمان بن ربيعة الباهلي المعروف بسلمان الخيل ، وكان سلمان يميز العتيق من الخيل من هجينها بطول العنق ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، شك في العتاق والمهجن من الخيل « فدعا سلمان بطست من ماء ، فوضعت بالارض ، ثم قدم الخيل فرساً فرساً ، فاثني منها سنبكة فشرب جعله هجيناً ، وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقاً وذلك لأن في أعناق المهجن قصرأ فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تشني سنبكها ، وأعناق العتاق طوال »^(٢) . وكان الناس يعجبون بسلمان الباهلي ومن المعجيين به لبيد الشاعر ، فقد ذكره في احدي أراجيزه ، مينا فضل الله عليه بنعمة البصر بالخيل^(٣) .

ومن معارف العرب التي هداكم اليها الذكاء ، وخصب القريحة ، و صفا الذهن : الفراسة والقيافة . فالفراسة : الاستدلال بمظهر الانسان وشكله وسلامة أعضائه ، على أخلاقه وصفاته وطباعه . والقيافة : تتبع الاثر في الأرض لمعرفة آثار الانسان أو الحيوان ، ولهم في ذلك حذق وبراعة ، فكانوا يعرفون أثر من ضل منهم أو من

(١) الحيوان ٢٩/٦ .

(٢) ديوان لبيد ص ٣٣٧ ط الكويت .

(٣) ديوان لبيد القصيدة ٥٨

حيوانهم ، أو طريق عدوم حين يهرب منهم دالجا في الليل أو ساژآ
في النهار .

ومن معارفهم - التي يداخلها الظن والمصادفة - العيافة والزجر
والطرق بالحصى ، وهي ضرب من التنبؤ - كالكهانة - بمعرفة حركات
الطيور واليتمن بها أو التطير منها ، وقد اشتهر منهم بنو أسد وبنو
لهب حتى قال قائلهم :^(١)

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا مقالة لهبي إذا الطير مرت
وقد أوضح الجاحظ جانباً من ذلك فقال : « وأصل التطير من
الطير إذا مر بارحا وسانحا ، أو رآه يتفلى وينتف ، حتى صاروا إذا
عابنوا الاعور من الناس أو البهائم ، أو الاعضب أو الابتر زجروا
عند ذلك وتطيروا »^(٢) . وما كان كل العرب على هذه الشاكلة في
زجر الطير وضرب الحصى ، بل كان منهم من ينكر ذلك ويتعقل
مثل لبيد الذي يقول :^(٣)

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

و كانت عنايتهم بالانساب ومعرفة الاصول والاحساب ، قد
فاقت كل معرفة ، حيث دعتهم العصبية الى أن يحفظوا بدقة كل
ما يتعلق بانسابهم وأيامهم وأخبارهم ، وقد رويت عن كثرة حفظهم
وسعة معرفتهم أقاصيص تدعو الى العجب ، فهم يصلون أنسابهم بالأب

(١) شرح ابن عقيل ١٥٤/٢

(٢) الحيوان ٤٣٨/٣ وما بعدها . والبارح : الميامن والسانح : المياسر .

(٣) ديوان لبيد ص ١٧٢

الأكبر عدنان أو قحطان، ويقسمون مراتب النسب إلى : فصائل، وأنفاذ، وبطون، وعمائر، وقبائل، وشعب. وقد عرف من مشهور نسابهم : دغفل بن حنظلة الشيباني، وزيد بن الكيس النمري وابن لسان الحمرة، وغيرهم، كما عرف أبو بكر الصديق بسعة علمه بالأنساب والأيام^(١).

وكما حرصوا على معرفة أنسابهم وأصولهم، المواب أخبار أيامهم وتاريخ أسلافهم، وما وقع لهم ولغيرهم من الأمم القديمة، وقد ظهرت تلك المعارف والأخبار في الشعر، كقصة الفيل وحرب داحس والغبراء، وحرب البسوس، ويوم ذي قار، وحروب الفجار، وعرفوا سير الملوك في اليمن، والحيرة، والشام، كما عرفوا أخبار الفرس وحروبهم وملوكهم، وذلك بسبب اختلاطهم بتلك الأمم عن طريق الأسواق والتجارة والرحلات. فقد عرف عن النضر بن الحارث أنه كان يذهب إلى الحيرة يتعلم من أهلها أخبار الفرس وأساطيرهم، وسير ملوكهم وقوادم، مثل رستم وأسفنديار وكسرى، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً - في مكة - فدعا فيه إلى الله تعالى. وتلا فيه القرآن، وحذر قريشاً مما أصاب الأمم الخالية، خلفه النضر في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم وأسفنديار وملوك فارس، ثم يقول : « والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما اكتبتها »^(٢)

على أن معرفة العرب بالأخبار والأحداث التاريخية لم تكن

(١) السيرة النبوية ١/١٦٥ ط عبد الحميد ١٣٨٣/١٩٦٣ والبيان والتبيين ٤/٧٦

ط لجنة التأليف والترجمة والنشر وانظر الأغانى ٤/١٣٨ والاستيعاب ١/٣٢١ .

(٢) السيرة ١/٣٠٨ ط علي ورفاته .

معرفة دقيقة ، بل هي عرضة للتزيد والتحريف ، فان تلك الاخبار كانت متداولة بين الناس بالرواية الشفهية والرواية تقبل الخطأ والتحريف .

وللعرب بعد ذلك حكم بالغة تمثل خبرتهم في الحياة وتجاربهم فيها ، وقد صاغوها بعبارات قصيرة مأنوسة ، كان الناس - وما زالوا - يتمثلون بها ، لأنها تفضح بصدق عن مكنونات النفس البشرية بعامة . وقد حفظت كتب الأمثال طائفة جلية منها ، ولعل خير ما ألف من كتب الامثال : كتاب العسكري (جمهرة الامثال) والميداني (مجمع الامثال) والزنجشري (المستقصى في الامثال) . هذا غير ما جاء عند الشعراء من حكم شاعت وصارت مما يستشهد بها الناس في كل زمان ، كحكم زهير ولييد وطرفة وعبيد بن الأبرص والأفوه الأودي وغيرهم . وقد ذكر الجاحظ جمهوراً من حكماء العرب وذوي الدهاء واللسن ، فقال : « ومن القداماء ممن يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء ، والنكراء : لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان ، ومجاشع بن درام ... ولؤي بن غالب وقس بن ساعدة وقصي بن كلاب ومن الخطباء البلغاء ، والحكام الرؤساء : أكرم ابن صيني ، وربيعه بن حذار ، وهرم بن قطبة وعامر بن الطَّرب ، ولييد بن ربيعة »^(١) وكانوا يكتبون تلك الحكم ويحفظونها كما فعل سويد بن الصامت الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده صحيفة فيها حكم لقمان ، وقال الرسول عليه السلام عما فيها : « ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه ، قرآن أنزله الله تعالى علي

(١) البيان والتبيين ١/٣٦٥ ط عبدالسلام هارون .

وهو هدى ونور»^(١) .

وعلى كل حال ، لم تكن حكم العرب وأمثالهم نتيجة تفكير فلسفي بعيد ، وإنما هي نظرات وخبرات ، صادرة عن طبيعة حياتهم ، ومثلهم ، ونظرتهم الى الحياة والموت ، ومصير الناس ، والخير والشر ومعاتبه الدهر ، وهي مع كل ذلك ، تصوير صادق أمين لفطرتهم السليمة ، ونفسياتهم الواضحة البسيطة التي لا يشوبها ولا يعيبها تعقيد أو غموض .

(١) سيرة ابن هشام : ٢/٢٩٠ ط عبد الحميد .

الفصل الخامس

الحياة الدينية

(١)

لقد عرف العهد الجاهلي بالعهد الوثني عهد الشرك وعبادة اصنام من دون الله . غير ان النظرة الفاحصة الممحصنة ، تكشف ان وثنية ذلك العهد ، لم تكن - كما قد يظن - اعتقادا متينا بالاصنام ، فقد كان كثير منهم ، وبخاصة الاعراب ، يسخرون منها ويهزأون بها^(١) . ولم يكونوا يؤمنون بان هذه الاوثان والاصنام^(٢) خالقة مدبرة قادرة ، ولم يكن الشرك اشرا كما في وحدانية الله ، فالدلائل تشير - ويكفي ان يكون القرآن قد نص على ذلك - الى ان عرب الجاهلية كانوا يؤمنون بالله الواحد القوي الخالق الذي بيده الامر ، وكان اتخاذهم الاصنام على انها وسائط وشفاعات تقربهم الى الله سبحانه ، فالشرك هنا يلحظ من تقديس اصنام تنسب لها القدرة على الشفاعة لا الشرك في وحدانية الله . قال صاعد الاندلسي : « وجميع عبدة الاوثان من العرب موحدة الله تعالى . وانما كانت عبادتهم ضربا من التدين بدین

(١) الاصنام - ابن الكلبي ص ٣٧

(٢) يفرق بين الصنم والوثن في ان الاول يكون على هيئة تمثال . والوثن يكون حجرا وقد يسمى الصنم بالوثن ايضا انظر الاصنام ص ٣٣ و ٥٣ في تحديد كل منها

الصابئة في تعظيم الكواكب والاصنام الممثلة بها في الهياكل ، لا على ما يعتقد الجاهل بديانات الامم و اراء الفرق ، من ان عبدة الاوثان ترى ان الاوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يمتد قط هذا الرأي صاحب فكرة ولا واربه صاحب العقل ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى »^(١) وقال تعالى في صفة الجاهليين الذين يتقربون اليه باصنامهم : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »^(٢) وقد جاءت الآيات الكريمة لتدل على ايمانهم بالله الخالق القادر الواحد الذي بيده امر كل شيء . . . قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله »^(٣) ، « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون »^(٤) « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون »^(٥) .

وقد عبّر أوس بن حجر في بيت عن اعتقاده بالله الذي هو اكبر من كل المعبودات ، مع اقراره باحترام اللات والعزى ، قال :^(٦)

وباللات والعزى ومن دان دينها

وبالله ان الله منهمن أكبر

(١) طبقات الامم - صاعد بن احمد الاندلسي ص ٢٤ وسورة الزمر ٣

(٢) سورة يونس ١٨

(٣) لقان ٢٥

(٤) الزخرف ٨٧

(٥) يونس ٣١

(٦) الاصنام ص ٧ وانظر عن التوحيد في الشعر الجاهلي (الحياة العربية)

للدكتور الحوفي ص ٤٠٢ - ٤١٧

وهذا النابغة الذبياني يقسم بالله الذي ليس وراءه شيء . ولا اكبر منه :^(١)

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للعزم مذهب
ونجد في الشعر الجاهلي الدلائل الكثيرة الواضحة الصريحة التي
تؤكد ايمان الجاهليين بالله وتوحيده والقسم به ، وانه خالق الخلق
وواهب النعم . يقول عبيد بن الابرس :^(٢)

حلفت بالله ان الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح
وقد آمنوا بان الله هو الحافظ الذي يلوذ الناس برحمته ، قال
افنون التغلبي :^(٣)

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي

اذا هو لم يجعل له الله واقيا

وان الله يجزي على العمل الصالح ، قال ابو قيس بن الاسلت :^(٤)

أجرت مخلدا ودفعت عنه وعند الله صالح ما اتيت

ويقول زهير بان الله عالم الغيب ، ومطلع على الضمائر واسرار

النفوس :^(٥)

فمن مبلغ الاحلاف عني رسالة

وذبيان هل اقستم كل مقسم

(١) ديوان النابغة ص ٥٦ ط السعادة . العقد الثمين ص ٥

(٢) ديوان عبيد ص ٢٤ ط ليال لقد ذهب بعض المستشرقين الى ان الرواة

المسلمين وضوا انظة الجلالة في شعر الجاهليين مكان كلمة (اللات) . وهذا فرض بعيد

فيه كثير من التمسف ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٣٠٥/٦

(٣) المفضليات ٥٢٣ ط ليال

(٤) الاغاني ١٤/٣ ط الدار

(٥) ديوان زهير ص ١٨ ط الدار

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
 ليخفى ومهما يُكتم الله يعلم
 ويقسم آخر بالله عالم الاسرار ومحبي العظام البيض وهي رميم: ^(١)
 اما والذي لا يعلم السر غيره
 ويحيى العظام البيض وهي رميم
 لقد كنت اختار القرى طاوى الحشا
 محافظة من ان يقال لثيم
 وفي بيت حاتم السابق ايمان بالبعث والحساب فانه يحيى الخلق
 بعد موتهم وان كانوا عظاما، وقد اوضح لبيد بان للناس يوما يقفون
 فيه بين يدي الله، وتكشف اعمالهم، وتجزى كل نفس ما كسبت: ^(٢)
 وكل امرى. يوما سيعلم سعيه
 اذا كسفت عند الاله المحاصل
 وكذلك يذكر علاف بن شهاب التيمي فكرة الحساب
 والثواب والعقاب يقول: ^(٣)
 ولقد شهدت الخصم يوم رفاة
 فاخذت منه خطة المقتال
 وعلمت ان الله جازٍ عبده
 يوم الحساب بأحسن الاعمال
 واذا كان هذا ايمان العرب بالله ووحدانته وقدرته فكيف

(١) شرح الحماسة للرزوقي ١٧١٥/٤

(٢) ديوان لبيد ص ٢٥٧

(٣) بلوغ الارب ٢٧٧/٢ ط ١٩٢٤ - ١٣٤٣

كانوا يوفقون بين هذا الايمان وبين تقديس اوثان واصنام ، واشراكها في العبادة والتقديس مع الله سبحانه ؟ ان للعرب في ذلك تعليقات لا يخلو بعضها من منطق مقبول ، فهم يقولون : « ليس لنا اهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة ، لعظمته فعبدناها (اي الاصنام) لتقربنا اليه تعالى »^(١) ومنهم من يقول : « جعلنا الاصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى ، كما ان الكعبة قبلة في عبادته »^(٢) .

واذا ما عرفنا كيف بدأ تقديس الاصنام وعبادتها نستطيع ان نتبين الاسباب التي جعلت غمار الناس يتشبثون بها ويتمدون عن دين التوحيد الاول دين الفطرة - دين ابيهم ابراهيم^(٣) . وكذلك نستطيع ان نعرف طبيعة تلك العقلية المحافظة المكابرة ، التي وقفت بعنف وشدة بوجه الدين الاسلامي في بيئته الاولى . قال هشام بن محمد الكلبي : « وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة ، انه كان لا يظن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فخيثا حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم ، وحباله ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على اراث ابراهيم واسماعيل عليها السلام »^(٤) وبمرور الزمان نسي الناس العلة في تقديس

(١) بلوغ الارب ١٩٧/٢ ط ٢

(٢) المصدر السابق ١٩٧/٢

(٣) ينظر هنا تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢٠/٥ حيث يذكر رأيه وبنان في أن العرب موحدون بطبيعتهم مثل سائر الساميين .

(٤) الاصنام ص ٦ وهناك آراء اخرى منها قصة عمرو بن لحي ، والذي أثبتناه هنا ، اقرب الى طبيعة العرب .

الحجارة، على أنها أثر من آثار الكعبة وذكري لها ، فانتقل التقديس للحجر نفسه ، وتطور الحجر الى صنم ، ثم بدأت الظنون بعد ذلك في خير هذا الصنم وشبهه ، وكلما امتد العهد واستطال الزمان ، احيطت هذه العبادة بهالة من الغموض المقدس . والناس - منذ كان الناس - تحن الى الموروث الذي تلفه الاسطورة ويكتنفه الغموض ، وقد استحكمت العادة في نفوسهم ، فصاروا يتمسكون بها وينزلونها منهم مكانة فضلى .

والملاحظ أن أهم بيئة رسخ فيها الدين ، وتمسك أهلها بالاصنام هي مكة ، قلعة الدين وجمع أصنام العرب ، بينما نجد أن المناطق الاخرى أقل حماسة لعبادة الاوثان، وبخاصة البادية التي تنظر الى هذه العبادة نظرة غير جادة ، فكثيراً ما يثور الأعرابي على صنمه حينما تتضارب أهواء العابد والمعبود ، من ذلك ما يروى عن رجل من العرب - وتروى لامرئ القيس ايضاً - قُتل أبوه فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخليفة فاستقسم عنده بالازلام ، فخرج السهم ينهيه عن ذلك فقال :^(١)

لو كنت ياذا الخلف الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً
لم تنه عن قتل العداة زورا

وأتى رجل من بني ملكان الى سعد - صخرة طويلة بأرضهم - بأبل معه يلتمس البركة ، فلما رأت الأبل ما على الصخرة من الدم

(١) الاصنام ص ٣٥ والسيرة ٩١/١ وانظر حول ضعف الوثنية في أواخر العصر الجاهلي الحياة العربية ٣٧٧ وما بعدها وينظر هنا رأي نيكسون حول عدم مبالاة العربي بالدين .

المهراق ، نفرت وتفرقت في كل وجه ، فأخذ حجراً رمى به سعداً
ثم أنشد :^(١)

أتيناً الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة
من الارض لا يدعى لغبي ولا رشد
وقد جرت العادة ان يتبع الناس هذا الدين ، دون ان يجروا على
الشك يحدوى هذه العبادة .

(٢)

هذا شأن الكثرة من عرب الجاهلية ، وقد عرفت في ذلك المهد
فئة من المستبصرين الذين كانوا يترفعون عن عبادة تلك النصب
والتماثيل وكانوا يتطلعون الى دين التوحيد ، دين ابراهيم ، على أنه
الدين المبرأ من الشرك ، وقد عرفت تلك الفئة بـ (الأحناف) ودينهم
بـ (الحنيفية)^(٢) . وكانوا قد اعتزلوا الاوثان ، وعافوا الميتة والدم
والذبائح التي تذبح على النصب لغير الله ، وقال في ذلك قائل منهم :
« أنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل الا ما ذكر
اسم الله عليه »^(٣) ، كما سخطوا على الخمر وعافوا شربها ، وقد عاف

(١) الاضنام ص ٣٧ والسيرة ٨٥/٤ .

(٢) انظر في الحنيفية وأثرها في شعراء الجاهلية فون كريم (حول اشعار لييد)

Von Kremer: Ueber die Gedichte des Labyd. p. 8.

(٣) السيرة النبوية ٢٣٧/١

(٤) هو زيد بن عمرو بن نفيل . صحيح البخاري ٥٠/٥

الخمر ايضاً غير هوّلاً. من عقلاء العرب ترफعا عما يؤول أمر شاربها الى المهانة والسفه^(١). وقد عرف من الاحناف رهط كبير. منهم : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وصرمة بن أبي أنس ، وامية بن ابي الصلت ، وخالد بن سنان العبسي ، وورقة بن نوفل ، وغيرهم^(٢).

ولم تكن الحنيفية امتداداً أو تقليدياً لليهودية او النصرانية ، بل لم يكن بين الديانتين والحنيفية صلة او وشيجة ، وان اطلع بعض رجال الحنيفية على دين اليهود او النصارى ، على النقيض مما يبالغ بعض الكتاب وبخاصة رجال الدين النصارى^(٣) ، وانما هم على دين العرب القديم دين ابراهيم ، وما كان ابراهيم من اليهود أو النصارى كما نص على ذلك كتاب الله العزيز : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً »^(٤) ، وكذلك لم يكن من المشركين : « إن ابراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين »^(٥) ، والحنيف هو المسلم (حنيفاً مسلماً) ، قال تعالى : « ثم اوحينا اليك

(١) مر بنا ذكر من عاف الخمر من الجاهلين في الحياة الاجتماعية .

(٢) المعارف - ابن قتيبة ص ٢٧-٢٩ ط الاسلامية وانظر حول الاحناف وافكارهم جواد هلي - تاريخ العرب ٥/٥٦-٦٠ و ٦/٢٨٩-٢٩٥ .

(٣) لويس شيخو في شعراء النصرانية ، وقد حاول باطلا ان يقحم اكثر الشعراء الجاهلين ممن ذكروا الله في النصرانية . وينظر في هذا الموضوع رأي بلاشير في الاحناف وعلاقتهم بالمسيحية والمانوية تاريخ الادب العربي ١/٦٨ ترجمة ابراهيم كيلاني . وينظر كذلك رأي نيكلسون في الاحناف وعلاقتهم بالمسيحية .

Alit. Hist. of the Arabs. p. 149.

(٤) آل عمران ٦٧

(٥) النحل ١٢٠

ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً^(١) ، وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعثت بالحنيفية السمحة »^(٢) ، وكذلك قوله عليه السلام : « أحب الاديان عند الله الحنيفية السمحة »^(٣) ، وجاء ذكر الحنيفية في الشعر بنفس دلالة المسلم ، قال عبد الله بن أنيس :^(٤)

وقلت له خذها بضربة ماجدٍ حنيفٍ على دين النبي محمد
وكذلك في أبيات لأمامة المزيرية تقول :^(٥)

تكذب دين الله والمرء احمداً

لعمر الذي امناك ان بئس ما يعني

جباك حنيف آخر الليل طعنةً

ابا عفك خذها على كبر السن

وهكذا يتضح من هذه النصوص ان الاسلام والحنيفية على شرعة واحدة شرعة التوحيد والايان بالله الواحد الاحد، وما الوثنية الا تشويه لدين ابراهيم وتحريف له وخروج عليه .

لقد كانت الوثنية ام الاديان التي عرفتها الجزيرة ، واكثرها شيوعاً وانتشاراً ، وقد شهدت الجزيرة ادياناً اخرى غير الوثنية ، كاليهودية والنصرانية ، ولم يكن لاتباعها تين الديانتين كبير اثر في الجاهليين ، اذ لم تستطع اية منهما ان تدحر الوثنية ، او ان توسع نفوذها .

(١) النحل ١٢٣

(٢) طبقات ابن سعد ١٢٨/١ وكذلك ٢٨٧/٢

(٣) اللسان ٤٠٤/١٠ وانظر ابن سعد ٢٨٧/٣

(٤) السيرة ٥٨/٢ ودائرة المعارف الاسلامية (حنيف) .

(٥) السيرة ٩٨٢ ودائرة المعارف الاسلامية (حنيف) .

فأما اليهودية: فقد جاء اليهود الى الجزيرة بعد أن طردهم واضطهدهم قياصرة الروم فالتجأ كثير منهم الى الحجاز واليمن^(١). وقد استطاع اليهود في اليمن منذ عصر متقدم ان يهودوا احد ملوك التبابعة وهو ذو نواس، ويحرضوه على التنكيل بنصاري نجران وتحريقهم بالاخدود، والى ذلك تشير الآية الكريمة: « قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نعموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد»^(٢). على انه سرعان ما استطاع الاحباش النصارى القضاء على ذي نواس سنة ٥٢٥ وحينذاك كسرت شوكة اليهود في اليمن، ولم يبق لهم شأن يذكر هناك. وقد عرف من يهود اليمن كعب الاحبار ووهب بن منبه وكلاهما اسلم وكان لهما يد طولى في الاسرائيليات التي شاعت بين المسلمين.

وفي الحجاز نزلت قبائل كثيرة من اليهود. اهمها بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وبنو بهدل، واستوطنوا في يثرب وخيبر ووادي القرى وتيما، وقد نزل الاوس والخزرج بجوارهم ثم استطاعوا الاستيلاء على يثرب، وكان هم اليهود وجهدهم بعد ذلك ان يوقعوا بين القبيلتين العربيتين، ويشيروا الضغائن وينبشوا الاحقاد، فوَقعت

(١) لم يقطع المؤرخون بزمن دخول اليهود الجزيرة ولا الظروف الواضحة في ذلك، ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٤/٦ حول يهود اليمن و٩/٦ - ١١ حول يهود الحجاز وانظر الحياة العربية حول اليهودية ١٣٦ - ١٤٢ وحول النصرانية ص ١٤٢ - ١٥٠ وقد استبعد الدكتور الحوفي ان يكون ذانواس صاحب الاخدود

١٥١ - ١٥٤

(٢) سورة البروج ٤ - ٨

بهم حروب وإيام ودما، حتى جاءهم الإسلام برحمته فأنجاهم من كيد يهود. وحين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم، الكتاب في المدينة لينظم أمور المسلمين، ويحدد علاقتهم بغيرهم، وادع اليهود وأمنهم، فقال عليه السلام: «وانه من تبعنا من يهود فإن له النصره والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم»^(١)، وقد أقرهم على دينهم وأكرمهم، وجعلهم والمسلمين في مقام واحد، متناصرين^(٢). إلا أن اليهود أبوا إلا الغدر والخيانة ونقض العهد، فناصروا المشركين على المسلمين، وكادوا للمسلمين كل كيد، وقد كان القرآن الكريم لهم بالمرصاد، يفضح كيدهم ويكشف باطلهم، حتى قامت الحرب بين المسلمين واليهود، فكان النصر لدين الله والهزيمة لأعدائه المنافقين. ولم يستطع اليهود أن يتركوا آثارا واضحة في عرب الجزيرة^(٣)، بل كان تأثير العرب فيهم واضحا متميزا، فقد تعرب فريق منهم، كيهود يثرب وخيبر ووادي القرى وفدك وتيما، واصطنعوا اللغة العربية لغة الحديث، وظهر فيهم بعض الشعراء الذين نظموا في العربية كالسموأل بن عاديا، في الجاهلية، وكمب بن الأشرف وجبل بن جوال وسمك اليهودي في الإسلام^(٤).

هذا مجمل ما لليهودية في الجزيرة، أما النصرانية فقد انتشرت عن

(١) السيرة النبوية ١/٣٠٣

(٢) المصدر السابق والصفحة

(٣) على خلاف ما يحاول ان يثبتته بعض المستشرقين من تأثير اليهود في العرب وفي الدين الإسلامي. انظر تفصيل ذلك في تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ١٣٧٧/٦ وكذلك ١٣٧٧/٦ والحياة العربية ص ١٤٠ وما بعدها وانظر كذلك المرأة في الشعر الجاهلي ص ١١-١٤.

(٤) السيرة ٢/١٩٧ وما بعدها.

طريق الروم والحبشة ونصارى الحيرة ، وقد اعتنقت بعض القبائل العربية النصرانية ، مثل عاملة و جذام و كلب و قضاة من الغساسنة في الشام ، وفي العراق تغلب و أباد و بكر ، والعباد في الحيرة . وكان نصارى الشام يعاقبة أو (منو فيستين) و هم القائلون بأن للمسيح طبيعة واحدة ، وينسب هذا المذهب الى يعقوب البرادعي المولود حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد . أما نصارى العراق فقد كانوا نساطرة^(١) نسبة الى نسطور يوس المتوفى سنة ٤٥٠ للميلاد ، وهو يرى أن للمسيح طبيعتين أو اقنومين : اقنوم الناسوت و اقنوم اللاهوت^(٢) . اما في اليمن فكان في نجران نصارى على مذهب اليعاقبة - كالحبشة والغساسنة -^(٣) . اما في مكة فكان هناك رقيق حبشي من النصارى^(٤) ، و يذكر اوليري^(٥) ان في مكة جالية من نصارى الروم .

و ابرز شاعر عرف للنصارى في الجاهلية : عدي بن زيد العبادي ، الذي سقطت في شعره اسما . ومصطلحات نصرانية ، و ان ظهرت هذه الاسماء و المصطلحات عند شعراء جاهليين من غير النصارى . و مهما يكن من شيء ، فان النصرانية - على الرغم من انتشارها - لم تكن لتترك آثاراً واضحة في حياة العرب^(٦) الجاهليين او دينهم ، لأن

(١) اسباب النزول - الواحدى ص ٢١٨

(٢) حول المذاهب النصرانية ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٦/٦٨ وما بعدها .

(٣) اسباب النزول ص ٢١٨ ط مصر بنياية احمد صقر

(٤) المصدر السابق ص ٢١٢

(٥) O'leary: Arabia before Mohammad. p. 184.

(٦) انظر المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٢-٢٤ حيث يبين سبب ضعف النصرانية و قلة تأثيرها في العرب .

النصارى انفسهم لم يكونوا قد تعمقوا دينهم وتمسكوا به بدقة واخلاص، فقد كان دينهم مشوبا بالوثنية، ذلك ان تعاليم النصرانية كفكرة التثليث وحياة المسيح وغيرها لم تظهر في الشعر الجاهلي، وكل ما هناك اسما، خاصة بدينهم كالصليب والناقوس والبيعة وغيرها، وان ذكر هذه الامور لا يدل على ايمان متمكن عميق، بقدر ما يدل على وصف امور مشاهدة، وهذا عدي بن زيد الشاعر النصراني لا يرى حرجا في ان يقسم برب الكعبة الوثنية، كما يقسم برب الصليب، يقول: ^(١)

سعى الاعداء لا يألون شرا عليّ وربّ مكة والصليب

وقد عرفت الجزيرة العربية مع هذه الاديان - الوثنية واليهودية والنصرانية - عبادات اخرى كثيرة، منها: المجوسية التي دخلت عن طريق الحيرة الى العراق، فانتشرت في بعض القبائل كقبيلة تميم. والمجوس ثنوية يؤمنون بالهين يدبران العالم هما: اله الخير واله الشر. او النور والظلمة ^(٢).

وظهرت عبادة الكواكب عند بعض القبائل - وهي لا شك من اثر الصابئة وبقايا الكلدانيين - فيقال ان كنانة عبدت القمر، وان فريقا من قريش وخزاعة ولحم عبدت نجم الشعري ^(٣)، وقد جاء في قوله تعالى: «وانه هو رب الشعري» ^(٤) تبكيته لهم لما كانوا ينسبون

(١) الاغانى ١٠١/٢ ط الدار

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٨٤/٦ وما بعدها .

(٣) سروج الذهب - المسعودي ١٢٠/٣

(٤) سورة النجم ٤٩

الى هذا النجم من القدرة. ويقول اوليري: ^(١) ان العزى تمثل كوكب الزهرة واللات رمز للشمس ، وقد عبدت الشمس ^(٢) في اليمن ، فقد كانت ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وقد حكى القران ذلك على لسان المدهد حين اخبر سليمان عليه السلام: « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » ^(٣) وقد عرف من اسمائهم: عبدشمس وعبدالعزى ، كما عرفت جماعة منهم باصحاب الدهر ، وقد حكى القرآن الكريم عقيدتهم بقوله : « وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » ^(٤) . وهؤلاء ينكرون الخالق والبعث والجزاء ، ويرون أن العالم لا يخرب ولا يبيد والا كان مخلوقا مبتدعا ، قال شداد بن الاسود بن عبدشمس ، يرثي كفار قريش يوم بدر ^(٥) .

ينخرنا الرسول لسوف نجيا وكيف لقاء اصدا. وهام
الى غير ذلك من الديانات والعبادات ^(٦) .

هذه الديانات المختلفة ، من موحدة او مشوبة بالشرك ، متمسكة بدينها او معتادة عليه ، مقدسة للوثنية ، اوساخطة عليها ، وتلك

O'leary: Arabia before Mohammad. p. 194. (١)

انظر في عبادة الكواكب والقبائل التي عبدتها الحياة العربية ٤٢٠ - ٤٢١ (٢)

سورة النمل ١٤ (٣)

الجاية ٢٤ (٤)

السيرة ٢٩/٢ (٥)

انظر عبادات اخرى عرفت في الجزيرة في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام (٦)

القسم الديني .

الحياة المضطربة المختلفة ، وكل ذلك كان يدل على ان الفترة فترة قلق وارهاس وتطلع لشيء جديد تشوقه النفوس ، وتهفو اليه الافئدة دون ان تعي تلك النفوس والافئدة ، كيف ومتى يحدث او يكون^(١) . وقد كان لذلك الارهاس اسبابه وعوامله التي ساعدت على دنو زمانه وتعجيل حينه ، من ذلك ان الفترة التي سبقت الاسلام تميزت بامور ، منها : وعي سياسي وميل الى التكتل ، كما حدث في قبائل مملكة كندة ، والمخالفات الكثيرة التي عقدت بين القبائل الاخرى . وكان للاسواق الاثر الفعال في توكيد الشعور المشترك والمشاركة العاطفية وتبادل الافكار وتصفية كثير من المشاكل والاحقاد . وهناك الخطر الخارجي الذي يتمثل في اطماع الفرس والبيزنطيين والاحباش ان يسيطروا على الجزيرة ، فاستيقظ الشعور المشترك بالمصير الواحد ، وكان انتصار قبائل عربية على الفرس في موقعة ذي قار - على الرغم من ان بعض القبائل كانت مع الفرس - عاملا آخر في يقظة العرب وشدهم نحو الاتحاد .

ويلاحظ كذلك الحاجة الى اقامة العدل والامن واجتماع الكلمة ، وبخاصة في مكة حيث اقيم (حلف الفضول) للانتصاف من الظالمين ، وانصاف المظلومين ، وهذا يعني ، الرغبة في اقامة عدالة اجتماعية تردع الطائشين والمتهورين . ثم ارتباك الاحوال الاجتماعية التي عرفت

(١) من ذلك كان تطلم الاحناف ، فقد روت الاخبار ان زيد بن عمرو بن نفيل صر بامية بن ابي الصلت فقال له : (يا باغي الخير هل وجدت ؟ قال لا ، ولم اوت من طلب . قال : ابي عداء اهل الكتاب الا انه منا او منكم او من اهل فلسطين) ، طبقات الشراء ص ٢٢٠ والاغانى ١٢٢/٤ ط الدار .

بمكة خاصة ، من تفشى الاستغلال والربا والغش واكل اموال
اليتامى والقسوة على الضعفاء والعبيد .

لهذا كله ولما يتصل به اثر في ان يتطلع الناس الى حركة تهز
هذا المجتمع وتقضي على ما فيه من شرور ونظم فاسدة وعقائد
مضطربة^(١) ، فجاء الاسلام في تلك الفترة انجع علاج واسمى نظام وأكرم
عقيدة واعظم تشريع ، فلم يلبث العرب ان عارضه بعضهم وهش له
بعضهم . ثم لم يلبثوا جميعا ان أقبلوا على اعتناقه والامتزاج به وتفديته
بأعز ما يملكون .



(١) ليس معنى هذا ان الاسلام كان امتدادا لفكرة بين الناس حمل النبي على
اظهارها وتوكيدها كما قد يزعم من ينكر فضل الرسول وقدسية الوحي ، ولكن
الاسلام ، كان استجابة لضرورة قائمة جاءت في حينها الموقوت من لدن رحيم عليهم ،
كتب على رسوله ان يبشر وينذر ويتحمل في سبيل الله ضروبا من الارهاق واللجاجة
والاذى .

الباب الثاني

الشعر الجاهلي

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
السُّلَيْمِيُّ النِّيْمِيُّ النُّوْرِيُّ
www.moswarat.com

مقدمة الباب الثاني

الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية ، والصورة الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم ، فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموجية ما يجعله يعد بحق ذروة الشعر العربي ، وقد كان القدوة المثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الاموية والعباسية ، يسعون الى تقليده ومحاكاته ، وقد بقي أثر الشعر الجاهلي واضحا في شعر العصور المتأخرة وما زال له سلطانه في نفوس قارئيه وسامعيه ، لما فيه من أصالة وجمال في التعبير ودقة في المعاني ونضج فني وموسيقى ولغوى كبير .

وقد رأيت - منذ تفتح ذهني للحياة الادبية - في الشعر الجاهلي الصدى النفسى الذى يشدنى اليه بوشائج وأسباب ، فأحبيته وآثرته واستجيت له بدراسات جامعية ، كان أولها كتابى عن « شعر المخضرمين » فقد عنيت بشعراء الفترة التى سبقت الاسلام بقليل وامتدت صدرا من الدعوة الاسلامية ، فدرست اتجاهات الشعر وصوره ومعانيه وأساليب التعبير فيه . وكان ثانياها الدراسة الموسعة عن « لبيد بن ربيعة العامري » آخر شعراء المعلقات وأكبر شعراء فترة المخضرمين ، درست الشعر الجاهلي من خلال شعره وموضوعاته وذلك بمقارنته بشعراء عصره وموازنة شعره بشعر الجاهليين وكان ثالث تلك الدراسات بحثا عن « الجاهلية » هو فى حقيقته مقدمة لدراسة الادب الجاهلي تكشف الحياة العامة فى العصر الجاهلي وتعين على فهم الادب وتوضح قضاياها وتفسر ظواهره .

وقد رأيت أن تكون هذه الدراسة مكملة للدراسات التي سبقت لتوضح أهم القضايا التي رافقت الشعر الجاهلي ، وتبرز الجوانب الفنية فيه ، وتبين خصائصه وميزاته ، وقد حاولت في هذه ادراسة ان اتجه الى الشعر مباشرة دون الحاجة الى اثاره قضايا البيئة والعصر واللغة والسكان كي تكون خالصة للشعر مؤكدة النواحي الفنية فيه ، فان الدراسات التي قامت حول الادب الجاهلي على كثرتها لم تكن - الا قليلا - بالجوانب الفنية ، فأكثر الذين كتبوا في تاريخ الادب أو حول الشعر والشعراء الجاهليين ، كانوا يصرفون الجهد في دراسة الحياة الجاهلية من الناحية السياسية والعقلية والاقتصادية والدينية واللغوية ، ويهتمون بجغرافية البيئة والتاريخ والقبائل ، فاذا جاءوا الى الشعر كان جهدهم ينصرف الى الترجمة للشاعر او عرض نماذج من شعره غير متورعين عن اطلاق الاحكام العامة التي تصدق على كل شاعر في الجاهلية والاسلام .

وقد أستثنى بعض الدراسات القليلة التي جاءت فيها ضروب من العناية بالنواحي الفنية من ذلك : مقالات الدكتور طه حسين في « حديث الاربعاء » حول الشعر الجاهلي ودراسة الدكتور شكري فيصل « تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ، وكتاب الدكتور النويهي « الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، ،

وقد اعتمدت في هذه الدراسة النصوص الشعرية أساسا ومنطلقا في الحكم على الشعر الجاهلي ومن ثم تحكيم المصادر واستنطاقها ، ومن خلال هذه النصوص تعرفت على طبيعة الشعر وخصائصه ودلالاته وظواهره ، فالشعر هو الوثيقة الصادقة التي تبين وتفصح عن مشاعر واحساسات وعواطف قائله ، وكذلك تبين المثل والقيم والطباع والعادات والتقاليد .

والدراسة الحصيفة الجديرة بالشعر القديم هي التي تقوم على فهم الشعر والادب وفق منطق قائله واذواقهم وقيمهم ومقاييس الجمال لديهم ، لا وفق المنطق الحديث والنظرة المعاصرة ، فمن الحيف والحطل ان تطبق ثقافة العصر الحديث ومفاهيمه وذوقه على شعر قيل في عصر مغاير وبيئة مختلفة وزمن سحيق يمتد في أعماق الماضي ، فلكل عصر ذوقه ولقته ومنطقه ونظرة أهله الى الفن والحياة .

ويقوم هذا البحث على ثلاثة فصول متواصلة متكاملة : قضايا الشعر ، وخصائصه ، وفنونه .

ففي قضايا الشعر : تناولت نشأة الشعر وقدمه واكتماله ونضجه وأثره في نفوس العرب الجاهلين بحيث نجده يصوغ أخلاق العرب ومثلهم ويوجهها نحو مثل عليا وقيم مشتركة ، ووقفت عند رواية الشعر واتصال هذه الرواية في الجاهلية والاسلام وازدهارها في العصر الاموي حتى تصل الى عصر الرواة والمدونين جماع الشعر في العصر العباسي ، وتحدثت عن الرواة في أكبر مدينتين للعلم هما البصرة والكوفة ومدى الثقة بهن وطبيعة الرواية في كل مدينة ، وقد استوجب ذكر الرواية الى توثيق الشعر والاطمئنان الى صحة ما يروى ، فعرضت لقضية الانتحال وكيف أرساها النقاد الاقدمون وعلى رأسهم ابن سلام على أسس راسخة ثم عرضت لهذه القضية عند المستشرقين والعرب المحدثين الذين قالوا بالانتحال والذين ردوا عليهم وفندوا آراءهم ، وكانت قضية الانتحال هذه قد اتصلت ببعض القصائد الطوال التي عرفت بالمعلقات ، فتحدثت عن هذه القصائد وعددها وقصة التعليق وقيمتها اللغوية والفنية .

أما في خصائص الشعر فقد استخلص الصفات البارزة والسماة الدقيقة

التي تفرق الشعر الجاهلي عن غيره ، فتحدثت عن الطابع البدوي وأثر البيئة في الشعر ، والواقعية والوضوح وصور هذه الواقعية التي تمثلت في البساطة والتعير الموجز المباشر ، وظاهرة التجسيم والتشخيص ، والتصوير المادي ، وجرائر هذه النزعة المادية وفوائدها في الشعر ، ثم تناولت التصوير في الشعر وصفة الصورة الجاهلية كمالها وشمولها وظاهرة اللون والحركة والاستعانة بضروب المجاز ، ونظرت في بنية القصيدة وتكوينها وترتيب اجزائها في القصائد الطويلة ، ووقفت عند المطالع والمقدمات والبدء بالديار وتفسير ذلك ، ثم تحدثت عن الوحدة الموضوعية ومدى انطاقها على الشعر الجاهلي .

أما فنون الشعر ، فقد درست الفنون الغالبة على الشعر الجاهلي وبينت طبيعة كل فن وميزاته وقارنت بين شعر الشعراء في الفن الواحد ، وقد عمدت الى النصوص المعبرة الموحية لشعراء شتى ولم أقف عند النماذج الشائعة كثيرا ، اذ الشيعوع ليس دليل الجودة دائما ، ففي المجاميع الشعرية كثير من الشعر الجيد لشعراء ما كان لهم حظ من الذبوع والشهرة .

وبعد : فأرجو أن أكون في هذه الدراسة الموجزة قد أضأت جوانب من الشعر الجاهلي جديدة بالعباية والتأمل ، ولست أزعـم اني بلغت الغاية التي كنت أصبو الى بلوغها ، ولكنني حاولت وسعيت ، فلعلني قد حققت بعض ما في النفس من رغبة وأديت بعض ما على من حق الادب واللغة والتراث العربي المجيد .

الفصل الأول

قضايا الشريعة الجاهلي

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قضايا الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي قديم موغل في القدم ، مر بأطوار وأزمان طويلة ، كان في عهد بداية وطفولة ، ثم نما وترعرع حتى استوى قصيدا متينا على يد امرئ القيس واضرا به من فحول الجاهلية ، ولا بد أن يكون للشعر تاريخ طويل قطع فيه أشواطا من الصناعة والدربة حتى استقام واكمل على هذا الشكل الموزون المقفى ، ذى الاسلوب الموجز الجميل ، والخيال الخصب ، والتعير الدقيق الذى لا لغو فيه ولا تطويل ، وفي لغته المتينة الجارية وفي أصول متعة في ذلك الشعر ، وان المعلقة التى بلغت مرتبة كبيرة من النضج الفنى ، ونالت اعجاب القدماء والمحدثين ، كانت نتيجة دربة ومران طويل فى صناعة الشعر (١) .

ولم يكن هذا الفن الكلامى عمل فرد أو بضعة أفراد ، بل كان عمل أجيال متعاقبة ، وجد بعض ابنائها فى انفسهم المقدرة على صوغ أفكارهم واحساساتهم فى ألحان وأوزان تهتز لها النفس وفق ما تعارف الناس فى التعبير اللغوى .

(١) ليال : الشعر العربي القديم ص ٣٧

وينظر فى أولية الشعر الجاهلي : الحياة العربية من الشعر الجاهلي - الحوفى ص ١٧٤ - ١٧٩ والعصر الجاهلي - شوقى ضيف ص ١٨٣ - ١٨٨ .

وليس من المستطاع تحديد فترة معينة لبدء تلك المحاولات ، ولكن ما بأيدى الرواة من الشعر الجاهلي يرقى عهده الى مائتى سنة على الاكثر ، وهذا هو التحديد الذى قرره الجاحظ حين قال : « وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن ، وأول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلل بن ربيعة . فاذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له - الى ان جاء الله بالاسلام - خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام » (٢) ، والجاحظ هنا يعين عمرا للشعر الذى عرف وهو ناضج مكتمل ، أما ما قبل ذلك ، فلا يمكن أن يُحدد بفترة قليلة كهذه ، فهناك مئات من السنين مر بها الشعر حتى وصل مكتملا الى مهلهل وامرؤ القيس وعنترة ، وغيرهم .

وفى الشعر نفسه من الدلائل الواضحة على انه مسبوق بكلام كثير ومحاولات عهدها طويل ، فامرؤ القيس يحاكي من قبله فى الوقوف على الديار والبكاء عليها (٣) :

عوجا على الطلل المحيل لأننا

نبكي الديار كما بكى ابن خذام

ويقول عنترة ان الشعراء الاقدمين تناولوا شتى المعانى فلم يتركوا للمتأخرين معنى صالحا (٤) :

هل غادر الشعراء من مُتردّم

أم هل عرفت الدار بعد توهم

(٢) الحيوان ٧٤/١ .

(٣) ديوان امرؤ القيس ص ١١٤ .

(٤) ديوان عنترة ص ١٨٢ .

وهذا اقرار واضح بأن عنترة مسوق بأجبال من الشعراء ، استفدوا المعاني الجيدة والتعابير الجميلة فلم يغادروا معنى لم يطرقوه .
وهذا الشعر الذي عرفه العرب عند الشعراء الجاهلين ، وجد قريبا من الكمال ، حائزا على أسباب الجمال والاتقان ، لفظا ومعنى وعروضا ، حتى ان الشعراء المولدين لم يستطيعوا ان يضيفوا اليه جديدا بارعا ، فلم يزيدوا على البحور الجاهلية شيئا ، ولم يتمكنوا من تغيير نهج القصيدة ، ومهما كانت تلك المحاولات التي بذلت للخروج على عمود الشعر في العصر العباسي ، فانها انتهت بالعودة اليه (١) ، ولم يضيفوا الى موضوعات الشعر الجاهلي شيئا ذا بال ، ويصدق هنا قول ابن رشيح القيرواني في المقارنة بين شعر الجاهلين وشعر الاسلاميين : « وانما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ، ابتداء هذا بناء فاحكمه واتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن ، (٢) » .

هذا الشعر الخصب الزاهي الجزل المتين ، نزل من النفس العربية منزلا رفيعا ، فهو عند العرب سجل العواطف والآثر والمآثر والمفاخر ، والشعر يصور حقيقة أهله ونفسية قائله بكل ما لهم من بطولات وأمجاد ، وبأس وشدة ، وعصبية وغضب ، وكرم ووفاء ، يصور خصال الخير كما يبين دواعي الشر ، ويسجل أيامهم ووقائعهم وأصولهم وأنسابهم ، فهو على ذلك ديوانهم ، يقول

(١) لقد حصر المرزوقي أبواب عمود الشعر في سبعة مظاهر فقال : « انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف - وفي اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الأبيات - والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتثامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ولكل باب منها معيار . » شرح الحماسة ٩/١ وينظر نقد النثر ص ٨٤ ، .
(٢) العمدة ٩٢/١ .

أبو هلال العسكري : « كذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وإيامها ووقائعها إلا من جملة اشعارها ، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ، ومستنبت آدابها ومستودع علومها » (٣) . فهم لذلك إذا اعتزوا بمكرمة أو نصر أو حادث سجلوا ذلك في قصيدة ، فهي أبقى على الدهر من كل عمل ، وأخذ من كل أثر ، وهذه سنة العرب في تخليد مآثرهم ، وفي حيوان الجاحظ : « فكل أمة تعتمد على استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الاشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها » (٤) وكذلك ذهب ابن سلام : « وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون واليه يصيرون . . . قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه . . . » (٥) . فالشعر على ذلك من أبرز وأوضح المظاهر الادبية ، لانه كان بلورة وتمثيلا للروح العربية وتعبيرا عنها ، والصفحة الواضحة التي أفصحت عن الحياة الجاهلية بكل مظاهرها ، وبخاصة تلك المظاهر الكبرى التي كانت موضع عنايتهم ، ثم هو الى ذلك العمدة التاريخية لتسجيل الاحداث وتصوير المواطن .

ولنزلة الشعر في نفوس العرب وشففهم به ، صار له كبير الاثر في توجيه مشاعرهم واهوائهم ، فقد حيب اليهم خصال الخير ورغبهم في الفضائل والمكرمات ، وكره اليهم خصالا ذميمة من البخل والقدر والجبن ولتحييه لحصال وتنفيده من أخرى جعل الاذهان ترتبط برغبات ، والنفوس تتعلق بأمنيات موحدة مشتركة ، فللشعر النصيب الاوفى في توحيد مشاعر العرب وتشابه طباعهم وعاداتهم ومثلهم ، وصقل لقتهم وتوحيد لهجاتهم كذلك . وعلى

(٣) الصناعتين ص ١٣٨ .

(٤) الحيوان ٧١/١ - ٧٢ .

(٥) طبقات الشعراء ص ٢٢ .

الرغم مما كان يحدث بين القائل من خصومات وغزوات كثيرة ، فان ذهنية العرب متجاوبة ، وهم يلتقون عند مثل مشتركة ، مثل عليا تقوم على الشرف والمروعة ، وما كان ذلك ليكون لولا انتشار القصائد وسيرورتها بسرعة غريبة عجيبة ، فهي ما تكاد تلقى من فم قائلها ، حتى تسير بها الرواة وتنشدها المجالس ، وحقا قالوا في أمثالهم « أسير من شعر ، قال الميداني في تفسير هذا المثل : « لانه يرد الاندية ويلج الاخبية سائرا في البلاد مسافرا بغير زاد ، (١) ، قال الشاعر (٢) :

فلأهدين مع الرياح قصيدة

مني مغلغلة الى القعقاع

ترد المياه فما تزال غريبة

في القوم بين تمثّل وسماع

والامثلة كثيرة في أثر الشعر في نفوس العرب ، وسلطانه عليهم ، فرب بيت يقوله شاعر يرفع به قدر وضع أو يضع قدر رفيع ، ويصدق هنا قول الحصري القيرواني في أثر الشعر ومكاته : « وقد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة ، (٣)

وما هو الا القولُ يسرى فتغتندي

له غررٌ في أوجهٍ ومواسم

فكم رفع من قدر أقوام كانوا أذلة ، وأذل أقواما كانوا أعزة ، فهؤلاء

(١) مجمع الامثال ١/٣٥٤ .

(٢) هو المسيب بن علس ، المفضليات ص ٦٢ .

(٣) زهر الآداب ١/٢٢ .

أولاد جعفر بن قريع بن كعب الذين عرفوا ببني أنف الناقة ، كانوا يأنفون من هذا اللقب فهو سبة عليهم ، حتى اذا مدحهم الحطيئة بقوله (٤) :

قومٌ همُ الأنفُ والاذنابُ غيرُهُمُ

ومن يسوئى بأنفِ الناقةِ الذنبا

صار اسمهم شرفا لهم ، وصاروا بعد ذلك يزهون به بعد ان كان سبب استحياء .

وكثيرا ما يدفع الشعر الناس الى الخير ويهز أريحيتهم ، وليس أدل على ذلك من مدحة الاعشى للمحلق ، التي كانت تنويها به وتمجيدها له ، بعد أن كان خاملا فقيرا الحال ، فقد قيل : ان الاعشى قدم سوق عكاظ ، فأشارت امرأة المحلق على زوجها أن يسبق الناس الى ضيافته واكمامه ، ففعل المحلق وبالغ في اكرامه ، وعرف الاعشى بؤس المحلق وسوء حاله وكثرة بناته ، ثم خرج من عنده ولم يقل فيه شيئا ، وأصبح الاعشى بعكاظ وقد اجتمع الناس حوله فأنشدهم قصيدته :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّقُ

وما بي من سقمٍ وما بي معشَقُ

مدح فيها المحلق وذكر كرمه وشرفه ، حتى فرغ منها ، ثم نادى الاعشى :
« يا معشر العرب ، هل فيكم مذكرار يزوج ابنه الى الشريف الكريم ، ، فما

(٤) الاغانى ١٨١/٢ والبيت فى ديوانه ص ١٢٨ .

قام المحلق من مقعده حتى زوج بناته جميعا (٥) ، فالناس صارت تنظر الى المحلق وقد تمثلت فيه الفضائل والمكرمات ، فالشعر يهز النفوس ويشير العواطف ويرغب فى الخير ، والى ذلك كان ينظر معاوية حين كتب الى زياد بن أبيه يعاتبه على انه لم يرو ابنه الشعر : « ما منعك أن ترويه الشعر ؟ فوالله ان كان العاق ليرويه فير ، وان كان البخيل ليرويه فيسخو ، وان كان الجبان ليرويه فيقاتل ، (٦) » .

واذا كان هذا أثر الشعر فى فعل الخير ، فلعل أثره فى فعل الشر والدعوة اليه أشد وأبلغ ، فلرب قافية أثارت معركة يتوارث جرائرها الابناء عن آبائهم ، أو تورث سبة لا يمحوها الدهر ، هؤلاء بنو عبد المدان ، أبيات من شعر حسان تجعلهم ينزلون من عليائهم ، ويتوارون من سوء ما وصموا به ، وأبيات أخرى تعيدهم الى زهوهم وأدلالهم على الناس ، لقد بارك الله لبنى عبد المدان بسعة الصدور وطول الاجسام وغلظها ، فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم ، حتى اذا كسفهم حسان بقوله :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظَمِ
جِسْمِ البِغالِ وأحلامِ العِصافيرِ

جاءوا اليه يسترضونه ، وقالوا : يابن الفريعة : كنا نفخر على الناس بالعظم والطول فأفسدته علينا . ثم قال لهم : سأصلح منكم ما أفسدت ، فقال يمدحهم (١) :

-
- (٥) الأغاني ١١٣/٩ - ١١٤ .
 (٦) العقد الفرید ٢٧٤/٥ والمزهر ٣١٠/٢ - ٣١١ .
 (١) العقد الفرید ٣٢٨/٥ وديوان حسان ص ٢١٤ .

وقد كنا نقولُ اذا رأينا

لذی جسمٍ يُعدُّ وذی بیانٍ

كأنك أيها المعطى بياناً

وجسماً من بني عبد المِदानِ

فعادوا الى سيرتهم الاولى . والامثلة كثيرة في تأثير الشعر في فعل الخير
والشر على السواء .

واذا كان للشعر هذه المكانة في النفوس ، فلا بد أن يكون للشاعر منزلة
رفیعة في مجتمعه وفي قبيلته ، لانه لسانها الذاب عنها ، الحامي لاعراضها ،
المفصح عن رغباتها ، المخلد لمفاخرها واتصاراتها ، ولذلك فاذا نبغ في القبيلة
شاعر تباشرت القبيلة ، وصنعت الولايم ، وأقامت الافراح ، يقول صاحب
العمدة : « وكانوا لا يهتئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تتج ، (٢)
فالشاعر كريم في نفسه ، عزيز على قومه ، وقلما نجد شاعرا مهانا أو يتخذ
الشعر حرفة ومكسبا يريق لاجلها ماء الوجه - اذا استثنينا الحطيئة والاعشى -
بل كان يرى أنه صوت القبيلة ، سيفها ولسانها وتحفل أخبار الشعراء بما كان
لهم من فضل في اعزاز قبائلهم ورفع مكائنها وحماية اعراضها .

ولم يكن الشعر عند العرب ضربا من الترف او ملهاة يزجى بها الوقت ،
أو فنا مقصورا على فئة قليلة من الناس ، بل كان الفن الرفيع الذي يجد الناس
فيه تعبيرا عن عواطفهم واحساساتهم وتميلا لثلمهم وسجاياهم ، ولذلك أقبلوا

(٢) العمدة ٦٥/١ .

عليه كل اقبال ، حفظوه وتدارسوه ورووه وعنوا به عناية فاقت كل عناية .

وقد قامت عنايتهم بالشعر منذ العصر الجاهلي على دعامة قوية متصلة هي :
(الرواية) والرواية (٣) هي الوسيلة الاولى لنشر الشعر وذيوعه وحفظه ،
فما يكاد الشاعر يلقي قصيدته حتى تذهب بها الرواة كل مذهب ، وتذيع بين
الناس ، دون ان يبذلوا جهدا في اذاعتها ، وهي اذا ظهرت للناس فلا يستطيع
أحد أن يحول بينها وبين الانتشار ، وقد عبر عن ذلك عميرة بن جعيل ، حين
هجا قومه ثم ندم ، ولات ساعة مندم ، فقد ذهب بها الرواة وسارت بها
الركبان : (٤)

ندمتُ على شتم العشيرة بعدما

مضتُ واستتبتُ للرواة مذاهبهُ

فأصبحتُ لا أسطيعُ دفعا لما مضى

كما لا يردُّ الدرُّ في الضرعِ حالبهُ

وكان للشاعر راوية أو أكثر من راوية ، يلزمه وينقل عنه شعره ، بل
ان الشعراء يروى بعضهم عن بعض ، فالشاعر الكبير يأخذ عنه شعراء صغار ،
يحفظون شعره ويروونه ويتأثرون بأسلوبه حين ينظمون ، نجد ذلك في
القبيلة الواحدة ، كالذي نعرف عن الاعشى الذي كان راوية لحاله المسيب

(٣) للتوسع في موضوع الرواية ينظر مصادر الشعر الجاهلي ، الرواية
والسماع ص ١٨٨ - ٢٨٣ وتوثيق الرواة وتضعيفهم ص ٤٢٩ - ٤٧٨
والحياة العربية ص ٢٩ - ٣٦ وينظر العصر الجاهلي ص ١٢٨ - ١٥٨
(٤) الشعر والشعراء ٦٥٠ / ٢ .

ابن علس (١) وأبى ذؤيب الذى كان راوية لساعدة بن جؤية الهذلى (٢) ، وكذلك نجد الرواية بين شعراء من قبائل مختلفة ، فمن أوس بن حجر التميمى أخذ زهير بن أبى سلمى المزنى وعن زهير أخذ ابنه كعب والحطيئة العيسى ، وعن الحطيئة روى هدبة بن خشرم العذرى ، وعن هدبة روى جميل بن معمر ، وعن جميل أخذ كثير غزة (٣) ، وهكذا نجد سلسلة من الرواة الشعراء يروى بعضهم عن بعض ، يتعلم منه وينهج نهجه ، مقلداً فى بدايته ، مبدعا عند نضجه .

ولم يكن الامر مقتصرا على الشعراء أو على مجموعة من الرواة ، بل كانت القبيلة تحرص على رواية شعرها فتعلم صغارها الشعر ، وحفظ أشعار القبيلة خاصة ، كما كانت تفعل قبيلة تغلب التى هجاها الشاعر البكرى على كثرة احتفالها بقصيدة عمرو بن كلثوم : (٤)

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة

قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدأ مذ كان أولهم

بالرجال لشعر غير مسنوم

-
- (١) طبقات الشعراء ص ١٣٢ والشعر والشعراء ١٧٤/١ وكذلك يقال فى الصلة بين طرفة بن العبد والمرقس الأصغر والمرقس الأكبر ، ينظر طبقات الشعراء ص ٣٢ .
 (٢) الشعر والشعراء ٦٥٣/٢ .
 (٣) طبقات الشعراء ص ٨٧ والأغانى ٩١/٨ .
 (٤) الأغانى ٥٤/١١ .

ويتجاوز ذكر القصائد وحفظها أبناء القبيلة الى القبائل الاخرى ،
فينشدونها ويمثلون بها فى مجالسهم واسواقهم ، فالشعر عندهم غذاء وطرب
وسمر وعلم لم يكن لهم علم أصح منه (٥) .

وبقى هذا شأن الشعر حتى جاء الاسلام ، وعلى الرغم من انشغال العرب
بالدين وانصرافهم الى القرآن والفتوح ، فانهم لم يهجروا الشعر ولم يتركوا
روايته وسماعه ، وبقيت الرواية متصلة ، وكل ما يقال عن وقوف الاسلام فى
وجه الشعر والشعراء باطل لا حق فيه ، وكيف يكون ذلك وقد كان الرسول
يستمع الى الشعر ويسأل الشعراء أن ينشدوه ، فيستحسن منه ويدعو لقائله ،
ويجيز عليه الشعراء (٦) ، ينشدونه من شعر الجاهلية قول عنترة :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظنُّ

حتى أنالَ به كريمَ المأكَلِ

فيمجبه ايثار عنترة وسماحة نفسه ، حتى انه عليه السلام ليقول : « ما
وصف لى أعرابى قط فأحبيت أن أراه الا عنترة » (٧) . ويسمع قول لبيد بن
ربيعة :

ألا كلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ

وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلٌ

(٥) طبقات الشعراء ص ٢٢ .
(٦) ينظر الاسلام والشعر ص ٥٣ وما بعدها .
(٧) الأغانى ٢٤٣/٨ .

فيقول : « أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد . . . » ، (٨) . و كانت عائشة أم المؤمنين كثيرا ما تشد الشعر أو تتمثل بأبيات منه ، فيستمع الرسول الى ذلك الشعر ويعلق عليه ، دخل عليها يوما وهي تشد من شعر زهير بن جنياب :

ارفعْ ضعيفَكَ لا يحُرُّ بكْ ضعْفُه
يوماً فتدريْ كُه عواقبُ ما جنى
يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عَلَيْكَ فَإِنْ مَنْ
أثْنَى عَلَيْكَ بما فعلتَ كمنْ جزَى

فيقول عليه السلام : « صدق يا عائشة ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ، (١) . وكان يستشد اصحابه من شعر أمية بن أبي الصلت (٢) ، ويستمع للخنساء تشده فيستزيدها (٣) ، ويستمع لحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ينشدونه من شعرهم ، فيشجعهم ويثنى عليهم (٤) ، وأمر كعب بن زهير مع النبي معروف مشهور وكذلك ما أعطاه من هدايا ، وينشده النابغة الجعدي فتسديته الرائية التي منها :

-
- (٨) صحيح مسلم ٧٦٨/٤ .
 (١) الشعر والشعراء ٣٨١/١ والعقد الفريد ٢٧٥/٥ .
 (٢) طبقات ابن سعد ٣٧٦/٥ والأغانى ١٢٩/٤ - ١٣٠ .
 (٣) نهاية الأرب ٢٦/١٨ .
 (٤) العقد الفريد ٢٩٤/٥ والعمدة ٣١/١ .

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى

ويتلو كتاباً كالمجرّة نيراً

فيمجبه قوله ويدعوه له : « لا يفضض الله فاك » (٥) • والادلة كثيرة على اقبال الرسول على الشعر وعلى تشجيعه الشعراء واستشادهم ، وبذلك ندفع ما يقال عن توقف الرواية وان الاسلام كان معوقاً للشعر مشبطاً لهمم الشعراء (٦) .

وكذلك كان أصحاب رسول الله ، يتناشدون الاشعار ويروونها ويحكمون عليها ويستمعون الى قائلها ، ولم يكونوا مترمتين ضيقى الصدور ، يروى ان الحسن البصرى سئل يوماً : « أكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزحون ؟ قال نعم ، ويتقارضون من القريض وهو الشعر » (٧) ، ولم يعرض الصحابة عن الشعر ، ولم يتركوا روايته ، ما دام غير متعارض واخلاق الاسلام وتعاليمه ، ذكر أبو سلمة وصفهم : « لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متحزقين ولا متماوتين ، كانوا يتناشدون الاشعار ويذكرون أمر جاهليتهم ، فاذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه ، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون » (٨) ، وكانوا يتناشدون الاشعار ويذكرون أخبار الجاهلية فى المسجد وعلى مسمع ومرأى من النبى ، وهو راض ، قال جابر بن سمرة :

(٥) الشعر والشعراء : ٢٨٩/١ والأغاني ٩/٥ •

(٦) ينظر هنا قول ابن خلدون : « ثم انصرف العرب عن ذلك [أى الشعر] أول الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زماناً » المقدمة ص ٥٨١ • وتابعه فى ذلك من المحدثين جرجى زيدان : « ان الشعر فى عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح » تاريخ آداب اللغة العربية ٢٢٢/١ •

(٧) الفائق فى غريب الحديث والأثر ٣٣٩/٢ •

(٨) ٢٧٥/١ •

• جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الاشعار فى المسجد وأشياء من أمر الجاهلية ، فربما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٩) •

واتصلت الرواية فى عهد الخلفاء الراشدين ، وكان لهم نصيب من رواية الشعر وانشاده وحفظه ، كان أبو بكر الصديق كثير الحفظ ، كثير الرواية ، واسع الاطلاع غريز المعرفة ، ولذلك فان الرسول الكريم كان يسأله عن صحة ما يروى من الشعر (١) ، وكثيرا ما كان يستشهد فى خطبه بأبيات مناسبة من الشعر ، كخطته يوم السقيفة فى مخاطبة الانصار : « فنحن وأنتم كما قال الغنوى :

جزى اللهُ عنَّا جعفرًا حين أزلفتُ

بنا نعلنا فى الواطئينَ فزلتِ

أبوا أن يملثونا ولو ان أمنا

تلاقى الذي يلقون منا ملئتِ

هم أسكنونا فى ظلالِ بيوتهم

ظلالِ بيوتِ أدفاتٍ وأكنتِ (٢)

(٩) الطبقات - ابن سعد ٩٥/٢ - ٩٦ •

(١) التنبيه - البكرى ص ٧٤ •

(٢) ادب الكتاب ص ١٩٠ •

وكذلك كان عمر بن الخطاب يتمثل بالشعر فى كل مناسبة ، حتى ان ابن سلام كان يقول : « لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر » (٣) ، وكان يعجب بزهير بن أبى سلمى ويستنشد الناس شعره ، يعجب به ويفضله على الشعراء لصفات أوجزها فى قوله : « كان لا يعاقل فى الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحدا الا بما فيه . . . » (٤) ، وثمة آراء لعمر مبنوثة فى كتب الادب فى الحكم على جيد الشعر ونقده والدعوة الى تعلمه وحفظه ، وقد كتب الى ابى موسى الاشعري يقول : « مر من قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالى الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الانساب » (٥) .

وعلى هذه الحال كان على بن أبى طالب ، له علم وبصر ناقب بالشعر والشعراء ، كان يستنشد الشعراء ويتمثل بالشعر ويقبل عليه ، بل كان نفسه شاعرا حفظت له كتب الادب والتاريخ مجموعة من جيد الشعر . أما ابن عباس فقد اتخذ من الشعر وسيلة لتفسير ما أشكل على المسلمين من ألفاظ القرآن الكريم ، وكان يدعو الى معرفة الشعر للاستعانة به على فهم كتاب الله ، يقول : « اذا قرأت من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه فى أشعار العرب ، فان الشعر ديوان العرب » (٦) ، وكان اذا سئل عن شىء من القرآن أنشد فيه شعرا (٧) . ولم تكن عائشة أم المؤمنين أقل من ابن عباس حفظا ورواية ، كانت تروى القصائد الطوال ، وكانت معجبة بشعر ليلى ، حتى قالوا : انها كانت تحفظ له الف بيت ، وقد مر بنا أنها كانت تتمثل بالشعر

(٣) البيان والتبيين ١/٢٤١ .

(٤) الشعر والشعراء ١/١٣٨ والأغاني ١٠/٢٨٩ .

(٥) العمدة ١/٢٨ .

(٦) العمدة ١/٣٠ .

(٧) شرح الحماسة - التبريزى ١/٣ .

وتشده بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أ) •

وحين قامت الحرب بين علي ومعاوية ، كان الشعر من أسلحة الحرب ،
تهاجى به الفريقان المتقاتلان ، وأثار الشعراء همم الجنود ، وجادلوا فيه
خصومهم ، وان القائل المتحاربة كانت تجد في احياء تراثها من الشعر الجاهلي ،
ترويه وتذيعه ، لان فيه محامد القبيلة وامجاد آباؤها ، كما أنها كانت تقف على
منال خصومها وما قيل فيهم من هجاء في الجاهلية والاسلام •

ومعنى هذا ان الرواية ظلت متصلة في صدر الاسلام ، لم تنقطع ولم
تفتر ، وقد حدثت في الاسلام أحداث ساعدت على رواية الشعر وازدهاره •

وفي العهد الاموي نشطت الحركة الادبية ، وعلت مكانة الشعر والشعراء ،
وصارت مجالس الولاة والحلفاء منتديات أدبية تشد فيها القصائد وتروى
الاشعار ، ويتبارى الرواة في ذكر النادر والغريب من الشعر والاحاديث
والاخبار ، وكان الحلفاء يشجعون الشعراء ويجزلون لهم الهبات والجوائز •
وصار للرواة في هذه المجالس مكانة مرموقة ، فهم مقربون مكرمون ،
يستدعيهم الحلفاء والولاة ليسمروا في مجالسهم ، ويحدثوهم احاديث الجاهلية
وأشعارها • كان معاوية يقرب عبيد بن شربة الجرهمي ويصفي اليه اذا
حدثه ، ويستزيده ويسأله ، وكان يعجب من حديثه وكثرة حفظه وعلمه
وحضور بديهته ، ويقال انه كان يأمر أن تقيد احاديثه بدفاتر ، فيفعل غلमानه (١)
لم يكن هذا شأن معاوية وحده ، بل كان أكثر الحلفاء الامويين على هذه

(أ) الشعر والشعراء ٣٨١/١ والعقد ٢٧٥/٥ والاحياء لعلوم الدين -

الغزالي ١٠٩/٣ •

(١) الفهرست ص ١٣٢ •

الشاكلة ، وربما كان عبد الملك بن مروان أبرز الامويين في ذلك ، لانه هو نفسه كان حافظا للشعر مقبلا عليه ، مجزلا العطاء للرواة والشعراء ، كان يستقدمهم من بلدانهم ويسائلهم ، وليس غريبا في هذا العصر أن يردوا الى العراق بريدا ليحضروا عالما من علماء الشعر والايام ليسألوه عن بيت شعر أو قصيدة أو خبر من الاخبار أو يوم من أيام العرب (٢) .

وقد كثر المؤدبون في هذا العصر يعلمون الناشئة الشعر واللغة والابحار ، وقد كان عبد الملك يوصى مؤدب ولده أن يعلمهم الشعر : « روهم الشعر يمجدوا وينجدوا » (٣) ، ويقول أيضا : « أدبهم برواية شعر الاعشى ، فان لكلامه عذوبة » (٤) ، ومن هؤلاء المؤدبين كان المفضل الضبي والكميت والطرماح (٥) .

وقد كان هؤلاء الرواة والمؤدبون يتنافسون في حفظ الشعر ومعرفة فنونه وغريبه ، واستقصاء أشعار القبائل والوقوف على ما خلف الشعراء من شعر جيد ، فتراهم في هذا العصر يلقون الاعراب حين يفدون الى البصرة أو الكوفة ، يأخذون عنهم ويدونون أقوالهم ، أو يرحلون اليهم في بواديهم ليشافهوهم ويدونوا عنهم الشعر واللغة والابحار .

وكما كان الرواة في الجاهلية يلزمون الشعراء يروون عنهم ويذيعون شعرهم ، فكذلك كانوا في هذا العصر ، من هؤلاء الرواة شعراء يروون الشعر ليتعلموا ، ومنهم من لم يكن شاعرا ، بل اتخذ الرواية حرفة وعلما اتقنه وبرع

-
- (٢) التصحيف والتحريف ص ٤ .
 - (٣) العقد الفريد ٢٧٤/٥ .
 - (٤) جمهرة أشعار العرب ص ٦٧ .
 - (٥) البيان والتبيين ٢٥١/١ و ٣٢٣/٢ .

فيه • وهؤلاء هم الذين كانوا يصلحون أخطاء الشعراء وينقحون شعرهم ويهدبونه ، روى أبو الفرج عن شيخ من هذيل انه زار الفرزدق ثم دخل على رواته فوجدهم يعدلون ما انحرف من شعره ، وكذلك دخل على جرير فوجد رواته يصلحون ما فى شعره من سناد (٦) •

ولم يكن الشعراء أقل من الرواة أقبالا على الرواية والتماسا لها ، بل كانوا يحفظون الكثير من الشعر الجاهلى ، ويروون لشعراء الجاهلية ، ليقفوا على مذاهبهم ومداخل شعرهم ، وليقفوا بعد ذلك أثرهم فى صناعة الشعر ، هذا سراقه البارقى (توفى حوالى ٧٩ هـ) يسجل فى احدى قصائده ثقافته الغزيرة واطلاعه وحفظه الكثير من الشعر الجاهلى ، يقول : (١)

ولقد أصبْتُ من القريضِ طريقةً

أعيتُ مصادِرُها قرينَ مُهلَلِ

بعد أمرى القيسِ المنوّهِ باسمه

أيامَ يهذي بالدخولِ فحوملِ

وأبو دوادٍ كانَ شاعرَ أمةٍ

أفلتَ نجومهم ولما يَأفَلِ

إني فتى أدركتُ أقصى سَعِيهِمْ

وغرفتُ من بحرٍ وليس بجَدولِ

(٦) الأغانى ٢٥٨/٤ •

(١) ديوان سراقه البارقى ص ٦٤ - ٧١ • وكذلك فعل الفرزدق

(ت ١١٠ هـ) فله قصيدة فى هذا المعنى ينظر ديوانه ص ٧٢٠ •

وهكذا يذهب يعدد مجموعة كبيرة من شعراء الجاهلية الذين وقف على شعرهم وأفاد من طريقتهم •

وقد تضافرت جهود كثيرة لجمع الشعر وروايته وحفظه ، فالى جانب الرواة والشعراء ، كانت هناك فئة من القصاص الذين يجتمع حولهم الناس فى المساجد ، يقصون عليهم ويعظونهم ويمثلون بالشعر فى أحاديثهم ، وكذلك كان المؤرخون ورواة السيرة النبوية وغزوات الرسول ، من مثل أبان بن عثمان وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق الذين كانوا يفتون بالشعر الذى قيل فى الغزوات والايام •

وفى منتصف القرن الثانى نجد جمهرة من الرواة والعلماء المحترفين انصرفوا للرواية وتفرغوا لها ، فشهروا بكثرة حفظهم وسعة علمهم واحاطتهم باللغة والشعر والاحبار والايام ، وانطلقوا نحو البداية يأخذون عن الاعراب يقيدون شعرهم وأخبارهم الجاهلية والاسلامية ، ولعل أبرز هؤلاء الرواة المتقدمين : محمد بن السائب الكلبى (ت ١٤٦ هـ) وابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) وحمامد الرواية (ت ١٥٦ أو ١٦٤ هـ) والمفضل الضبى (ت ١٧٠ هـ) وخلف الاحمر (ت ١٨٠ هـ) •

وقد بدأت حركة جمع الشعر والعناية به اولا للحفاظ على القرآن الكريم ومعرفة تفسيره ، فمئذ ابن عباس كان المفسرون يستعينون بالشعر على معرفة الفاظ القرآن ، فكان ابن عباس يوصى الناس ان يلتمسوا تفسير الكتاب فى أشعار العرب : « اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب ، فان الشعر ديوان العرب » (٢) • كما نشطت جماعة أخرى تجمع الشعر وتدرسه لتستنبط منه قواعد اللغة ومعرفة حرركاتها ، حفاظا منها

على لغة القرآن وضبط حر كاته ، ووجد كل اولئك فى الشعر الجاهلى بفتيهم ، وهكذا نشطت الرواية واتسعت دائرة التدوين والتأليف وقامت على أسس من العلم المنظم .

وقد صار الرواة فى هذا العصر فئتين ، لكل منهما منهج واسلوب ، أولاهما كوفية ، وثانيهما بصرية (٣) .

وقد عرف الكوفيون بنقل الشعر الكثير ، عمادهم السماع ، وهم متسامحون فى رواية الشعر ، قليلا ما يقفون عنده ليحققوا صحبته من فاسده ، ولذلك كان شعرهم أغزر وأكثر ، قال أبو الطيب اللغوى : « والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكن أكثره مصنوع منسوب الى من لم يقله ، وذلك بين فى دواوينهم » (٤) ، وليس بغريب أن تلصق هذه التهمة بالكوفيين ، فالناس ينظرون الى رواة الكوفة وكبيرهم حماد الراوية المعروف بتزيده وكذبه ، كان حماد من الموالى ولد سنة ٩٥ هـ وتوفى سنة ١٥٦ للهجرة (٥) ، وكان فاسد المروءة ماجنا زنديقا (٦) ، يحسن نظم الشعر فيفسد شعر الجاهلية بما يحمل عليه ما ليس فيه ، قال ابن سلام : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد فى الأشعار » (١) . وفى حياة حماد ما يدل على سلوكه الشائن ، فقد نشأ لصا يتشطر قبل أن تتصل حياته بالرواية ،

(٣) ينظر مصادر الشعر الجاهلى فصل توثيق الرواة وتضعيفهم ص ٤٢٩ - ٤٧٨ والحياة العربية ص ٢٩ - ٣٦ والعصر الجاهلى ١٤٨ - ١٥٨ .

(٤) مراتب النحويين ص ٧٤ .

(٥) وقيل توفى ١٦٤ هـ .

(٦) الحيوان ٤/٤٤٧ والأغانى ٦/٧٤ وأمالى المرتضى ١/١٣١ .

(١) طبقات الشعراء ص ٤٠ - ٤١ .

روى أبو الفرج أن حمادا « كان في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك
واللصوص ، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار ،
فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الادب والشعر وأيام الناس ولغات
العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ من العلم ما بلغ ، (٢) ، وقد عرف
الناس حق حماد من العلم بكلام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها وأيامها ،
وكثرة الحفظ والذكاء ، فشهدوا له بالبراعة والتقدم ، حتى ان الهيثم بن عدى
ليقول : « ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد ، (٣) ويروى عن كثرة
حفظه ما يعد من الاعاجيب (٤) ، ومهما تزيد الناس وبالغوا في ذلك ، فان
فيما يصح له دليل على علمه الواسع وحفظه الكثير . ولا شك ان للمنافسة
بين الكوفة والبصرة أثرا في تهويل الصورة التي وصلتنا عن حماد ، فقد شهد
له منافسه الاصمعي راوية البصرة بأنه كان أعلم الناس اذا نصح (٥) ومع
ذلك فعلى الدارس أن يكون حذرا من مروريات حماد ، لان الكوفيين أنفسهم
يتمون حمادا ، فابن الاعرابي الكوفي يروى عن المفضل الضبي انه قال : « قد
سنط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقبل له وكيف
ذلك ؟ أيخطيء في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فان أهل العلم
يردون من أخطأ الى الصواب ، لا ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها
ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل
ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الافاق فتختلط أشعار القدماء ولا
يتميز الصحيح منها الا عند ناقد ، وأين ذلك ؟ » (٦) وقول المفضل هذا يحمل

(٢) الأغاني ٨٧/٦ .

(٣) معجم الأدباء ١٤٠/٤ .

(٤) ينظر خبره مع الوليد بن يزيد ، الأغاني ٧١/٦ ومعجم الأدباء

١٣٧/٤ .

(٥) الأغاني ٧٠/٦ .

(٦) الأغاني ٨٩/٦ ومعجم الأدباء ١٤٠/٤ .

أميرين : اتهم حماد من قبل رجل كوفى ، وشهادة له بعلو مكانته فى العلم والرواية والاحاطة بأشعار العرب ، ومما يقلل من تهمة المنافسة البصرية ، ان البصريين وثقوا المفضل الضبى وهو كوفى ، مما يدل على دقة بصر البصريين بالرواة والحكم على رواة الكوفة بما فيهم ، ولا شك أن المنافسة البصرية كانت تبالغ حين تصف حمادا بأنه يلحن ويكسر الشعر ويصحف (٧) لان هذا الحكم جائر لا يصح ، ولا يقوم أمام الروايات التى تصف حمادا بالعلم والدراية فانه كان « أعلم الناس اذا نصح » (٨) .

ولم يكن حماد وحده المتهم فى هذا الميدان ، فقد عرف كذابون آخرون عاصروا حمادا مثل برزخ العروضى المعروف بالوضع والكذب فى روايته (٩) ، وكذلك جناد الذى كان كثير اللحن والتصحيف والكذب (١) ، ويلاحظ أن الرواة المتهمين بفساد روايتهم ، سواء أكانوا فى الكوفة أم فى البصرة ، أكثرهم من أصول غير عربية ، وكلهم فاسق ماجن رقيق الدين فاسد الضمير .

ويلاحظ أن فى الكوفة - عدا هؤلاء - الكثير من الرواة الثقات الذين حفظوا الشعر ونقلوه بأمانة ودقة وهم ممن لا يرقى الشك الى روايتهم او الى صلاحهم ، وعلى رأس هؤلاء الاعلام الاثبات المفضل بن محمد الضبى (ت ١٧٠ هـ) (٢) ، وقد أجمع الكوفيون والبصريون على توثيقه وشهدوا له بالعلم والدقة والامانة وسعة المعرفة بأشعار الجاهلية وأخبارها وأيامها ، وخبرته الكبيرة بأساب العرب .

(٧) الأغاني ٢٨٣/٨ .

(٨) الأغاني ٧٠/٦ .

(٩) أنباء الرواة على أنباء النحاة ٢٤٢/١ . والفهرست ص ١٠٧ .

(١) معجم الأدباء ٤٢٥/٢ - ٤٢٦ والفهرست ص ١٣٥ .

(٢) وقيل ١٧٨ هـ .

ومن الرواة الكوفيين الثقات الذين خلفوا المفضل وساروا على نهجه
أبو عمرو الشيباني (ت ٢١٣ هـ) وابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) وممن يدخل
في هذا الصنف محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)
وثعلب (ت ٢٩١ هـ) وكلهم كان على درجة كبيرة من الدراية والصدق
والثبوت . فاذا عيب على الكوفة رواية متهمون ، فان وراءهم رواية حفظوا
صحيح الشعر وبينوا فاسده ، وكانوا يتحرون في نقلهم ويتحرجون في
رواياتهم ، فلا يحملون الا ما صح من الشعر والاخبار .

واذا عدنا الى البصرة ، نجد الرواية تنسم بالدقة والصدق ، وأكثر
رواتهم موثوق بهم ، وان لم تخل هذه المدينة من المواضيع المتهمين .

كان شيخ الرواية البصرية ابو عمرو بن العلاء ، وقد عرف بصدقه
وأمانته ، فهو أحد القراء السبعة الذين أخذت عنهم تلاوة القرآن الكريم ،
وكان من أوائل النحاة في البصرة ، ولد سنة سبعين للهجرة وتوفي سنة
١٥٤ أو ١٥٩ من الهجرة ، قال الجاحظ في صفته : « وحدثني أبو عبيدة قال :
كان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربة وبالقرآن والشعر ، وبأيام العرب
وأيام الناس ، (٣) وقد عرف بالصلاح والتقوى وتنسك في أخريات أيامه
فأحرق ما كان لديه من كتب كتبها عن العرب الفصحاء ، ويقال انها كانت
كثيرة بحيث ملأت بيتاً له الى قريب من السقف (٤) . .

ومثلما كان في الكوفة رواية فاسدون كذابون مزورون ، فكذلك كان
في البصرة مثل أولئك ، ولعل ابرزهم خلف بن حيان الاحمر ، الذي سار

(٣) البيان والتبيين ١/٣٢١ .

(٤) المصدر السابق والصفحة

سيرة استاذة حماد الراوية ، فقد أخذ عنه وتلمذ له (٥) وان خلفا كان يعطى حمادا المنحول من الشعر فيقبله منه حماد ويرويه (٦) وبين هذين الرجلين صلة جامعة وشبه كبير ، فكلاهما عالم مطلع ، وكلاهما فاسد المروءة متهم في دينه فاسق ماجن ، وكلاهما من الموالي ، فخلف من أعاجم فرغانة ولد سنة ١١٥ وتوفي حوالي ١٨٠ هـ ، كان عالما باخبار العرب وأشعارها ، وكان شاعرا حاذقا ذكيا كثير الحفظ ، يقول ابن سلام : « اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بيت شعر وأصدقه لسانا ، كنا لا نبالي اذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا أن لا نسمعه من صاحبه » (٧) ، وشهادة ابن سلام هذه لا تدل على براءته من الكذب ، بقدر ما تدل على بصره بالشعر وحلاوة منطقه وفصاحة لسانه ، وقد اتهمه الاصمعي بأنه « وضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعا كثيرا ، وعلى غيرهم عثابه ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة » (١) ، وقد أقر خلف بذلك الوضع والكذب في أخريات أيامه حين تاب وتنسك وانصرف الى القرآن ، فخرج الى أهل الكوفة فعرفهم الاشعار التي نحلها الشعراء (٢) .

ومثلما كان في الكوفة رواة ثقات يتصدون للوضاعين ويتحامون روايتهم ، فكذلك كان في البصرة كثرة من أولئك الاثبات العدول ، كالاصمعي : عبد الملك بن قريب ، وهو عربي صميم ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٥ وقيل ٢١٧ للهجرة ، شهد له معاصروه بسعة علمه بشعر الجاهلية وأخبارها وأيامها ، كما شهدوا له بالدقة والصدق والامانة ، فهو عدل ثقة ، وان تعرض للاتهام ،

-
- (٥) مراتب النحويين ص ٤٧ و ٧٢ .
(٦) الأغاني ٩٢/٦ .
(٧) طبقات الشعراء ص ٢١ .
(١) مراتب النحويين ص ٤٧ .
(٢) المصدر السابق والصفحة .

ولذلك يقول أبو الطيب اللغوي دافعا عنه تهمة منافسيه في الافتعال والكذب ،
مينا علو مكاتته ودقة تحريه : « فأما ما يحكيه العوام وسقاط الناس من نوادر
الاعراب ويقولون : هذا مما اقتله الاصمعي وأنى يكون الاصمعي كما
زعموا ، وهو لا يفتي الا فيما أجمع عليه العلماء ، ويقف عما ينفردون به عنه ،
ولا يجوز الا أفصح اللغات ويلج في دفع ما سواه » (٣) ، وكذلك فعل
ابن جنى (٤) حين ذكر أماتته وصدقه وعلمه ، ونزعه عن الكذب والتزويد .

ومثل الاصمعي في علمه وصدقه ودقته ، أبو زيد الانصاري ، وهو
عربي من الخزرج ولد سنة ١١٤ وتوفي سنة ٢١٤ أو ٢١٥ للهجرة ، وكان
معاصرا للاصمعي عالما باللهاجات واللغات الشاذة . ويعاصره كذلك عالم آخر ،
هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المولود سنة ١١٠ على التقريب والمتوفى سنة
٢١١ للهجرة ، وهو من الموالى المتهمين بالشعبوية ، ولولا هذه النزعة فيه ،
لكان من المتقدمين الثقات (٥) .

ويأتى بعد هؤلاء رواة هم في مرتبة أدنى من سابقهم ، مثل محمد بن
السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) وابنه هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)
وهما متهمان بالوضع في رواياتهما وأخبارهما التاريخية ، ومثلهما الهيثم بن
عدى (ت ٢٠٤ هـ) . وخير من هؤلاء ، أبو سعيد الحسن بن الحسن السكري ،
من رجال القرن الثالث (ت ٢٧٥ هـ) واليه يرجع الفضل في جمع كثير من
دواوين الشعر الجاهلي .

وقد عرف الكوفيون بنقل الشعر الكثير وعمادهم السماع ، وهم

-
- (٣) مراتب النحويين ص ٤٩ .
 - (٤) الخصائص ص ٢٧١ - ٢٧٢ .
 - (٥) أنباء الرواة ٣/٢٨٠ .

متسامحون فى الرواية ، وقليلًا ما يقفون عندها ليحققوا صحتها من فاسدها ، ولذلك كان شعرهم أغزر وأكثر ، أما البصريون فقد عرفوا بالدقة والصدق وأكثر روايتهم موثوق بهم ، وان لم يبرأوا من الراضعين المتهمين •

واريد أن أخرج من موضوع الرواية الى تيجتين هامتين :

الاولى : أن رواية الشعر الجاهلى لم تنقطع ، ولم يله الناس عن الشعر ، بل ظلت الرواية متصلة مستمرة منذ العصر الجاهلى واستمرت زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ونشطت وازدهرت فى عصر الامويين حتى رست فى القرن الثانى عند العلماء الرواة المحترفين ، الذين نهضوا بالرواية وعلوم العربية نهضة زاهية زاهرة ، كان من شأنها أن جمعت الشعر ودوته وألفت فيه شتى المؤلفات •

ولا يصح كذلك ما يقال عن انقطاع الرواية وانصراف الناس عن الشعر أول الاسلام ، ووقوف الاسلام عائقا بوجه الشعر والشعراء ، وما الى ذلك من الامور الخاطئة المتوهمة • واتصال الرواية واستمرارها وتوثيقها يدفع التهمة التى تذهب الى أن الرواة المتأخرين لفقوا هذا الشعر على بعد الشقة بينهم وبين الجاهليين ، وما دامت الرواية قد وردت متصلة بسلسلة محكمة لا فجوة فيها ولا انقطاع ، فلا يمكن أن يدخلها التزوير بالشكل الذى توهمه المتأخرون قد يصح أن كثيرا من الشعر ضاع وسقط فى الطريق فلم تحفظه الحافظة (١) ، وصحيح هو قول ابى عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (٢) ، ولكن أن يكون ذلك

(١) طبقات الشعراء ص ٢٢ •

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٣ والخصائص ٣٩٢/١

التراث الضخم مصنوعا ملفقا من رواة عرفناهم ونبها كما نبه الاقدمون على رواياتهم ، فأمر تدحضه الرواية المتصلة المحكمة .

والنتيجة الثانية : ان الشعر لم يكن ألعوبة بيد قلة قليلة من الرواة
الوضاعين ، بل كان وراءهم علماء ثقات يصححون ويمحصون وينقدون ،
ولم ينقلوا من الشعر الا الصادق الصحيح كأبي عمرو بن العلاء والمفضل
الضبي والاصمعي وأبي زيد الانصاري وغيرهم ، ولدقة هؤلاء ونباهتهم ونقدهم ،
فقد قدمهم ابن القطان على رواة الحديث ، لمزية النقد التي عرفوا بها ، قال
ابن سلام . « حدثني يحيى بن القطان قال : رواة الشعر أعقل من رواة
الحديث ، لان رواة الحديث يروون مصنوعا كثيرا ، ورواة الشعر ساعة
ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع ، (٣) . وما دام الباحث
حذرا من الرواة المتهمين ، بصيرا بهم ، مهملا لرواياتهم ، فلا بأس عليه بعد
ذلك أن يطمئن الى روايات الثقات من العلماء ، وبخاصة تلك التي أجمع على
صحتها أعلام الرواية الموثقين ، وقد قرر ابن سلام هذا المنهج منذ القديم حين
قال : « وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر كما اختلفت في بعض الاشياء ،
أما ما اتفقوا عليه ، فليس لاحد أن يخرج منه » (٤) .

(٣) ذيل الأماي ص ١٠٥ .

(٤) طبقات الشعراء ص ٦ .

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الانتحال

وهذه الذخيرة من الشعر الجاهلي ، وكذلك الشعر الاسلامي ، لم تكن كلها سليمة مبرأة من الدخيل الذي حمل على الشعر في عصر متأخر ، أو الفاسد الذي لفته الاهواء والاقاصيص ولكي يكون الباحث على بينة حين يفيد من مصادره ، عليه أن يقف على قضية الانتحال ويتعرف على الحقائق التي أقرها ثقات القدماء ونبه اليها المحدثون ، وليضع لنفسه بعد ذلك منهجا يعرف عن طريقه صحيح الشعر من فاسده .

حينما نتحدث عن الرواية والرواة ، انما نعني الرواية الصحيحة الموثقة والرواة الثقات وننبه على الرواة الوضاعين ونقوم الشعر حسب منزلته من علو الرواية وصحة الاصول ، فعلى مقدار صحة الشعر تكون الثقة به والاعتماد عليه ، لان ما بأيدينا من شعر الجاهلية ، وكذلك شعر الاسلام لا يصح أن يقبل على أنه صحيح لا ريب فيه ، كما لا يصح أن يرفض على أنه باطل لا نفع به ، وانما يؤخذ بالتنقية والتنقيح ، والفحص والتمحيص ، فمنه الصحيح الذي لا غبار عليه وقد وثقه الرواة وشهد بصحته الناقلون الثقات ، ومنه الفاسد المصنوع أو المنسوب الى تلك الفترة ، وقد رفضه النقاد ونهبوا عليه . ولتلق نظرة سريعة على رأى النقاد بهذا الشعر لتعرف الام اتهموا ، وما هو منهجنا في تناول الشعر ؟

لقد كان ابن سلام الجمحي (ت ٣٣١ هـ) أول من بحث قضية الانتحال بحثا منظما مستفيضا في كتابه طبقات الشعراء ، وعزا أسباب الوضع الى عاملين أساسيين : العصبية القبلية ، والرواة الوضاعين . فقد رأى أن بعض القبائل كانت تزيد في أشعارها ، وتنحل شعراءها شعرا لم يقوله ، فأوضح ذلك في قوله : « لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار ، (١) . وقد بين ما أضافه القرشيون في شعر شعرائهم فطولوا قصيدة لابي طالب في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، وذكر ما حمل على حسان بن ثابت (٣) ، وقد لاحظ أن بعض أبناء الشعراء الأعراب كانوا يفتدون الى المدن ويستشهدهم الرواة شعر آبائهم فينشدونهم ، فاذا نفذ ما لديهم زادوا في الأشعار ، كما فعل داود بن متم بن نويرة ، فقد استشهده أبو عبيدة وانه « لما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها ، واذا كلام دون كلام متم ، واذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متم والوقائع التي شهدها » (٤) ، ولم يخف بطبيعة الحال هذا الشعر المصنوع على الرواة الناقدين ، فكانوا يرفضونه .

وقد نبه ابن سلام على الرواة الكذابين ، كحماد الراوية ورفض مروياته وبين فساد روايته وحذر منه (٥) ، وذكر صنفا آخر من الرواة ، كانوا يحملون الشر الزائف ، هم رواة الأخبار والسير ، وأشار الى ابن

-
- (١) طبقات الشعراء ص ٣٩ - ٤٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٩ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٣ .

اسحق راوى السيرة النبوية فقال : « رلسنا نعد ما يروى ابن اسحق له (١) ولا لغيره شعرا ، ولان لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهم ، (٢) » .

ولم يكن ابن سلام وحده الذى نبه الى فساد الشعر الذى يحمله ابن اسحق وتناوله بالنقد والتجريح ، بل كان هناك آخرون ، أخذوا على عاتقهم مهمة تحرير الشعر مما شابه من الزائف المصنوع ، مثل ابن هشام صاحب السيرة النبوية (ت ٢١٨ هـ) الذى عمل على تعقب ابن اسحق فنقد الشعر وبين الفاسد الموضوع ، وأسقط الشعر الفاسد وأوضح نقد العلماء له ، وذكر الروايات الصحيحة وهكذا وقد أقر ابن اسحق بذلك واعتذر بأنه لا علم له بالشعر يحمل منه الجيد والردىء فقال : « لا علم لى بالشعر أوتى به فأحمله ، (٣) ، ولم يرض ابن سلام بذلك عذرا فرد عليه بقوله : « ولم يكن له ذلك عذرا ، فكتب فى السيرة أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر ، انما هو كلام مؤلف معقود بقواف ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ آلاف السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى لا بقية لهم فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحق ، ومثل ما رواه الصحفيون ما كانت اليه حاجة ولا فيه دليل على علم ، (٤) » .

ونقد ابن التديم ابن اسحق كذلك ، فقال : « ويقال كان يعمل له الاشعار ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها فى كتابه السيرة فيفعل ، فضمن كتابه

-
- (١) أى لابي سفيان بن الحارث فى سياق الحديث عنه .
 - (٢) طبقات الشعراء ص ٢٠٦ .
 - (٣) طبقات الشعراء ص ٩ .
 - (٤) المصدر السابق والصفحة .

من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ، (٥) .
 ولم يكن نقد الرواة ، وتجريح الموضوعين ، والتنبيه على الشعر المنحول ،
 قد بدأ بابن سلام وابن هشام . وكان مقصورا عليهما ، بل سبقهم الى ذلك
 المفضل الضبي (ت ١٦٨ أو ١٧٨ هـ) الذي نقد حماد الراوية وبين
 أكاذيبه (٦) ، وكذلك فعل الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) حين نقد خلفا الاحمر (٧) ،
 وتابعهم بعد ذلك أبو الفرج الاصفهاني في رفضه روايات ابن الكلبي عن
 دريد بن الصمة وبعض أشعاره ، فقد تنبه الى انها مكذوبة ملفقة من قبل ابن
 الكلبي نفسه (٨) .

هؤلاء العلماء الاثبات ، حين جرحوا الرواة وكذبوا الموضوعين وبينوا
 الشعر الفاسد المصنوع ، وثقوا من ناحية ثانية الشعر الصحيح وعدلوا الرواة
 الثقات ، وشهدوا لهم بالدقة والامانة والعلم .

ففي الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي ، شعر منتحل موضوع ، ولم يكن
 النقاد القدامى غافلين عنه ، فقد نقدوه ومحصوه وبينوا صحيحه من فاسده ،
 ولكن ذلك الشعر المصنوع لم يكن من الكثرة بحيث يضطرب الدارسون في
 معرفته ، أو يتخذون ذلك القليل الفاسد وسيلة لاتهام الشعر الجاهلي عامة ،
 فان من التجاوز على الحق والخروج على أصول البحث العلمي ، أن نفلو في
 تقدير المنحول ونبالغ فيه معتمدين على مفترضات لم تثبت ولم تصح تاريخيا ،
 ومن الخطأ الفاحش أيضا أن تؤخذ فكرة الانتحال مركبا ذلولا لدفع كل ما
 يضمن على الدرس ويلتبس مع النظرة المعجلى ومع القصد الفاسد الحثيث

-
- (٥) الفهرست ص ٣٦ .
 (٦) الأغاني ٨٩/٦ ومعجم الأدباء ١٤٠/٤ .
 (٧) مراتب النحويين ص ٤٦ - ٤٨ .
 (٨) الأغاني ٤٠/١٠ .

فان في ذلك ضللا كبيرا .

واذا كان ابن سلام قد فتح للنقاد طريقا يؤدي الى تصحيح المخطوء ورد المنحول ، ومعرفة الحق من الباطل ، فانه كذلك حذر الباحثين ونبههم الى ان : « ما اتفقوا (١) عليه ، فليس لاحد أن يخرج منه ، (٢) ، وقد وضع في هذا المنهج حدا لفوضى الشك ، وليس لاحد أن يرضى لنفسه الشك في شعر معتمدا على رواية مفردة شاذة من الروايات ، فقد ترد روايات أخرى توثقه وتصححه ، فان لم يقم دليل واضح وحجة بينة على بطلان ذلك الشعر ، فليس له أن يرجح الشك اذا كان اليقين يلوح في روايات أخرى تثبت وتوثقه . فكثيرا ما تغرب روايات وتخفى عن علم الرواة أنفسهم ، ومن الطريف في ذلك أن تعقد الحاجة في هذه النقطة ، بين راويين كبيرين هما : خلاد بن يزيد الباهلي وخلف بن حيان الاحمر ، فيقال إن خلادا قال لحلف : « بأى شيء ترد هذه الاشعار التي تروى ، قال له ، هل فيها ما تعلم أنت انه مصنوع لا خير فيه ، قال : نعم ، قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ، قال نعم ، قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت » (٣) .

وقد أثبت قضية الانتحال في العصر الحديث ، وتناولها المستشرقون والعرب ، ومن هؤلاء المعتدل المنصف ، ومنهم المشتط المسرف المتحامل ، وقامت مناقشات وكتبت ردود ، وأعرض هنا آراء أهم من كتب في الموضوع في ايجاز شديد . (٤)

لقد عرض المستشرق بلاشير قضية الشعر الموضوع عند المستشرقين بشيء

(١) أي العلماء .

(٢) طبقات الشعراء ص ٥ - ٦ .

(٣) طبقات الشعراء ص ٨ .

(٤) ينظر مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٥٢ - ٣٧٦ حول آراء المستشرقين .

من الأيجاز في كتابه تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي (٥) فذكر أن أول من تناول الموضوع هو المستشرق نولدكه سنة ١٨٦٤ م ، وبعد ثماني سنين تطرق للموضوع المستشرق آهلوارد في مقدمة دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، فأعاد ما ذكره الأول من الشكوك التي تحوم حول صحة الشعر الجاهلي ، وتابع هذين المستشرقين في آرائهما مستشرقون آخرون طوال ثلاثين سنة هم موير وباسيه وبروكلمان وليال وهوار الذي كتب مقالة بعنوان : (مصدر جديد للقرآن) سنة ١٩٠٤ م (٦) . على أن هؤلاء جميعا لم يبلغوا في نظرية الانتحال من الشك والاسراف ما بلغه المستشرق الانجليزي مرجليوث ، فقد ذهب الى رفض الشعر الجاهلي جملة ، في مقالة له بمجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعنوان (أصول الشعر العربي) سنة ١٩٢٥ م (٧) ، لقد ساق مرجليوث نوعين من الأدلة في محاولته اثبات بطلان الشعر الجاهلي ، أدلة خارجية وأخرى داخلية (٨) .

الأدلة الخارجية : أقر مرجليوث أولا بوجود الشعر الجاهلي قبل الإسلام لان القرآن أشار اليه وفيه سورة باسم الشعراء ، ويقول أن خصوم النبي وصفوه بأنه كان شاعرا مجنونا ، وتأتي في القرآن ثلاثة ألفاظ هي : كاهن ومجنون وشاعر : وان هذه الالفاظ مترادفة بمعنى واحد « ويستتج من ذلك ان من عادة الشعراء آتذ التنبؤ بالغيب . . . وان الشعر كان غامضا مبهما ،

(٥) ترجمة ابراهيم كيلاني ص ١٧٦ - ١٩٢ .

(٦) المرجع السابق ص ١٧٧ يشير إلى المجلة الآسيوية ص ١٤٢ وما بعدها .

(٧) مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ص ٤١٧ - ٤٤٩ وترجع صلة مرجليوث بالموضوع

إلى سنة ١٩٠٥ حين كتب عن (محمد وظهور الإسلام) ثم عاد ولم أطراف الموضوع

سنة ١٩٢٥ في بحثه أصول الشعر العربي .

(٨) لخص ناصر الدين الأسد مقالة مرجليوث في كتابه مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٥٣ -

٣٦٧ ومنه أفدنا ونقلنا . وقد ترجمنا نص بحث مرجليوث وعلقنا عليه وقدمنا

لنظرية الانتحال في كتاب (أصول الشعر العربي) سنة ١٩٧٧ وطبع في بيروت سنة

١٩٨١ و٧٩ .

ويقول : « ربما كان ما تبيح لنا الشواهد القرآنية قوله هو أنه كان قبل الاسلام بعض الكهان من بين العرب يعرفون باسم (الشعراء) كانت لغتهم غامضة مبهمة كما هو الشأن دائما فى الوحي ، » .

ويتعرض لمسألة نشأة الشعر الجاهلى وانها مسألة غامضة ، وآراء القدامى فيها متباينة فقد عزا بعضهم شعرا الى آدم والى عهد اسماعيل ، ولكن الرأى السائد ان الشعر بدأ قبيل ظهور الاسلام بأجيال قليلة ، والذين يرون هذا الرأى يجعلون مهلهلا أو امرأ القيس أول الشعراء ومع ذلك فقد أوردوا شعرا لشعراء سبقوهما بزمن طويل ، وان الشعر الذى وصل يشير فى مواطن كثيرة الى الكتابة فلا بد أن يكون عرب ما قبل الاسلام - الذين كانوا يستخدمون لغة القرآن - كانوا مجتمعا أدبيا عاليا . ويتحدث عن حفظ الشعر الجاهلى فيقول : « لو فرضنا أن هذا الشعر حقيقى فكيف حفظ ؟ لا بد أنه حفظ أما بالرواية الشفهية وأما بالكتابة ، ويبدو أن الرأى الاول هو الذى يذهب اليه المؤلفون الغرب ، ثم يشك فى وجود الرواية الشفهية ، لان ذلك يقتضى أن يكون هناك رواة عملهم فقط حفظ الاشعار ، وان الاسلام يجب ما قبله وأن القرآن ذكر أن الشعراء يتبعهم الغاؤون فهذا ما يدعوهم الى نسيان الشعر ، ثم أن القصائد تصور انتصارات القبائل بعضها على بعض وأن الاسلام يحث على نسيان تلك الحوادث لان هذه القصائد تثير الضغائن الجاهلية . »

واذا كان الشعر الجاهلى لم ينقل بالرواية الشفهية التى يزعم مرجليوث أنه دحضها ، فلم يبق الا طريق الكتابة ، وبعد أن يقر بوجود الكتابة ينفى أن يكون الشعر قد نقل بطريق الكتابة ، وذلك أن القرآن ينفى أن يكون للجاهليين كتابا يقرأونه ، وان الادب يتطور من الصور الشاذة غير المألوفة الى الصور المألوفة المنتظمة ، وان الشعر الذى وصل ويزعم أنه جاهلى انما هو مرحلة تالية للقرآن لا سابقة عليه ، لان الاساليب الادبية سواء النثر المسجوع

والشعر فيها مشابه من أسلوب القرآن ، وفي القرآن نثر مسجوع وفيه ايضا أمثلة على كثير من الاوزان الشعرية ، والتطور من الاسلوب القرآنى الى الاسلوب المنتظم يبدو متمشيا مع المؤلف .

ثم يجمع الاخبار والروايات التى ذكرها الرواة فى اتهام بعضهم البعض ، ويجرح هؤلاء الرواة من مثل حماد وجناد وخلف الاحمر وابى عمرو بن العلاء والاصمعى وابى عمرو الشيبانى وابن اسحق والمبرد ، ويتساءل عن مصادر هؤلاء اذا كان الاسلام قد حارب الوثنية وناصرها العداء وكان الشعراء لسان تلك الوثنية ، فمن هم اولئك الذين حفظوا الشعر ثم نقلوا الى غيرهم تلك الاشعار التى تنتسب الى نظام أبطله الاسلام ، ثم يعود فينفى ما قاله أولا بأن هؤلاء الشعراء لم يكونوا كما يبدو عليهم لسان الوثنية الناطق ، بل كانوا مسلمين فى كل شىء ما عدا الاسم .

ثم ينتقل الى الادلة الداخلية فيقول :

ان هذا الشعر الجاهلى فيه اشارات الى قصص دينى ورد فى القرآن ، وفيه كلمات اسلامية مثل : الحياة الدنيا ويوم القيامة والحساب وبعض صفات الله ، ولا نجد فى الشعر جو الالهة المتعددة الذى نجده فى النقوش ، وربما كان هذا الذى أوحى للاب شيخو نظريته فى انهم جميعا نصارى ، وان تكن هذه النظرية غير صحيحة ، ، وحيشما يكن النصارى تكن لهم كتبهم المقدسة وتتاثر لغتهم وأفكارهم تأثرا كبيرا بتعبيرات الاناجيل ورسائل الحواريين والاناشيد ، ويتخذ شعرهم فى الغالب طابع الترانيم ، ولكن فى الشعر - الذى يفترض أنه شعر جاهلى - ندرة كبيرة فى الاشارات الى الكتاب المقدس وتعاليم المسيحية حتى لدى الشعراء الذين ازدهروا فى بلاط مسيحي . . . وبالرغم من ان الشعراء الجاهلين يقسمون كثيرا ، فهم لا يكادون يختلفون فى

قسمهم بالله وهو قسم شائع حقا في دواوينهم ، ويستتج بعد ذلك : « ان الديانة الوحيدة التي يصح أن يعتقها هؤلاء الشعراء الجاهليون هي الاسلام » .

وتعرض مرجليوث الى اللغة الجاهلية من حيث اختلاف اللهجات بين القبائل ، والاختلاف بين لغة القبائل الشمالية واللغة الحميرية الجنوبية « ولو أننا افترضنا أن أثر الاسلام في قبائل بلاد العرب وحد لغتهم ، فانه من الصعب أن نتصور أنه كانت ثمة لغة مشتركة - تختلف عن لغات النقوش - منتشرة في انحاء شبه الجزيرة كلها قبل ان يهيب الاسلام هذا العنصر الموحد ، واذا كان هناك شعراء في بلاد الجنوب فلا بد أنهم نظموا باحدى اللهجات الجنوبية ، ويقول : « وكما أن وجود الافكار الاسلامية في الانار المقطوع بجاهليتها دليل على وضعها وزيفها ، فان استخدام لهجة جعلها القرآن لغة فصحي أمر يدعونا الى أن نشك فيها طويلا ويبدو أن المسلمين الذين جمعوا قصائد من جميع انحاء شبه الجزيرة بلغة واحدة ، كان عملهم هذا متمشيا مع عملهم في جعل كثير من هؤلاء الشعراء بل أكثرهم يعبدون الله ولا يشركون به ، انهم يسحبون على الماضي ظواهر هم أنفسهم يعرفونها » .

ويقترض مرجليوث أن الموسيقى لم توجد في العصر الجاهلي وانها من مستحدثات العصر الاموي ، وأن التطور يقضى بأن ينشأ الرقص ثم الموسيقى ثم الشعر ، فمن غير المعقول لديه أن يتصور وجود الوزن الشعري عند العرب بهذا النظام وبهذه الغزارة ، ويقول : « لقد كانت الممالك الجاهلية التي نعرفها عن طريق النقوش ذات حضارة باسقة ، ولكن لا يبدو أنه كان لها شعر ، فهل نصدق أن الاعراب غير المتحضرين كان لهم شعر في مثل هذه الصور المركبة ، كما يصدق بذلك العلماء الاقدمون من المسلمين ؟ وبوجه عام فان من المرجح احتمال صواب ما افترضناه وهو : ان كلا من الشعر والنثر المسجوع كانا في معظمهما مشتقين من القرآن ، وان تلك الجهود الادبية التي

سبقت القرآن كانت أقل فنا منه لا أكثر فنا ، (١) .

لقد كانت مقالة مرجليوث حافزا لكتابات كثيرة ، لما حوته من آراء جريئة ومزاعم وتصورات تخطيء الواقع التاريخي وحقيقة الحياة الجاهلية ، فكان المستشرقون أنفسهم هم الذين ردوا عليه وناقشوا نظرياته وحاجوا مزاعمه ولعله لم يتح للعرب أن يطلعوا على أفكاره تلك أو لم يكن لمن اطلع عليها ثقافة قديمة بالشعر تمكنه من مناقشته والرد عليه .

وكان أول المستشرقين الذين ردوا على افتراضات مرجليوث هو شارلس جيمس ليال في المقدمة التي كتبها للجزء الثاني من المفضليات سنة ١٩١٨ م فقد ناقش ما كتبه مرجليوث (٢) حول حماد الراوية وخلف الأحمر ، فعرض سيرتهما وناقش الروايات التي قبلت حولهما يقول : « انه لمن الخطأ العظيم ، أن نعد هذين الرجلين - حمادا وخلفا - النموذجين المثاليين للرواة المحترفين الذين كانوا يروون أشعار القبائل . فقد كانا كلاهما من أصل فارسي . أما رواة القبائل فكانوا من العرب ، يختارهم الشعراء ليكونوا الوسيلة التي تحفظ شعرهم وتخذه في صدور القبيلة والامة العربية بعامه وكان من هؤلاء أن أخذ الرواة الجامعون في القرنين الاول والثاني الهجريين ما جمعوا من شعر . وأما أن نذهب كما ذهب أحد العلماء المحدثين (١) الى ان جميع ما نسميه بالشعر العربي القديم موضوع منحول ، مستدلين على ذلك بالقصص التي تروى عن حماد وخلف . . . فهو مذهب مخالف لجميع وجوه هذه القضية واحتمالاتها . ان حمادا وخلفا كانا يحاكيان أسلوبا للنظم كما قد قرر واتخذ صورته النهائية

(١) ما جاء بين الأقواس هو كلام مرجليوث نقلا عن مصادر الشعر الجاهلي

ص ٣٥٣ - ٣٦٧ .

(٢) حول كتابه (محمد) المنشور سنة ١٩٠٥ وحول مقالة عن (محمد)

في معلمة الدين والاخلاق سنة ١٩١٦ .

(١) يشير الى مرجليوث .

زمننا طويلا قبل الاسلام ، وكان قد نظم به شعراء كثيرون كانوا وثنيين ، أو غير مسلمين ، فى زمن محمد ثم أسلموا ، وقد كثر استخدامه وسجل بالكتابة لعهد شعراء القرن الاول الهجرى (مثل جرير والفرزدق والاختل وذو الرمة ، ولم أذكر الا الذين خلفوا لنا تراثا من الشعر كبيرا) . فسلسلة الرواية والنقل لم تنقطع ، فقد كانت الطبقة الاخيرة من الشعراء على قيد الحياة ينظمون الشعر حينما كان العلماء يدأبون فى جمع الشعر وتدوينه . ولا يمكن أن تعترضنا فى دراستنا لهؤلاء الشعراء ، مشكلة الوضع والنحل لان روايتهم قد دأبوا على كتابة القصائد التى تلقى عليهم لشعرها وتخليدها . أما الشعر الجاهلى فربما حاكاه حماد وخلف ، ولكن هذه الحقيقة نفسها ، المحاكاة ، تدل على وجود أصل يحاكى . أما أن نذيع أن ما بين أيدينا لا يعدو أن يكون الصورة المحكية ، وأنه لم يبق شىء من الاصل نفسه ، فذلك أمر لا يقره الفهم السليم على ضوء هذه الظروف ، (٢) .

ثم عاد ليال فتناول موضوع صحة الشعر الجاهلى والرد على مرجليوت فى مقدمته لديوان عبيد بن الأبرص ، وأوتر هنا أن أنقل رأيه نصا لما فيه من حجة واضحة لانه كان يدرس ويحقق موضوعات ودواوين الشعر الجاهلى فكانت الصورة فى ذهنه واضحة جلية غير مشوشة بالنظريات والافتراضات ، يقول ليال : « أما موضوع صحة هذا الشعر فأمر من الطبيعى أن يختلف فيه الناس . اذ من المؤكد أن شعر الاعراب فى الجاهلية العربية لم ينتقل بالكتابة ، بل بالرواية . وكانت القبيلة تعد القصائد التى تسجل انتصاراتها أعلى ما تملك ، فكانت ترويه جيلا بعد جيل ، وبالإضافة الى هذه المعرفة العامة المنتشرة فى القبيلة ، كان هناك الراوى ، وعمله أن يحتفظ بمذخور الشعر الذى تعيه ذاكرته ، وكان يعتنى بالذاكرة - فى العصور التى لم تستخدم فيها

(٢) مقدمة المفضليات ٢٠/٢ - ٢١ عن مصادر الشعر ص ٣٧١ .

الكتابة الا في المدن ولاغراض خاصة - عناية كبيرة ، بحيث كانت أكثر قدرة على الاستيعاب منها في العصر الحديث وليس من الغريب أن تتناقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة .

ومن الطبيعي أن يفترض المرء أن هذه القصائد اعترها بعض التغيير في أثناء هذا التناقل فقد تستبدل بعض الكلمات المترادفة بغيرها ، وقد يؤدي عدم ثبت الذاكرة الى اسقاط أبيات ، أو تغيير في ترتيبها ، أو وضع عبارات الراوى بدل العبارات التي نسيها . ومثل هذه الظواهر شائعة في كل مكان . غير أننا حين نفحص القصائد ذاتها نجد فيها من الشخصية الفردية ما يكفينا للاستدلال على أن القصائد ، في معظمها ، من نظم الشعراء المنسوبة اليهم . فالمعلقات السبع مثلا كلها قصائد ذات شخصية وخصائص واضحة ، وتعرض لنا سبع شخصيات متميز بعضها من بعض كل التميز . ونجد الامر نفسه في القصائد الثلاث الباقية (للاعشى والنابغة وعبيد) التي عدها بعض النقاد من المعلقات . فقد تركت شخصية امرئ القيس وزهير وليد والنابغة والاعشى طابعها على شعرهم ، ومن جموح الخيال أن نظن أن معظم القصائد المنسوبة لهم مصنوعة في عصر متأخر ، صنعها علماء عاشوا في ظروف مغايرة تمام المغايرة ، وفي حياة شديدة الاختلاف عن حياة الاعراب في الصحراء العربية .

والسبب الثاني لاعتقادنا ان الشعر القديم صحيح في جملته ، وليس منحولا ، هو أن شعر القرن الاول الهجري يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي ويفترض سبقه عليه : فقد استمر شعراء القرن الاول المشهورون : الفرزدق وجرير والاحطل وذو الرمة ، يتبعون تقاليد الشعراء الجاهليين من غير أن تكون بينهم فجوة ، فضلا عن انهم ذكروهم في شعرهم ، فقد استعملوا ذخيرتهم الشعرية مرارا متكررة ، متناولين الموضوعات نفسها بالاسلوب نفسه ، محسنين

ومحورين ومقتبسين ، ولكنهم ما يزالون متقيدين بالتقاليد نفسها • وليس هناك من شك في أنه قد وصلنا شعر هؤلاء الشعراء صحيحا فقد عاشوا في عصر عم استخدام الكتابة فيه لتدوين الشعر وان كانت الرواية ما تزال أداة نشره بين الجمهور •

وسبب ثالث : هو أن الشعر القديم ملئ بالفاظ كانت غريبة على العلماء الذين كانوا أول من عرض هذا الشعر على محك النقد • فقد كانت تنتمي الى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم ، وكانت غير مستعملة في الزمن الذي كتبت فيه القصائد وجمعت الدواوين • ولا بد أن يتنبه كل من اتصل بالشروح القديمة وعرفها (وهى المادة التى جمعت منها المعاجم الكبيرة فيما بعد) الى ان الشراح - الذين يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا - توصلوا الى شرح الصعوبات بمقابلة عبارة بأخرى ، وبالجدل والنقاش ، لا بالرجوع الى لغة الخطاب التى لم تعد تحوى الالفاظ التى يبحثون عن معناها • وتعتمد المعاجم كل الاعتماد على الشعر القديم وعلى القرآن والحديث ، وتفترض صحة الشعر كما تسلم بصحة القرآن والحديث ، • (١)

وتناول مستشرقون آخرون مهمة الرد على مرجليوث ودحض نظرياته نكتفى بالإشارة الى مقالة جورجى ليفى دلافيدا عن (بلاد العرب قبل الاسلام) (٢) تحدث فيها عن قيمة المصادر التاريخية للعصر الجاهلى وأصل فيها الرواية الشعرية •

(١) مقدمة ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٧ - ١٩ ومصادر الشعر الجاهلى ص ٣٧٢ - ٣٧٤ وترجم حسين نصار أيضا مقدمة ليال فى طبعته لديوان عبيد سنة ١٩٥٧ •

(٢) ص ٤١ - ٤٨ سنة ١٩٤٤ ينظر مصادر الشعر ص ٣٧٤ •

أما العرب ، فقد كان أول من بحث هذا الموضوع من المعاصرين هو مصطفى صادق الرافعي في كتابه (تاريخ آداب العرب) سنة ١٩١١ م ، وقد روى ما قاله القدماء وتابع ابن سلام في آرائه دون غلو او شطط .

ثم تناول الموضوع الدكتور طه حسين ، فألف فيه كتابه (في الشعر الجاهلي) سنة ١٩٢٦ م فأثار ضجة كبيرة لما فيه من آراء جريئة يتعرض بعضها للدين ، ثم حذف منه وزاد فيه ووسعه فأصدره سنة ١٩٢٧ بعنوان (في الادب الجاهلي) ، وقد أخذ طه حسين اكثر مادته من روايات ابن سلام واستنتاجات وآراء مرجليوث ، وتوسع فيها وعمم الاحكام الفردية واتخذ الامور الخاصة قواعد عامة حتى خرج بحكم جرىء هو صياغة جديدة لرأى مرجليوث ، وذلك قوله : « ان الكثرة المطلقة مما نسميه ادبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء ، وانما هي منحولة بعد ظهور الاسلام ، فهي اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم اكثر مما تمثل حياة الجاهليين » (١) .

وقد قسم بحثه الى ثلاثة أقسام : دوافع الشك في الشعر الجاهلي ، واسباب الوضع والتحل ، ثم درس فريقا من الشعراء وشك في نسبة الشعر اليهم .

تحدث في دوافع شكه فقال : ان الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين (٢) ، وان هذا الشعر بعيد كل البعد عن ان يمثل اللغة العربية في العصر الجاهلي ، لان هناك خلافا قويا بين لغة حمير ولغة عدنان ، وان القبائل الشمالية والقبائل الجنوبية تختلف من

(١) في الأدب الجاهلي ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) السابق ص ٨٨ .

حيث اللهجة ، مع ان الشعر الذى وصلنا جاء بلهجة واحدة • وقال : ان فريقا من العلماء اتخذوا الشعر الجاهلى مادة للاستشهاد على الفاظ القرآن والحديث ، مع ان الشعر لم يصل مدونا بل عن طريق الرواية الشفهية •

ويتحدث عن أسباب الانتحال فيرجعها الى :

السياسة : ويريد بها العصبية القبلية مثل ما كان بين قريش والانصار من عداة ، وما كان بين القبائل من أحقاد قديمة ، ومع ذلك لم يستشهد بشعر جاهلى بل استشهد بشعر اسلامى قيل بعد الاسلام •

الدين : وتطرق الى الشعر الذى قيل قبل البعثة تبشيرا بالنبي أو ما جاء عند المفسرين من ذكر الامم السابقة ، وان الديانة اليهودية والديانة المسيحية لم يظهر لهما أثر فى الشعر الجاهلى •

القصص : وتحدث عن القصص وما كانوا يضعون من الشعر لتزيين القصص وال اخبار ، ويقسم ذلك القصص الى : قصص لتفسير الامثال والاسماء والامكنة ، وقصص المعمرين وأخبارهم ، وقصص ايام العرب واخبارها •

الشعبوية : وتحدث عن الخصومة بين العرب والموالى ، وان هؤلاء الشعبوية قد نحلوا اخبارا واشعارا و اضافوها الى الجاهليين والاسلاميين وكذلك فعل خصومهم يقول : « وكانت الشعبوية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب و غرض منهم ، وكان خصوم الشعبوية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب و رفع لاقدارهم » (٣) ولكنه لم يقدم شاهدا واحدا على ذلك •

(٣) السابق ص ١٨٦ •

الرواة : وتحدث عن فساد مروءة بعض الرواة مثل حماد وخلف وابي عمرو الشيباني ، وانهم كانوا ينحلون الاشعار ويعبثون بالشعر ، وطائفة أخرى اتخذت الرواية مكسبا اولئك هم الاعراب الذين كان يذهب اليهم رواة الامصار يسألونهم عن الشعر والغريب .

ثم تناول في القسم الثالث من كتابه الشك في شعر مجموعة من شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس وعلقمة الفحل وعبيد بن الابصر وعمرو بن قميئة والمهلهل وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة والتملس والاعشى ، ثم تحدث عن الشعر المضرى وحاول ان يتخذ له مقياسا فنيا لصحة الشعر ، ذلك المقياس الذي يظهر في شعر اوس بن حجر وتلاميذه زهير وكعب والحطيئة .

وقد أثار كتاب طه حسين هذا الرأي العام الادبي والديني ، فانبرى للرد عليه ومناقشته وتفنيده مجموعة من الكتاب والادباء ، منهم الذي يغلب عليه الحماس والعاطفة ، ومنهم الذي اتبع الاسلوب العلمى المتزن فى المناقشة ، فنشر فى الصحف والمجلات الكثير من المقالات والردود ، وألفت كتب فى ذلك ، منها : (نقد كتاب الشعر الجاهلى) لمحمد فريد وجدى و (الشهاب الراسد) لمحمد لطفى جمعة و (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) لمحمد خضر حسين ، و (محاضرات فى بيان الاخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى) لمحمد الحضرى و (النقد التحليلى لكتاب فى الادب الجاهلى) لمحمد أحمد الغمراوى وله مقدمة طويلة لشكيب ارسلان وفصول فى كتاب (تحت راية القرآن) لمصطفى صادق الرافعى .

ولعل أوثق هذه الكتب واحسنها علما ودقة - فيما أحسب - هو كتاب النقد التحليلى للغمراوى وقد عرض ناصر الدين الاسد لهذه الكتب واستعرض

الردود والمناقشات في كتابه مصادر الشعر الجاهلي (١) بدقة ووضوح .
هذه بايجاز قصة نظرية الانتحال كما جاءت عند القدماء والمحدثين من
مستشرقين وعرب (١) وقد آثرت وصفها دون الدخول في مناقشة الآراء
وتفنيد المزاعم وتصويب الأخطاء لان ذلك امرا فرغ منه الكتاتيون واستقر على
ضوء الدراسات الحديثة في تأصيل الشعر الجاهلي ونفى الموضوع عنه ، ومنهجنا
في تناول الشعر الجاهلي يقوم على أخذ ملاحظات النقاد السابقين الثقات والأفاد
منها ، اذ لا يمكن الركون الى شعر نبه على بطلانه الأقدمون ، وحام الشك
حوله . ولا تثق كذلك برواية اولئك المتهمين الكذابين الذين عرفوا بوضعهم
وتزويدهم ، وضمانة كل بحث أمين ، ان يعتمد على تمحيص الاخبار والشعار ،
وتنقيحها وتحقيقتها ، ويجدر بالباحث قبل أن يفيد من الشعر ويبني عليه احكاما
معينة ان يعرضه على الحدث التاريخي ، فاذا استجاب له قبله والا رفضه واستبعده ،
ولا يجوز ان يبني عليه حكما او يستنبط نتيجة ، وان يقارن شعر الشاعر بما
ثبت وصح من شعره ، فاذا وافقه كان منه والا أعرض عنه ، وعليه ألا يزعم
اليقين القاطع لما يتوصل اليه من نتائج واحكام ، فأين اليقين القاطع في مثل هذه
المباحث التي تقوم دلائلها على مناقشة الاخبار واستنطاق الروايات والنصوص .

(١) ص ٤٠٢ - ٤٢٨ .

(٢) وقد كتب في موضوع الانتحال عند القدماء والمحدثين فريق من
الباحثين غير من ذكروا هم : فؤاد أفرام البستاني (الشعر الجاهلي)
سلسلة الروائع ص ١٧ - ٢١ الطبعة الاولى سنة ١٩٢٧ ، وقد أفرد
ناصر الدين الأسد الباب الرابع من كتابه (مصادر الشعر الجاهلي)
ص ٢٨٧ - ٤٢٨ سنة ١٩٥٦ وهو أوسع وأشمل من كتب في هذا
الموضوع اذ حكى آراء القدماء والمستشرقين والعرب المعاصرين وقد
أفاد منه كل من كتب بعده ، وتعرض شوقي ضيف لقضية الانتحال
بايجاز في كتابه (العصر الجاهلي) ص ١٦٣ - ١٧٥ سنة ١٩٦٠ م ،
وأضاف احمد الحوفي موضوع توثيق الشعر الجاهلي الى الطبعة الرابعة
من كتاب (الحياة العربية من الشعر الجاهلي) ص ٢٠ - ٥٤ سنة
١٩٦٢ ، والى بعد ذلك عبد الحميد المسلول كتابا باسم (نظرية
الانتحال في الشعر الجاهلي) بلا تاريخ ، وكتب علي جواد الطاهر
بحثا بعنوان (الشعر المفتعل الموضوع عند ابن سلام) مجلة الآداب
العدد ١٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٦٥ .

رقع
عبد الرحمن العجدي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

المعلقات

المعلقات قصائد طوال جياذ ، اختيرت من احسن الشعر الجاهلي ، قوة ومثانة وجمال اسلوب فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت اليها تجارب الجاهليين في التعبير الادبي ، ولذلك غطت شهرتها ما سواها من الشعر الجاهلي ، وصار لقائلها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم من الشعراء ، واتخذها الادباء والشعراء - بعد عصرها - قدوة يحاكونها حين ينظمون ، متأثرين بأسلوبها ولغتها وطريقة نظمها وتسلسل أفكارها ، محاولين أن يبلغوا في قصائدهم مبلغ أولئك الجاهليين في معلقاتهم .

اتفق القدماء - غير التبريزي - على ان المعلقات سبع ، هي : لامرئ القيس ، وزهير بن ابي سلمى ، وطرفة بن العبد ، وليد بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وعنترة العبسي (١) . ولم يخالفهم في هذا الا ابو زيد القرشي - وخلافه في الشعراء وليس في عددهم - (٢) فقد اخرج

-
- (١) هذا ما ذهب اليه كل من : ابن عبد ربه - العقد الفريد ٢٦٩/٥ - ٢٧٠ وابن رشيقي - العمدة ٩٦/١ وابي جعفر النحاس - السبع الطوال مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٠ آداب وابن الانباري - شرح القصائد الطوال الجاهليات والزوزني - شرح المعلقات السبع .
- (٢) أثبت النساخ في جمهرة أشعار العرب قصيدة عنترة مع المعلقات ، والصواب أن موضعها مع المجهرات ولذلك وهم الدكتور طبانة في عد اصحاب المعلقات ثمانية ولم يقل بذلك القرشي حين احصاهم ، ينظر معلقات العرب ص ١١ .

من هؤلاء السبعة الحارث بن حلزة وعنترة ، واطاف الى الباقيين النابغة الذبياني والاعشى فهم عنده : امرؤ القيس ، وزهير ، وطرفة ، وليد ، وعمرو بن كلثوم ، والنابغة ، والاعشى (٣) .

أما التبريزي شارح المعلقات ، فقد جمع بين رأى هؤلاء المجمعين على اصحاب المعلقات ، وبين رأى القرشي ، ثم أضاف اليهم عبيد بن الابرص ، فبلغت المعلقات عنده عشرا . ولم يخلط احد في هذه المعلقات وفي معرفة اصحابها الا ابن خلدون الذي تحدث عنها وذكر اصحابها وتعليقها ثم قال :
••••• كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وعنترة ابن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع ، (٤) والاضطراب ظاهر في كلامه حيث احصى سبعة شعراء ثم قال : (وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع) فهذه العبارة الملحقة لا مكان لها ، وهو هنا يسقط من شعراء المعلقات ليد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم ، وهما شاعران أجمع الرواة على انهما من شعراء المعلقات ولم يشك بهما أحد قبله ، وان كان كلامه (وغيرهم من أصحاب المعلقات) يشملهما . ثم انه أقبح علقمة بن عبدة بين شعراء المعلقات وهذا ما لم يقل به أحد .

وانى هنا أمام فرض ارجحه ، هو : أن يكون ابن خلدون قد سمى قسما من شعراء المعلقات دون الستة ثم قال : (وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع) ثم جاء النساخ فاردوا ان يتموا تسمية شعراء المعلقات فزادوا فى كلامه - عن جهل أو عن خطأ . أما من أين جاء ذكر علقمة بن عبدة ، ولم يذكره أحد فى أصحاب المعلقات ، نفى أكبر الظن ان ذهن النساخ انصرف

(٣) جمهرة أشعار العرب ص ٩٥ وما بعدها .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨١ .

الى ان المعلقات هي السموط ، وهي كذلك ، وان قريشا اطلقت اسم السمط على قصيدتين لعقمة ، ففي رواية تسند الى حماد ، ان عقمة بن عبدة ، قدم على قريش فأنشدهم قصيدته التي أولها :

هل ما عَلِمْتَ وما استودعتَ مكتومٌ
أم جيلُها اذ نأتكَ اليومَ مصرومٌ

فقالوا : هذه سمط الدهر ، ثم عاد اليهم العام المقبل فأنشدهم :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبٌ
بُعَيْدَ الشبابِ عصرَ حانِ مشيبٌ

فقالوا : هاتان سمطا الدهر (١) . فمدوا لذلك عقمة في اصحاب المعلقات ، وليس بعيد أن يكون ابن خلدون نفسه قد وقع في هذا الوهم . وعلى اى حال فان عبارة ابن خلدون لا يمكن ان تؤخذ على ما فيها من خلط واضطراب ، فاذا اعرضنا عن هذه الرواية - لاضطرابها وتناقضها وتأخرها - (٢) نجد بعد ذلك ان الرواة يجمعون على الشعراء الستة الاوائل ، ولم يختلفوا في واحد منهم وهم : امرؤ القيس وزهير وطرفة ولييد وعمرو بن كلثوم وعنترة . وان سابع هؤلاء الشعراء هو الحارث ابن حلزة عند اكثر الرواة ، ولم يخالف في ذلك الا ابو زيد القرشى الذي أخرج الحارث وعنترة

(١) الأغاني ١٧٣/٢١ ط ليدن .

(٢) توفي ابن خلدون سنة ٨٠٨ هـ .

وأثبت مكانهما النابغة والاعشى ، وان التبريزى وحده اضاف عبيد بن الابرص ،
وعلى هذا فالخلاف يكاد ينحصر فى النابغة والاعشى . وكذلك اختلفوا فى
قصيدة كل شاعر من هذين الشاعرين ، فأبو زيد القرشى روى للنابغة
قصيدته (٣) :

عوجوا فحيثوا النُعمِ دمنةَ الدارِ

ماذا تحيونَ من نُويِّ واحجارِ

فى حين أن التبريزى الذى أخذ بقول القرشى فى عد النابغة والاعشى
ضمن شعراء المعلقات ، يروى للنابغة قصيدته (٤) .

يا دار ميةَ بالعلياءِ فالسندِ

أقوتُ وطال عليها سالفُ الأمدِ

ويروى أبو زيد للاعشى قوله (٥) :

ما بكاءُ الكبيرِ بالأطلالِ

وسؤالي وما تردُّ سُوالي

-
- (٣) الجمهرة ص ١١٢ .
(٤) شرح القصائد العشر ص ٤٥٣ .
(٥) الجمهرة ص ١١٩ .

أما التبريزي فيروي للاعشى قصيدته (٦) :

دع هُريرة إنَّ الركبَ مرتحِلُ

وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرجلُ

ونخرج من كل ذلك ان شعراء المعلقات سبعة ، وان الخلاف انحصر بين الرواة وابي زيد القرشي حول النابغة والاعشى .

وقد سميت المعلقات بأسماء أخرى تفيد معنى النفاضة والجودة والاختيار والتعليق والمدد ، فمن هذه الاسماء :

السبع الطوال : روى عن أبي جعفر النحاس ان حماد الراوية هو الذي جمع (السبع الطوال) (١) ، وكذلك جاءت عند ابي زيد القرشي ، فقد نقل عن المفضل (٢) ان امرأ القيس وزهيرا والنابغة والاعشى ولييدا وعمرا

(٦) شرح القصائد العشر ص ٤٢٢ .

(١) معجم الأدباء ١٤٠/٤ ووفيات الاعيان ٢٠٥/٢ .

(٢) المفصل هذا هو غير المفضل الضبي ، بل هو ابو عبد الله المفضل بن عبد الله بن محمد بن المجبر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب (ترجمته في نسب قريش ص ٣٥٦ وجمهرة أنساب العرب ص ١٤٦) وعلى ذلك فان وفاة ابي زيد القرشي التي ذكرها الباحثون سنة ١٧٠ هـ كما عينها سر كيس في معجم المطبوعات غير صحيحة . اعتمادا على أن أبا زيد روى عن المفضل ، والمرجح أن وفاة القرشي تقع خلال منتصف القرن الخامس لان ابن رشييق ذكره وتوفى ابن رشييق سنة ٤٦٢ هـ وينظر مصادر الشعر الجاهلي في حديثه عن جمهرة أشعار العرب ص ٥٨٤ وما بعدها

• وطرفة ، أصحاب (السبع الطوال) التي تسميها العرب (السموط) (٣) •
وذهب الرافعي الى ان حمادا نقل هذه التسمية من الحديث الشريف : « أعطيت
مكان التوراة السبع الطوال ، وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام
والاعراف ، واختلفوا في السابعة انها يونس أو يوسف أو الكهف (٤) •

• أما ابن الانباري فسمها : (السبع الطوال الجاهليات) (٥) •

ومن أسمائها : (المذہبات) بدعوى أنها كتبت بماء الذهب ، ولعل أقدم
رواية في ذلك جاءت عند ابن قتيبة في حديثه عن عنترة العبيسي ، قال :
« فكان أول ما قال قصيدة » :

هل غادر الشعراء من متردّم

• وهي أجود شعره ، وكانوا يسمونها المذبة (٦) •

وقد تناول ابن عبد ربه معنى التذهيب بشيء من الوضوح والتفصيل ،
فقال : « حتى لقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت الى سبع
قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها
بين أستار الكعبة ، فمنه يقال مذبة امرئ القيس ومذبة زهير ، والمذہبات
سبع ، وقد يقال لها المعلقات (٧) » وتابعه في هذا ابن رشيق القيرواني اذ

-
- (٣) جمهرة أشعار العرب ص ٨٠
 - (٤) تاريخ آداب العرب ١٨٩/٣
 - (٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، حققه عبد السلام هارون
 - (٦) الشعر والشعراء ٢٥٢/١
 - (٧) العقد الفريد ٢٦٩/٥

قال : فكتبت فى القباطى بماء الذهب ، (٨) •

أما ابو زيد القرشى ، فقد أطلق اسم المذہبات على المجموعة التى اختارها من قصائد الاوس والحزرج خاصة ، وهى لحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ومالك بن العجلان وقيس بن الحظيم وأحيحة ابن الجلاح وابى قيس بن الاسلت وعمرو بن امرىء القيس (٩) ، ومن الواضح ان ليس فى هؤلاء أحد من أصحاب المعلقات ، وان أبا زيد سمي القصائد التى اختارها كل سبع قصائد باسم ولم يشرح مدلول هذا الاسم - غير اشارة صغيرة لمعنى المشوبات - ولعل التسمية متأية من تشبيه هذه القصائد بالمعلقات التى كتبت بماء الذهب أو انها تستحق أن تكتب بماء الذهب لجودتها وروعيتها •

وسميت المعلقات (السموط) ايضا ، وقد مر بنا ان قرشنا سميت قصيدتين لعلامة بن عبادة كل واحدة باسم السمط ، فقالوا : « هاتان سمطا الدهر » (١) • وذكر ابو زيد القرشى بعد أن أحصى شعراء المعلقات فقال : « هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب السموط ، فمن قال ان السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة » (٢) •

ومن أسماء المعلقات ايضا (القصائد المشهورة) (٣) ، وسماها الباقلانى : (السبعيات) (٤) •

وهكذا نجد ان للمعلقات أسماء كثيرة ، ولكل اسم من اسمائها دلالة

-
- (٨) العمدة ٩٦/١ •
(٩) الجمهرة ص ٨٠ - ٨١ •
(١) الاغانى ١٧٣/٢١ •
(٢) الجمهرة ص ٨٠ والعمدة ٩٦/١ •
(٣) شرح ابى جعفر النحاس - مخطوط •
(٤) اعجاز القرآن ص ١٥٩ •

عليها أو على صفة من صفاتها ، التي تعنى الجودة والنفاسة والطول والمعدد
والقدم ، ومهما اختلف النقاد والرواة القدماء فى تسميتها أو فى كتابتها ،
فانهم متفقون على أنها القصائد المختارة الجيدة الصحيحة التى نزلت من نفوسهم
منزلاً رفيعاً ، فقد اعجبوا بها وأولوها عنايتهم واهتمامهم ، لما فيها من جودة
وابداع ونضج ، ولم يشك فى صحتها وجاهليتها أحد ، غير نفر من المعاصرين
الذين أسرفوا فى الشك فأنكروا الشعر الجاهلى جملة .

وقد اتضح من الاسماء العديدة للمعلقات انها سميت بالصفات التى عرفت
بها ، والمعلقات هو الاسم الذى كانت له الغلبة الاخيرة والشيوع فى المصور
التأخرى ، وتحت الاسماء الاخرى عن الاستعمال الا فى القليل ، والمراد
بالمعلقات - كما مر - انها القصائد التى وقع عليها الاختيار واستحسنها الناس ،
فكتبوها وعلقوها على أستار الكعبة . هذا هو تفسير بعض القدماء لمعنى التعليق ،
وتصرف بعض المعاصرين فى تفسير التعليق بمسميات أخرى ، لا تجافى المعنى
اللغوى للتعليق ، وهم بذلك يحاولون أن يدفعوا معنى التعليق على أستار
الكعبة ، ومن تلك التفسيرات : أن لفظ التعليق متأ من تسمية المعلقات
بالسموط ، والسمط العقد النفيس الذى يحلى به الجيد ويلقى فى العنق .
أو أن المعلقات سميت كذلك لانها كتبت وعلقت فى سقف أو جدار ، أو انها
أخذت من قول الملك اذا استجاد قصيدة لشاعر : (علقوا لنا هذه) أى اكتبوها
وثبتها فى الحزائن ، أو أن هذه القصائد لجودتها وامتيازها تعلق فى الازهان ،
أو أن الانسان يعلق بها ، أو أن لها صلة بالعلق بمعنى الثمين النفيس . . .
وما الى ذلك (٥) . ولا شك أن فى هذه التفسيرات الكثير من براعة التأويل
والتفسير ، غير انها تأويلات لا تقوم على أساس من رواية صحيحة أو حجة
بينه يمكن الاطمئنان اليها .

(٥) لقد أورد الحوفى هذه الآراء فى الحياة العربية ص ٢٠٩ - ٢١١ .

وقصة التعليق أو رفضه قديمة ، احاول أن اتبعها في عجالة :

إن أقدم الرواة الذين أشاروا الى التعليق صراحة هو ابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) فقد قال : « أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس ، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر اليه ثم أحدر ، فعلقت الشعراء بعده ، وكان ذلك فخرا للعرب في الجاهلية ، وعدوا من علق شعره سبعة نفر » (٦) ، وقال بالتحقيق كذلك ابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ) : « لقد بلغ من كلف العرب به (١) وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطى المدرجة ، وعلقتها بين أستار الكعبة ، (٢) ، ونص على التعليق ايضا ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) فقال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لانها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة (٣) ، وتابعهم بعد ذلك ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) الذى قال ان التعليق كان بأركان البيت الحرام (٤) . وقد شرح البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) معنى المعلقة بانه الشعر المكتوب المعلق على ركن من أركان الكعبة (٥) .

هذه النصوص التى وردت فى كتب القدماء فيها شرح وبيان لمعنى المعلقات على أنها كتبت وعلقت ، ولكن غير هؤلاء من الرواة والعلماء تعرضوا لهذه القصائد ، ولشعرائها ، ولم ترد لديهم تسمية المعلقات ولا خبر التعليق ، ومن هؤلاء : ابن سلام (ت ٢٣٢ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن قتيبة

(٦) مقدمة السبع الطوال - هارون ص ١١ .

(١) أى بالشعر .

(٢) العقد الفريد ٢٦٩/٥ .

(٣) العمدة ٩٦/١ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨١ .

(٥) خزانة الادب ٦١/١ ط بولاق .

(ت ٢٧٦ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) وابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٧ هـ) والأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) والباقلاسي (ت ٤٠٣ هـ) وغيرهم .

وإذا كان فريق من العلماء قد أغفل اسم المعلقات والتعليق ، فإن منهم من أنكر التعليق ورفض القول به ، وأول المنكرين : أبو جعفر النحاس في شرحه للمعلقات ، فهو يفسر التعليق ، بأن الملك إذا استحسّن قصيدة قال : « علقوا لنا هذه واثبتوها في خزائني » وينكر التعليق بالكعبة فيقول : « وأما قول من قال انها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة » (٦) ، وعن أبي جعفر النحاس نقل أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) فقال : « ولم يثبت ما ذكره الناس من انها كانت معلقة على الكعبة » (٧) ، وكرر هذا الرأي ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في ترجمته لحماذ (٨) .

وعلى رأى أبي جعفر النحاس اعتمد بعض الباحثين المعاصرين فانكروا فكرة التعليق ، وساقوا جملة أدلة في ذلك ، ولكنهم أقرّوا من ناحية ثانية بصحة هذه القصائد ، وتناولوا تفسيرات كثيرة لتسميتها بالمعلقات - كما مر بنا - ، وأهم من ذهب هذا المذهب من العرب مصطفى صادق الرافعي (٩) واحمد الحوفي الذي قدم بين يدي بحثه اثنتي عشرة نقطة لانكار فكرة التعليق على الكعبة (١٠) ومن المستشرقين نيكلسون (١١) الأنكليزي ، وهنجستيرج

(٦) شرح القصائد السبع - مخطوط .

(٧) نزهة الالباء ص ٣٩ وهذا غير أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري

(ت ٣٢٨ هـ) شارح السبع الطوال .

(٨) معجم الادباء ١٤٠/٤ .

(٩) تاريخ آداب العرب ١٩٢/٣ وما بعدها .

(١٠) الحياة العربية ص ٢٠١ - ٢١٢ ولشوقي ضيف اشارة سريعة الى

انكار التعليق - العصر الجاهلي ص ١٤٠ - ١٤١ .

الاماني في المقدمة الالمانية لمعلقة امرىء القيس التي تولى نشرها ، وهو
الفرنسي في كتابه الادب العربي (١٢) •

وقد أفرد الدكتور طبانة كتابا لدراسة المعلقات ، ناقش في فصل منه
دعوى ابي جعفر النحاس في شيء من التفصيل ، كما رد على حجج الباحثين
المعاصرين في انكار التعليق (١) •

ومع أن الحجج التي سيقت لانكار التعليق ، والحجج التي قدمت لاثباته
واقاراره كثيرة ووجيهة ، ولكنها جميعا تقوم على افتراضات منطقية ، ولست
أرى صحة القطع بتعليقها ، كما لست أرى القطع بانكار تعليقها ، اذ ليس
لدينا حتى الان الحجة البينة التي يطمئن اليها الباحث لدفع التعليق أو اقراره •
ولا شك أن الحجج المنطقية والافتراضات الظنية لا تغني شيئا في قضية كهذه •
وليس بمنكور على العرب معرفتهم الكتابة ، وكتابتهم القصائد الجاهلية ، ومن
ثم تعليقها على الكعبة أو غير الكعبة كالحزائن أو السقوف أو الجدران ، لاجل
محدود أو غير محدود ، ومن الممكن الاستئناس بتعليق قريش للصحيفة حين
قاطعت الرسول وبنى هاشم (٢) ، وليس لدينا كذلك أدلة ثابتة من رجال
قدماء ثقات تقطع بصحة كتابة المعلقات وتعليقها بين أستار الكعبة ، اذ أن الذين
رووا قصة التعليق قلة من الابداء أقدمهم ابن الكلبي المعروف بالكذب والتزويد ،
لذلك كله آثرت الا أنساق وراء حجج ظنية لا يبدو فيها اليقين القاطع في
قضية كهذه •

(١١) تاريخ العرب الادبي ص ١٧١ الترجمة العربية •

(١٢) ص ٨٩ •

(١) معلقات العرب ص ٣١ - ٥٧ •

(٢) ينظر في خبر الصحيفة السيرة النبوية ١/٣٥٠ •

وسهما يكن من شيء فان المعلقة قصائد مختارة جيدة ، يستطيع الباحث أن يطمئن إلى صحتها وإلى أنها من عيون الشعر العربي وروائع الشعر الجاهلي الذي بلغ درجة كبيرة من النضج والكمال اضافة إلى أنها ترسم صوراً صادقة لحياة العرب السياسية والاجتماعية ، اذ يتصل بعضها بحوادث كبيرة في الجاهلية كمعلقة زهير ومعلقة الحارث بن حلزة ومعلقة عمرو بن كلثوم^(٣) ، ويتصل بعضها الآخر بظاهرة اجتماعية واضحة في حياة العرب الجاهلية وهي حياة اللهو والفخر والكرم والفروسية .

وقد لفتت المعلقة أنظار الأدباء وعلماء اللغة منذ زمن بعيد ، فانكبوا عليها يدرسونها ويقتدون منها في كتبهم وفي استشهاداتهم ، وأقبل فريق من الأدباء على شرحها وتفسير غامضها وتوضيح مفرداتها وبيان معانيها ، وقد عرفنا مجموعة من هذه الشروح ، وأكثرها جليل القيمة نفيس بما فيه من شروح لغوية ومسائل نحوية وايضاحات تاريخية^(٤) ، والشروح المعروفة لدينا هي :

١ - شرح ابن كيسان (ت ٣٢٠ هـ) مخطوط في مكتبة برلين ، ذكره بروكلمان^(٥) .

٢ - شرح ابن الأنباري محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات مطبوع^(٦)

(٣) تتصل معلقة زهير بحرب داحس والغبراء ، وتتصل معلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة الحارث بن حلزة بالخلاف بين بكر وتعلب والتحاكم الى عمرو بن هند .

(٤) ينظر في شروح المعلقة وطبعاتها وترجماتها بروكلمان - تاريخ الأدب العربي (٤) ٦٨/١ - ٧٢ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ٧٠/١ .

(٦) حققه عبد السلام هارون ط دار المعارف ١٩٦٣

- ٣ - شرح ابن جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) التسع الطوال ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٦٠ أدب (٧) .
- ٤ - شرح أبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) ذكره حاجي خليفة (١) .
- ٥ - شرح الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) شرح المعلقات السبع ، طبع مرارا .
- ٦ - شرح عاصم بن أيوب (ت ٤٩٤ هـ) ذكره السيوطي (٢) .
- ٧ - شرح التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) شرح القصائد العشر ، طبع مرارا .
- ٨ - شرح أبي سعيد الضير وابن جابر شرح المعلقات السبع ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٠٠ أدب .

والملاحظ أن ثلاثة من هذه الشروح هي المطبوعة المتداولة ، أما الشروح لأخرى فين مفقود ومخطوط ينتظر العناية والتحقيق .

وقد كان للمستشرقين سبق إلى العناية بهذه المعلقات فطبعوها وترجموها وقت مبكر (٣) .

- (٧) حقق في بغداد وطبع أخيراً .
- (١) كشف الظنون .
- (٢) بغية الوعاة ص ٢٧٤ ترجمة عاصم بن أيوب البطليوسى .
- (٣) أهم الترجمات الانكليزية ترجمة (لادى آن بلنت) ونظمها شعرا بالانكليزية (وبلفرد سكاون بلنت) باسم The seven golden odes of pagon Arabia وطبع في لندن وترجمها كذلك وعلق عليها (ايسكو مع النص العربي بحرف لاتيني وطبع في لندن ١٧٨٣ وترجمها ايضا مع ذكر النص العربي حوسون Joston باسم القصائد السبع The seven poems وطبع في لندن سنة ١٨٩٤ وترجمت الى اللغة اللاتينية عن شرح الزوزنى ترجمها (Peipes) وطبعها سنة ١٨٢٨ . وترجم دي ساسى معلقة لبيد الى الفرنسية ونشرها في آخر كتاب كليلة ودمنة وغير ذلك من الترجمات .

وبعد : فان هذه العناية لم تكن لتبذل لو لم تكن القصائد من الشعر الرفيع الجيد الذى حاز اعجاب الناس وصار قدوة الشعراء فى العصور التالية ، فقد رأوا فيه نموذجا للجودة والنضج والبراعة والاتقان ، وقد نظروا لشعراء هذه المعلقات أو المختارات على انهم كبار شعراء العصر الجاهلى وفحولهم ، فانزلوهم منازلهم الحقيقية بهم من الاعجاب والاكبار ، فذاع لذلك صيتهم وخلدت آثارهم ، وكانوا قدوة الشعراء والادباء فى أساليبهم على مر الأزمان والعصور .

الفصل الثاني

خصائص شعر الجاهلي

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنم الفردوس
www.moswarat.com

(١)

الطابع البدوي :

الشعر الجاهلي مرآة انعكست فيها كل مظاهر الحياة العربية ، فقد مثل البيئة خير تمثيل ، تناول كل جانب من جوانب البادية فتحدث عنه بتفصيل ، صور ما فيها من جبال ووهاد وطرق ممتدة ومرابع خضر ، ونبات زاه ، ووصف الاثار والدمن ، كما وصف السحب والامطار والسيول ومدافع المياه ، رسم مشاهد كثيرة لحيوانها ، وقص لكل حيوان قصة ، وصور حال هذه الحيوانات في طردها وقتالها ، في أمنها وفي خوفها ، صورها قطعانا مجتمعة ، وأفرادا عازبة ، واستعار منها تشبيهاته وصوره ، تحدث عن المنازل والديار ، كما تحدث عن ارتحال أهلها ، ووصف قوافلهم وهوادج نسائهم ، وتابعا في سيرها فرسم مخططا لرحلتها مينا المواضع التي تنزل فيها ، والاماكن التي تمر بها ، ولم ينس أن يصف ما خلف الظاعنون من الحجارة والنوى والاناسى والشمام .

ولم يغادر الشعر جانبا من جوانب الحياة البدوية الا تحدث عنه وسجله وصوره ، ولذلك نجد فيه صورة للعصر صادقة ، في الحرب والسلم ، في

مثله العليا وعاداته وطبيعة أهله ، وصف خير العصر وما فيه من نعمة وبركة ، كما وصف بؤسه وشقاءه وما ينزل به من جذب وقحط ، صور حر الهاجرة ولفح السموم ، كما صور ريح الشمال وجمد الشتاء الذي يخرس الناس ويكفتمهم في بيوتهم • وقرأ في اية قطعة أو قصيدة من ذلك الشعر ، فانك واجد فيها ريح البادية وطعم الصحراء ، فكل صورته ومعانيه منتزعة من بيئته مصورة لها أصدق تصوير ، لا يشذ عن ذلك الا في القليل النادر ، وهذا القليل كان من اتصال بعض الشعراء بأسباب الحضارة ، ومن وفادتهم على ملوك الحيرة أو ملوك الشام أو اليمن ، وتحد ذلك واضحا في شعر الشعراء الذين يفدون الى الحضرة ، كالأعشى والنابغة الذبياني ، وشعر شعراء الحضرة كعدى بن زيد وحسان بن ثابت وأمية بن أبي الصلت •

ولا شك أن هذا الاثر البدوي الواضح الذي ترك وسمه على شعر الشعراء له جرائره على الشعر الجاهلي ، ذلك أنه حدد أفق الشعراء في اطار البيئة الذي لا يتجدد ، فضعف خيالهم وتشابهت صورهم ، وظهر من جراء ذلك : التكرار في الصور والمعاني ، سواء في ذلك المعاني المتكررة عند الشعراء ، أم عند الشاعر الواحد ، ترى ذلك واضحا في صور الاطلال وتشبيهاها بالخط الدارس ، فقد جاءت هذه الصورة عند كثير من شعراء الجاهلية ، فامرؤ القيس يقول (١) :

لمن طللٌ ابصرته فشجاني

كخط زبورٍ في عسيبٍ يماني

(١) انظر قوله والايات التي تليه في الوساطة ص ١٨٢ ، والبيت في ديوانه ص ٨٥ •

وتناول حاتم الطائي هذه الصورة فقال : (٢)

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَاً وَنُؤْيَا مَهْدَمَا
كَخَطِّكَ فِي رَقِّ كِتَابَا مُنَمَّنَا

وأخذها أبو ذؤيب الهذلي فقال : (٣)

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَسَمِ الكِتَابَا
بَ يَزْبُرُهُ الكَاتِبُ الحَمِيرِي

أما لبيد فقد زاد الصورة اتقاناً حيث قال : (١)

وَجَلَا السِّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَأَنَّهَا
زُبُرٌ تُجِيدُ مَتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا

فالصورة نفسها مكررة عند هؤلاء الشعراء وعند غيرهم ، ونراها تتكرر أيضاً عند الشاعر الواحد نفسه ، فقد كرر لبيد هذه الصورة ثانية في

(٢) ديوان حاتم الطائي ص ٢٣ .

(٣) ديوان الهذليين ص ٦٤ وفيه :

عرفت الديار كرقم الدوا

وقد فضلت رواية الوساطة ص ١٨٢ .

(١) ديوانه ص ٢٩٩ .

قوله : (٢)

درس المنا بمُتَالِعِ فَأَبَانَ
وتَقَادَمَتْ بِالْحُبْسِ فَالسُّوبَانِ
فَنَعَا فِي صَارَةَ فَالْقَنَانِ كَأَنهَا
زُبْرٌ يَرْجَعُهَا وَلِيدٌ يَمَانِ

وهكذا تكرر الصورة وتعاد مرة واثنين وثلاثاً ، وقل في مثل هذا في تشبيه الديار الدارسة بالوشم ، فقد جاءت الصورة عند ليد قال : (٣)

أَوْ رَجَعُ وَاشْتَمَةِ أَسِيفٌ تَوَوَّرَهَا
كَفَفَا تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وَشَامَهَا

وتناول هذا المعنى زهير فقال : (٤)

دِيَارُهَا بِالرَّقَّتَيْنِ كَأَنَّهَا
مَرَاجِعُ وُشْمٍ فِي نَوَاشِيرِ مَعْصَمِ

-
- (٢) ديوانه ص ١٣٨
 - (٣) ديوانه ص ٢٩٩
 - (٤) ديوان زهير ص ٥
 - (٥) ديوان طرفة ص ٥

أما طرفة فيقول : (٥)

لخولة أطلالٌ بيرةٌ تُهمدِ

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وكذلك يقال في وصف البرق والسحاب والمطر ، فالأوصاف الرائعة

عند امرئ القيس الذي يقول : (٦)

ديمةٌ هطلاءٌ فيها وطفٌ

طبق الأرض تحرى وتدرى... الأبيات

هي نفسها عند عبيد بن الأبرص في قوله : (٧)

سقى الرباب مجلجل

الأكناف لمأح بروقه... الأبيات

وكذلك هي عند أوس بن حجر في قوله : (٨)

انى أرى ولم تارق معي صاح

لمستكفٌ بعيند النوم لوأح... الأبيات

(٦) ديوان امرئ القيس ص ١٤٤ .

(٧) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٨٩ .

(٨) ديوان أوس بن حجر ص ١٥ .

أما لبيد فقد وصف البرق والسحاب والمطر وحكى صوت الرعد في أول معلقته ، وكرر كذلك الصورة في قوله : (٩)

أصاح ترى بريقاً هباً وهنا

كصباح الشعيلة في الذئبال

والامثلة على هذا التكرار والتشابه كثيرة ، وليس مرد ذلك الى السرقة - كما قد يظن - ولكن مرجعه الى تأثير البيئة المحدودة المشاهد المتشابهة الصور ، واليها يعزى ضعف الخيال .

ولا بد أن تكون مادة الشاعر التي يصوغ منها معانيه مستمدة مما حوله من بيئته الصحراوية البدوية ، ولذلك فالشاعر لا يلفق معانيه ولا ينتحل صورته ، بل يتناولها من واقعها ومحيطها ، فالصورة التي يقدمها الأعشى في مدح المخلوق في قوله : (١٠)

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرة

الى ضوء نارٍ في يَفَاعٍ تحرقُ

تَشَبُّ لمقرورينِ يصطليانها

وباتَ على النارِ الندى والمخلوقُ

(٩) ديوان لبيد ص ٨٨ .

(١٠) ديوان الأعشى ص ١٤٩ - ١٥٠ .

هي من صور البادية المألوفة ، حتى ان القارىء ليشعر بشدة البرد ولذة
الدفء ، وحين يعجب طرفه بصوت قينة تغنيه بصوتها الشجي ، فليس هناك
فى بيئته أشد وقعا فى نفسه من تجاوب أصوات الابل حين تحن الى فصالها
الهالكة ، يقول : (١)

اذا رجعتُ في صوتها خلت صوتها

تجاوبَ أظَارٍ على رُبَعٍ ردى

و حين يصور زهير بشاعة الحرب ومآسيها ، فان صورته مستمدة من حياة
البادية حيث الرعى وسقى الابل واصدارها ورعيها فى كلاً تعافه لانه مستوبل
متوخم : (٢)

فَقَضَّوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا

الى كَلَّاءٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ

رَعَوْا مَا رَعَوْا مِنْ ظَمْنِهِمْ ثُمَّ أوردوا

غَمَارًا تَفَرَّسَى بِالسَّلَاحِ وَبِالدَّمِ

وهذه الابيات فى جملتها فيها طرافة ، وصور بديعة وخيال خصب يعجب
السامعين ، ولكنه خيال لا اغراق فيه ولا اسراف ، قريب من أرض الحقيقة ،

(١) ديوان طرفه ص ١٥٢ .

(٢) ديوان زهير ص ٢٤ - ٢٥ .

ممثل لواقع الحياة معبر عن طبيعة البادية .

ولم يكن أثر البادية ليقتصر على الصور المستمدة من البيئة والمثلة لما فى حياتهم من احداث وادوات وحيوان ، بل تعدى ذلك الى اللغة نفسها واستعمالاتها ، فقد كانت مرتبطة بالبيئة الجاهلية ، فوجوه الصورة البلاغية ومجازاتها من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز ، كل ذلك متصل ومتأثر بحياة البادية واحداثها وطبيعتها ، ويختلف هذا التأثير من بيئة لاخرى بين البادية والحاضرة ، ولكل من هؤلاء وهؤلاء أمزجة وطباع يصدرون عنها فى شعرهم ، ويعمل القاضى الجرجاني اثر الطبائع والبيئات فى الشعر بقوله : « وقد كان القوم يختلفون فى ذلك وتباين أحوالهم ، فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الاخر ، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره ، وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، ودمانة الكلام بقدر دمانة الحلقة . . . وترى الجافى الجلف منهم كز الالفاظ معقد الكلام وعر الخطاب حتى انك ربما وجدت الفاظه فى صوته ونغمته ، وفى جرسه ولهجته ، ومن شأن البداوة ان تحدث بعض ذلك ، ولاجله قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من بدا جفا) ، (٣) . ويضرب بعد ذلك مثلا بعدى بن زيد العبادى وهو شاعر جاهلى سكن الحاضرة فرق شعره وكان أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما اسلاميان .

واذا كان الطابع العام للشعر هو الطابع البدوى الاعرابى ، فان ثمة شعراء سكنوا الحاضرة وهناك شعراء أعراب وفدوا على الملوك وزاروا حواضر العراق أو الشام أو اليمن أو الحجاز ، فظهر للحضارة أثر واضح فى شعرهم ، كما

(٣) الوساطة ص ١٧ .

نجد ذلك في شعر حسان بن ثابت والأعشى والنابغة الذبياني وغيرهم من الشعراء المتكسبين ، الذين كانوا ينادمون الملوك ، أو يفدون عليهم لمصالح قبلية ، فينالون صلاتهم وعطاياهم ، ويحفل شعر النابغة بأوصاف الحضارة التي شهدتها في الحيرة والشام . يقول في وصف المتجردة وما عليها من زينة : (١)

في إثرِ غانيةٍ رمتك بسهميها

فأصاب قلبك غير أن لم تقصدِ

بالدرِ والياقوت زَيْنَ نحرِها

ومفصلِّ من لؤلؤٍ ووزبرِ جدِ

كمضينةٍ صدفيةٍ غواصها

بهبجٍ متى يرها يهلُّ ويسجدُ

أو دميةٍ في مرمرٍ مرفوعةٍ

بنيت بآجرٍ يشادُ بقرمدِ

وكذلك وصفه للغساسنة الملوك في اعيادهم (٢) . ولكن الطابع العام - كما قدمنا - الذي صيغ الشعر هو الطابع البدوي الذي بقي أثره في التعابير اللغوية حتى زمن متأخر . فتعابير الشعراء خاصة وصورهم وأمثالهم كان

(١) ديوان النابغة ص ٣٠ و ٣٣ .

(٢) ديوانه ص ٦٣ .

مستمدا من الابل وما يتصل بها ، والابل هي عماد الحياة في البادية ، فالناس قد قالوا وما زالوا يقولون للرجل اذا عجز عن الكلام : (اعتقل لسانه) ، وان أحسن في أمر مدحه الناس فقالوا : (لله دره) ، وان أفسد بينهم قالوا : (ألقح الشر بينهم) ، وقالوا للحرب الشديدة : (زبون) ، وان احتال للشيء عند غيره وداهنه وتملقه قالوا : (هو يفتل له بين الذرورة والغارب) وان أهمل الشيء وتركه وشأنه قالوا : (ألقى جبله على غاربه) ، ونجد تعابير أخر مرتبطة بحياة الناقة أو الجمل في قولهم : وطئه بمنسمة ، وضرسه بأنيابه ، وألقى عليه بجرانه ، وتسئم الامر ، وأناخ عليه بكلكله ، وأخذ بزمامه ، واذا اعتزلوا أمرا قالوا : (لا ناقة لي فيه ولا جمل) ، وهكذا (٣) .

ويستطيع المرء ان يفسر كل مظاهر الشعر ومعانيه وصوره وخياله ومفرداته اللغوية وموصوفاته ونوازع الشاعر وأفكاره ومثله وخلقه وعاداته وعصبيته ، على أنها أصداء للبيئة وتصوير لها ، ولم يسلم من هذا الاثر حتى أولئك الذين سكنوا بيئات أخرى أو بعد بهم الزمان فعاشوا في قرون لاحقة ، وذلك لان الشعر الجاهلي - بمؤثراته - أصبح قدوة يحتذى ونموذجا يتبع ومثالا يحاكي فصارت سنة الشعراء اقتداء فن الأوائل والنسج على منوالهم ، ولذلك فقد بقى سلطان الشعر الجاهلي على شعر العصور التالية واضحا بارزا بعد الاثر .

(٣) انظر البحث الطريف للدكتور محمد محمد حسين : أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة ص ٥٢ وقد أفدت منه في غير موضع .

(٢)

الواقعية والوضوح :

لعل أبرز هذه الواقعية ان الشعر الجاهلي استمد مادته من الحياة ، فصور البيئة - كما تقدم - أصدق تصوير ، وهو تصوير واضح جلي لا خفاء فيه ، بسيط لا غلو فيه ، بعيد عن المبالغة والتعقيد ، فمعاني الشعر واضحة بسيطة تلائم الفطرة وتسجم وطبيعة المجتمع البدوي ، ولا شك ان البساطة والوضوح أثمران من آثار البيئة وصفاء الذهن واعتدال المزاج ، وهما يدلان على عقلية هادئة مستقرة لا اضطراب فيها ولا قلق ، فلا غموض ولا تفلسف ، ولا أريد هنا بالبساطة السذاجة والبداية - كما قد يظن - فالشعر الجاهلي من حيث معانيه وأخيلته ولغته ، يدل على رقي عقلي وصفاء ذهني وعناية فنية ومهارة في صناعة الشعر وصياغة معانيه وصوره ، والبساطة لا تناقض اجالة النظر وصقل الفكرة وشحذ الذهن وغير ذلك من الوسائل التي يوجد بها الشعر ، وليس الفن كله معقداً مركباً ، بل منه البسيط الواضح الذي يلائم الفطرة والطبيعة الصحراوية ، ومنه المركب المعقد المغرق في الخيال الذي هو نتاج الحضارة والمدنية ، والبيئة البدوية مكشوفة مضيئة ، فضاؤها رحب يمتد فيه البصر ، والشمس ساطعة وحياة الشعراء سهلة بسيطة ، فلم تكن - لاجل ذلك - تراود خيالهم الغاز معمبة أو هواجس خفية ، فكان من الطبيعي ان تستمد

الشعراء صورهم وأخيلتهم من الواقع الواضح ، لانهم لا يتخيلون من وراء حجاب ، فحات معانيهم واضحة بسيطة لانها عاجت حياة بسيطة واضحة بعيدة عن الحضارة - الا قليلا - وما يتبع الحضارة من أدب يميل الى الاغراب والمبالغة (١) .

ومن مظاهر هذه البساطة في الشعر الجاهلي : الصدق في التعبير وفي نقل الصور والمشاهد نقلا يكاد يكون أمينا ، وبخاصة حين يذكرون المواضع ويناجون الديار ، وحين يفخرون أو يرثون فلا يبالغون في الخيال ولا يسرفون في التصور ، وذلك لانهم يتحدثون عن أحوال رأوها وتجارب مارسوها وذكريات أحسوا بها .

ويتمثل الصدق في انفعالات الشعراء وعواطفهم وفي تسجيل الوقائع والذكريات وتصوير النصر بصورته الحقيقية ، من غير غلو ولا مبالغة ، والاقرار بالهزيمة والنكوص ان دارت الدائرة على قومهم ، وليس أصدق اقرارا بقوة الخصم واعترافا بالفرار من قول الحارث بن وعلة الجرمي في يوم الكلاب الثاني بين جرم وتميم : (٢)

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي

غداة الكلاب إذ تحزّ الدوابرُ

(١) وحتى الشعراء الذين سكنوا المدن كعدي بن زيد وشعراء مكة والمدينة والطائف ، كانت حياتهم قبلية قريبة الى حد بعيد من حياة البادية ، لأن الامارات التي قامت في الجزيرة كانت على تخوم الدول الكبيرة ، فحياة امراء الحيرة ودومه الجندل وجلق أقرب الى حياة البادية وطباع أهلها .

(٢) المفضليات ص ١٦٥ - ١٦٦ .

نجوتُ نَجَاءً لم يرَ الناسُ مثله
كَأَنِّي عِقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرُ
خِدَارِيَّةٌ سَفْعَاءٌ لَبْدَ رِيَشِهَا
مِنَ الطَّلِّ يَوْمٌ ذُو أَهَاضِيبَ مَاطِرُ
كَأَنَّا وَقَدْ حَالَتْ حِذَانَةٌ دُونََنَا
نَعَامٌ تَلَاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرُ
فَمَنْ يَكُ يَرْجُو فِي تَيْمِيمِ هَوَادَةَ
فَلَيْسَ لَجْرَمٍ فِي تَيْمِيمٍ أَوْ اَصْرُ

الى آخر القصيدة التي يصف فيها حاله وفراره وانهرام قومه وشدة
تيميم عليهم ، وليس بعد هذا من صدق وواقعة .

وإذا كان هذا يعني صدق الوقائع ، فإن هناك ضرباً آخر من الصدق
يتمثل في التعبير عن الصور المنتزعة من البيئة ونقلها بصدق كما شهدها الشاعر
وألفها ، من ذلك قول لبيد واصفاً حاله بعد موت أعمامه وابتائهم : (١)

أصبحتُ أمشي بعدَ سلمى بر مالكٍ
وبعدَ أبي قيسٍ وعروة كالأجبِ

(١) ديوان لبيد ص ١

يَضْجُ إِذَا ظَلَّ الْغُرَابِ دَنَا لَهُ

حِذَارًا عَلَى بَاقِي السَّنَائِنِ وَالْعَصَبِ

فهو يعرض مشهدا رآه وتأثر به ، مشهد الجمل الذي قطع سنامه أيام القحط والجذب ، فهو يرتعد خوفا وألما كلما أحس بغراب يدنو منه أو يتوهم دنوه ، لما يفعله الغراب من النقر بقايا سنامه وأعصابه وفقار ظهره ، فهذه صورة مؤثرة ، لأنها صادقة انتزعها من الواقع المشاهد ، وقد استطاع الشاعر في هذين البيتين أن يحقق الصدق الفني والصدق الواقعي على السواء .

هذا هو الطابع العام في الشعر الجاهلي ، تعبير مباشر عن حياتهم يستمدون صورهم ومعانيهم من بيئتهم بأساليب رائعة فيها جمال الفطرة وبساطة الصحراء ، بعيدة عن المبالغة والغلو والتعقيد ولذلك جاءت معانيهم مفهومة مقبولة ، على أنه شذت بعض الايات - وهي قليلة معدودة - وقف عليها القدماء وأنكروا ما فيها من مبالغة ومجازة المعقول ، حتى انهم وصفوا قائلها بالكذب ، من ذلك قول مهلهل بن ربيعة :

فَلَوْلَا الرِّيحُ اسْمَعُ أَهْلَ حَجْرٍ

صَلِيلُ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذِّكْرِ

فقالوا : « هو خطأ وكذب من أجل ان بين موضع الوقعة التي ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة جدا » (٢) وكان منزل مهلهل - فيما يقال - على

(٢) الموشح ص ١١٣ .

شاطيء الفرات من أرض الشام وحجر هي البمامة (٣) وقد اكبروا قول النمر
ابن تولى واستكثروا عليه قوله : (٤)

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نميرِ

أسبَادِ سيفِ قديمِ إثرهُ بادِ

تظل تحفرُ عنه ان ضربتَ به

بعد الذراعينِ والساقينِ والهاديِ

وكذلك أخذوا على أبي الطمحن القيني قوله : (٥)

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

دُجى الليل حتى نَظَّمَ الجزعَ ثاقبهُ

على أن هذه المبالغات في الشعر الجاهلي قليلة لا تمس الأصل بتغيير
كبير ، فالطابع العام هو القصد والاعتدال والصدق والوضوح .

والامر الآخر الذي هو مظهر من مظاهر الواقعية التي أشرت إليها اولا ،
هو الايجاز . ولا شك أن طبيعة الحياة الجاهلية وما فيها من نقلة سريعة وحركة
دائبة غير مستقرة ولا متروية ، ومناخ الصحراء القاسي الشديد في حره وقره ،

(٣) الموشح ص ١٠٦

(٤) الموشح ص ١١٣

(٥) الموشح ص ١٠٦

كل ذلك جعلهم لا يطيلون ولا يتأملون ، يقفون عند المعنى وقفة وسرعان ما يتركونه إلى غيره ، أما الوقوف الطويل والتفصيل وتشقيق المعنى على وجوه . كل ذلك لا يلائم طبيعة حياتهم ومزاجهم وعقليتهم ، فالأطناب والتفصيل وتطويل العبارة واجالة النظر والتروي ، كل ذلك يوجب الاستقرار والهدوء والدعة والبطء أيضاً ، ونحن في هذا العصر رغم الحضارة والاستقرار نمل من الاطالة ونسأم من التفصيل ، وانما نزيد النتيجة السريعة وتعجبنا للمحة الدالة ، وتغنيا الاشارة عن الافصاح والحكمة الموجزة عن الخطبة المسهبة ، ولا عجب أن يكثر في الشعر الجاهلي الميل الى الحكم والاكتفاء بالبيت على أنه وحدة تامة المعنى وكان من ذلك أن طبيعة الشعر العربي نفرت من القصة المفصلة التي تلائم الشعر الأوروبي المتميز بالاطالة والتفصيل ، وإذا وجدت القصة في الشعر العربي فانها حكايات ورموز ودلالات سريعة . وانك لتجد المعنى يتناوله اثنان ، واحد من سكنة البادية ذات الحركة والسرعة والتغير ، وآخر من الشعوب التي تميل إلى الإطالة والتفصيل ، كالشعوب الآرية التي ظهرت لديها المهابهارتا والشاهنامة والألياذة والاولديسا ، تجد الفرق واضحاً في تناول المعنى الواحد ، فالعربي يجمل المعنى ويعطيك لمحات طريفة ، والآخر يفصل ويعيد ويكرر حتى يبلغ غايته ، معنى البيت هنا قصيدة هناك ، ومن غريب المصادفة أن يتناول شاعران ، أحدهما عربي هو امرؤ القيس وثانيهما اغريقي هو هوميروس ، معنى يكاد يكون واحداً فنجد امرؤ القيس يكتب بيتين أو ثلاثة قال فيها ما يريد قوله بإيجاز غير مخل ، أما هوميروس فقد أطال وفصل ووقف عند جوانب جزئية واستطرادات لا يسيغها الذوق العربي ، وقد سبقنا الأستاذ البهيتي إلى هذه الملاحظات فقال : (١) يقول امرؤ القيس :

فَظَلَّ طُهَاءَ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضَجٍ

صَفِيفٍ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مَعْجَلٍ

(١) تاريخ الشعر العربي ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ويشرح الزوزني الشعر فيقول : (ظل طهاة اللحم وهم صنفان ، صنف
ينضجون سواء مصفوا على الحجارة في النار ، وصنف يطبخون اللحم في
القدر) وفي مكان آخر يقول امرؤ القيس :

ويومَ عقرتُ للعذارى مطيتي

فيا عجباً من كورها المتحملِ

فذل العذارى يرقمينَ بلحمها

وشحمِ كهدّابِ الدّمّسِ المقتلِ

هذا الوصف لهذا الصنف من الطعام يجيء عرضاً في القصيدة ، وهو
صنف مختصر موجز سريع ، الا انه كاف للدلالة على نوعه وصورته وطريقته ،
يمثله يجيء عند هوميروس ولكنه ينساق مع القصة : (ومد باتروكل امام
لمنزل خوانا ، ووضع على الخوان ظهر شاة ، ومعزى سمينة وفقار خنزير
يكتنز يتلاءء دهنا ، ثم أخذ كل من باتروكل واتوميديون بجانب فقطعها
أشيل الالهي أرباعا ، وبعد ذلك جعل أشيل شرائح صفها فوق سفافيد ، على
حين كان ابن مينيتيوس ، الانسان الفاني ، المشبه للالهة ، يوقد نارا عظيمة ،
ولما اضطرت النار ، ثم خمد لهيها ، مد تلك السفافيد فوق وطاء من ضرهما ،
ثم رفعها من فوق حاملاتها ، ونشر فوقها ملحاً الهيا ، وبعد أن طهى باتروكل
اللحم طهيه سله عن السفافيد فجعله فوق جفان وقدم الى كل من حضر المائدة
خبزا في سفاط حلوة ، وكان أشيل هو الذي فرق أنصبة اللحم) (٢) .

ولا شك أن الفرق بين الاسلوبين هو الفرق بين الطبيعتين ، طبيعة حركة

(٢) تاريخ الشعر العربي ص ١٠٦ نقلا عن الألياذة .

سريعة متوثبة ذكية الملاحظة ، وطبيعة متجهلة مستقرة متروية ، تقص وتفصل
فى القصص وتسمى الاشياء بأسمائها فتطيل فى هذه التسمية . وان فى الشعر
الجاهلى أبياتا قليلة فيها من الاحداث والصور الكثرة التى لو تناولها غير
الجاهلين لاطالوا فيها وفصلوا وكرروا حتى يستطيعوا أن يؤدوها بالشكل
الذى جاءت عند الجاهلين ، انظر الى قول الحارث بن حلزة يشكرى : (١)

اجمعوا امرهم عشاءً فلما

أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن تصدُّ

هالٍ خيلٍ خلالَ ذاك رُغاءُ

تراء يصف حال القوم وعزيمهم على القتال ، ونقل صورة حية للرحيل
والتهيو . ولو أردنا أداء المعنى الذى أراده علقمة بن عبدة فى تصوير الفجر
لاحوجنا الى ايضاح كبير وكلام طويل ، فى حين أنه أوجز فأجاد فى
قوله : (٢)

أوردتها وصدور العيس مُسنفةُ

والصبحُ بالكوكب الدرّي منحورُ

(١) المعلقة السبع - الزوزنى ص ١٥٨ .

(٢) ديوان علقمة الفحل ص ١١٣ .

وكذلك تجد قول لبيد على ايجازه صورة مفعمة بالحياة والحركة ومشهد الطبيعة الحافل بألوان الزرع على جانبي الوادى وقد أطلت الظباء والنعام والابقار وهى ترقب أولادها التى تتجمع قطعاناً حولها أو تسرح هنا وهناك : (٣)

فعلا فروعُ الأيُّقانِ وأطلتُ

بالجلهتينِ ظباؤُها ونعأُها

والعينُ ساكنةٌ على أطلانِها

عوداً نأجلُ بالفضاءِ بهأُما

وهى صورة قريبة من صورة زهير : (٤)

بها العينُ والآرامُ يمشينِ خلفاً

وأطلاؤها ينهضنَ من كل مجثمِ

أما بيتا الحارث بن مضاخ الجرهمى ، ففيهما قصة طويلة وذكريات حافلة عن عهد ولى وأدبر فخلف الحنين فى القلوب والحسرة فى الصدور : (٥)

كأن لم يكن بين الحَجَّونِ الى الصِّفا

أنيسٌ ولم يسمرْ بمكةَ سامر

(٣) ديوان لبيد ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٤) ديوان زهير ص ٥ .

(٥) جمهرة أشعار العرب ص ٤٨ .

بلى : نحن كنا أهلها فأبادنا

صروف الليلي والجدود العواثر

ولعل أقرب صور الایجاز تتمثل فى التشبيه ، حيث يقرب المعانى البعيدة ويركزها فى صورة قريبة محسوسة ، ولذلك كان التشبيه فى الشعر الجاهلى أكثر الاغراض البيانية ، أما الاستعارة فعمل مركب فيه تعقيد فهى قليلة وأكثر منها الكناية ، والكناية فيها تقصير العبارة وایجازها ، فهى تحمل المعانى الواسعة المتخيلة فى عبارات قليلة فيها طرافة وجمال .

والمظهر الاخر من مظاهر الواقعية ، ان صور الشعر الجاهلى صور حسية فيها تجسيم وتشخيص ، وهذا أمر طبيعى لان صور الشاعر مستمدة من بيئته ومرتبطة بالبادية ، واذا قلنا ان الصور مادية لا تعنى كل الصور وكل المعانى - فلا نعدم ان نجد عناية بوصف الاحوال النفسية - بل أن صورهم فى جملتها على هذه الشاكلة ، فاذا أنعمنا النظر فى صور الشعر الجاهلى وبخاصة فى التشبيه ، نجد الصحراء ومعالمها ، والحياة البدوية وحيوانها ونباتها ، ممثلة فى تلك الصور ، ونراها كذلك واضحة بسيطة لا يجد الشاعر مشقة ولا عسرا فى استحضارها ، ولا يجد القارىء - حين تيسر له اللغة - جهدا فى ادراكها وتذوقها ، فهى واضحة وضوح الصحراء ، بسيطة بساطة البادية .

ومده الظاهرة الحسية لا تزايل الصورة حتى فى تعبيرها عن أمور معنوية غير ملموسة كالحلم والكرم والوفاء والشرف ، فالشاعر الجاهلى يميل الى تصوير المعنويات والتعبير عنها مجسمة فى ماديات محسوسة ، أو متعلقة بأشخاص

بأعيانهم ، يتحدث لبيد عن حلم قومه فيقول : (١)

ولهم 'حلوم' كالجبال وسادةٌ

نُجْبٌ وفرعٌ ماجدٌ وأرومٌ

فقد عبر عن سعة حلمهم بصورة مادية هي صورة الجبال العالية ، ويقرن طرفه بين ظلم قومه وبين وقع السيف فيقول : (٢)

وظلمٌ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً

على المرء من وقع الحسام المهند

أما تأبط شرا ، فحين يقع في أمر شديد حرج يحاصره عدوه ويأخذ عليه المخارج نراه يشبه هذا المأزق الذى احتال للخروج منه بالمتخزين الضيقين : (٣)

وأمر كسد المنخرين اعتلته

فنفست منه والمنايا حواضر

وهذه النزعة فى تجسيم المعانى وتشخيصها والتعبير عنها بصور مادية

(١) ديوان لبيد ص ١٣٧ .

(٢) ديوان طرفه ص ٣٦ .

(٣) مقدمة ديوان الشنفرى فى الطرائف الادبية ص ٢٨ .

حسية ، كان لها جرائرها على الشعر الجاهلي ولها فوائدها ايضا :

فمن جرائرها انها حادت الخيال والتصوير ، وربطت الذهن بمشخصات مادية ، فلم تتح للشاعر ان ينطلق في تصوير المعنويات ، كالحب والوفاء والسماحة والمروءة وغيرها ، تصويرا شاملا عاما ، بحيث يعالج الفكرة نفسها غير مرتبطة بمشخصات أو صور في بيئة محددة ، ولم تتح للشاعر ايضا ان يتعمق في وصف الخواطر والافكار ، أو يحلل العواطف والاحساسات ، ومن هنا جاء وصفهم للمرأة وصفاً حسيّاً جسدياً ، فلم يتغلغلوا في أغوار النفس ويتعرفوا على خفاياها ولم يصفوا عواطف المرأة المحبوبة وأشواقها - الا نادرا - بل وصفوها وصفاً خارجياً ، فجاءت كالدمية التي لا حياة فيها ، واذا كان لا بد من الشاهد والمثل ، فلنأت الى معلقة امرئ القيس ، فنجده يصور حبيبته بأنها بيضة خدر مكنونة : (٤)

وبيضة خدرٍ لا يُرامِ خباؤُها

تمتعتُ من لهُوٍ بها غيرَ مُعجَلِ

أما جيدها الصقيل فهو مرآة :

مهفهفة بيضاء غيرَ مفاضةٍ

ترائبها مصقولة كالسجّنجلِ

ولحظها لحظ وحش وجرة :

(٤) ديوان امرئ القيس ص ١٣ - ١٧ .

تصدُّ وتُبدى عن أسيلٍ وتُتقى

بناظرةٍ من وحشٍ ونجرةٍ مُطفِلِ

وجيدها كجيد الرئم :

وجيدٍ كجيد الرئم ليس بفاحش

إذا هي نصتُه ولا بمعطِلِ

وشعرها كمدق النخلة الكثيف المتداخل :

وفرعٍ يُغشَى المتنَ أسودَ فاحمِ

أثيثٍ كقنِوِ النخلةِ المتعشِكلِ

وخصرها كالزمام الرقيق ، وساقها كالبردى الناصع البياض :

وكشحٍ لطيفٍ كالجديلٍ مخصرِ

وساقٍ كأنبوبِ السقى المذللِ

وأصابعها كالأساريع وأغصان الأسحل :

وتعطو برخصٍ غير شثنٍ كأنه
أساريعٌ ظيٍ أو مساويكُ أسحلٍ

وحسن وجهها المضيء كمرجة الراهب :

تضيءُ الظلامَ بالعِشاءِ كأنها
منارةٌ منسيِ راهبٍ متبتلٍ

وهكذا تجد صفات المرأة مجسمة في صور مادية حسية ، وتستطيع أن
تقف على كثير من صفات الرجولة والبطولة والمحامد المعنوية فتراها قد ارتبطت
بصور حسية مشخصة ، وهذا هو النهج العام في التشبيه خاصة .

ومن عيوب هذه النزعة المادية الحسية أيضا ، انها جعلت الصور تتكرر ،
لان الظواهر الحسية متعلقة بالصحراء ، ومشاهد الصحراء محدودة متشابهة ،
وطبيعي أن هذه المشاهد لا تستلطفها الاذواق الحضرية ، وقد تعجب أناسا دون
آخرين .

أما فوائد هذه النزعة المادية الحسية ، فانها جعلت الشاعر يدقق في
موضوعاته ويفصل في أوصافها ويولد في معانيها فيصب المعنى الواحد في صور
مختلفة ونماذج جديدة ، امعانا منه في الايضاح وزيادة في استقصاء جوانب
الموصوف واستيفاء أجزائه ، كما سيتضح فيما بعد .

(٣)

التصوير :

يكثر التصوير فى الشعر الجاهلى كثرة واضحة ، وبخاصة فى الوصف ، حيث يرسم الشاعر مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب ، فهو يلم بالصورة المما تماما ، ثم يدقق فى أجزائها ، ويحصر أطرافها ، ويستقصى جوانبها ، وهذا - لا شك - دليل التمكن فى الفن والدقة فى التعبير وخصب الخيال ، فالشاعر الجاهلى يرسم لوحات كاملة ، يعنى بكل تفاصيلها واجزائها على الرغم من ايجازها ولعلك تذكر معلقة لبيد ووصفه الديار المقفرة ، فهو يصف الرسوم الدراسة ويحدد مواقعها ويشبه آثارها ويذكر قدمها وما مر عليها من أشهر طويلة ، وكيف سقطت فيها الامطار ونبتت الاعشاب وعلا نبات الابهقان وولدت فيها الطباء والنعاج وفرخت النعام ، وراحت صغارها تمرح وترتع على مرأى من أمهاتها ، على شاكلة قوله : (١)

عفتِ الديارُ محلِّها فمُقامِها

بمئىَّ تأبَدَ غولُها فرِجامِها

(١) ديوانه ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

فدافعُ الرِّيانِ عُرِّيَ رَسْمُها

خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الوُحْيَ سِلامِها

دَمْنٌ تَجَرَّمُ بَعْدَ عَمْدِ أنيسِها

حَجَجٌ خُلونَ حلالِها وحرِّامِها

رُزِقَتْ مُرايِيعَ النجومِ وصاَبِها

وَوَدَّقُ الرِواعدِ جِوَدُها فَرِها مِها

مِنَ كُلِّ ساريةِ وِغادِ مَدجِ

وعِشِيَةِ مَتجاوِبِ إِرْزَامِها

فَعِلا فِرِوعِ الأيْهُقانِ وأَطفَلتِ

بِالجِلْسِيتِينِ ظِباوِها وِنَعامِها

والعِينِ ساكِنَتِ على اِطِلاَنِها

عِوِذاً تَأَجَلُ بِالفِضاءِ بِها مِها

وَجِلا السِيوِلِ عَنِ الطِلولِ كَأَنا

زُبُرٌ تُجِدُّ مِثوَنَها أَقلامِها

أورجعُ واشمّةِ أسفَّ نَوُورُها

كففاً تعرضُ فوقهنِ وشأما

فقد جمع لييد في صورته هذه كل ما يمكن أن يجمع في الصورة المتقنة ، وفر لها عناصر أصيلة لازمة لجمال المشهد ، من ذكر الزمان والمكان والمياه واللون والنبات ، والحركة في الحيوان والصوت في رعد السحب ، وهكذا تجده يدقق في صورته ويستوعب انحاءها ويستكمل جوانبها ويتقنها • وانظر الى هذه الصورة ، صورة حمار الوحش وأتانه وهما يعدوان فيثيران سحابة من غبار ، وتأمل كيف يدقق ويتأنق في الوصف والتصوير : (٢)

فتنازعا سبِطاً يطيرُ ظلّالُه

كدُخانٍ مشعّلةٍ يُشَبُّ ضرامُها

مشمولةٍ غلِثتُ بنابتِ عرفجٍ

كدُخانٍ نارٍ ساطعٍ أسنامُها

فقد صور الغبار المثار بينهما كغلالة رقيقة يتنازعانها ، وشبه هذا الغبار بدخان نار مشبوبة الضرام وقد كملت الصورة في هذا البيت ، ولو شاء لاكتفى بها ، ولكنه أراد أن يفصل هذا التشبيه ويتقنه ، ويبين ان هذه النار قد أوقدت بنبات العرفج الطرى الذى يثير الدخان الكثيف ويزيد لهب النار بحيث تسطع أعاليها ، وان ريح الشمال تمر عليها فتزيد في ضرامها وسطوعها •

(٢) ديوانه ص ٣٠٦ •

وهذه الصورة الدقيقة قريبة في اتقانها ودقتها من صورة ابي خراش
الهدلي لحمار الوحش وأتته وذلك حيث يقول : (١)

أرى الدهر لا يبقى على حدائنه
أقبُّ تباريه جدائدُ حُولُ
أبنَّ عَقاقاً ثم يرمحن ظلمه
إباءً وفيه صولة وذمِيلُ
يظلُّ على البرز اليقاعِ كأنه
من الغار والخوف المَحِمْ وبيْلُ
وظل لها يومٌ كان أوارهُ
ذكا النار من فيحِ الفروعِ طويلُ
فلما رأين الشمسَ صارت كأنها
فويقُ البَضِيعِ في الشُعاعِ خَمِيلُ
فهيَّجها وانشامَ نَقَعاً كأنه
إذا لفها ثم استمرَّ سَحِيلُ

(١) ديوان الهذليين ١١٧/٢ - ١٢١ .

مُنِيْبَا وَقَدْ أَمْسَى تَقْدَمِ وِرْدَهَا

أَقِيْدِرُ مَحْمُوزُ الْقِطَاعِ نَذِيْرَالُ

فَلَمَّا دَنْتُ بَعْدَ اسْتِمَاعِ رَهْفَنَهْ

بَنْقَبِ الْحِجَابِ وَقَعْنِ رَجِيْلُ

يُفَجِّئِنَ بِالْأَيْدِي عَلَى ظَهْرِ آجِنِ

لَهُ عُرْمَضُ مُسْتَأْسِدُ وَنَجِيْلُ

فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاءَ وَضَمَّهْ

إِلَى الْمَوْتِ لِصَبِّ حَافِظِ وَقَقِيْلُ

وَكَانَ هُوَ الْأَدْنَى فَخَلَّ فُؤَادَهْ

مَنْ النَّبْلُ مَفْتُوقُ الْغِرَارِ بَجِيْلُ

فقد استطاع الشاعر في هذه الابيات القليلة أن يصور حمارا وحشيا وأتته التي ظهرت عليها علامات الحمل ، فهي تعاسره وتمنع منه ، وهو يعابثها ويباريها ويتبعها ، والحمار خائف مذعور يخشى الصياد وكلابه ، فتراه قد علا مرقبة من الارض يشرف منها على ما حوله ، وبينما هو كذلك مالت الشمس نحو الغروب ، لتودع نهارا قائظا شديد الحر ، والحمار اذ يطارد أتته وهي تعدو أمامه فتثير غلالات من الغبار ، تمتد كأنها جبال سحيلة لم تبرم ، وتحس هذه الحمر ان صيادا بادی الفقر يتربص بها الغوائل ، فاذا سمعت حركته وأيقنت منه الموت ، اشتدت في العدو مفزوعة مذعورة ، فاذا اعترضها ماء آجن

علاه الطحلب وألوان النبات القت بنفسها فى غماره تبغى النجاة ، ويرسل
الصيد سهامه المصمية ، فيصيب فؤاد الحمار ، اذ هو أقرب اليه من الاتن •

واذا انعمنا النظر فى هذه الصورة ، نجدها صورة كاملة واضحة المعالم
بارزة السمات ، لم يترك الشاعر جانبا من الصورة الا ملاءه ووفاه حقه ، سواء
فى ذلك الجانب الحركى أو الجانب النفسى أو ذكر الزمان والمكان • ولم يهمل
التفاصيل ، بل يؤكدھا ويدقق فيها ، وتستطيع أن تلاحظ ذلك فى : ان الاتن
قد استبان حملها ، والحمار حذر شديد الحذر ، والغبار ممتد بين الحمار والاتن
كخيوط لم تبرم ، وهذا الصيد فقير سىء الحال يتعقبها ويتربص بها ، وحين
تقذف الاتن بنفسها فى الماء ، يصف الماء فهو آجن قد فسد ، ويصف ما على
الماء من نبات طويل أخضر ، ويمثل حركة ايديها تفج الماء سابحة ، ثم يعين
موضع الحمار من اناته فهو وراءها أقرب الى الصيد منها ، وكان ذلك سببا فى
اصابته ، ولا ينسى الشاعر أن يصف السهم الذى كانت رميته مصمية ، فهو
سهم كبير شديد عريض النصل •

الشمول فى الوصف ، والتدقيق فى الصورة ، والعناية بالجزئيات
والتفاصيل ، كل ذلك دليل عناية الشاعر ، لتأتى صورته كاملة معبرة وافية ،
فيها تحبير وتحقيق وتدقيق ، وهذه أبرز صفات الصورة عند فحول الشعراء
ومجيدهم •

وقد عرفت الصور الجاهلية فى اكثرها انها تصوير لهيئة الموصوف، وصف
لشكله الخارجى وهذا الوصف حسى مادى ، فيه تجسيم وتشخيص ، وفيه
جلاء للصورة وتوضيح لجوانبها ، وقد اقتضى ذلك عناية بالاجزاء والتفاصيل ،
واهتماما كثيرا بالتشبيه ، وعرض صور كثيرة للمشبه به بحيث يدعو ذلك الى
الاستطراد والخروج عن الاصل • وجاءت اوصاف الشعراء معنية بمظهرها

الخارجى وعظم هيكلها ، فطرفة حين وصف ناقته صورها دمية واضحة الاعضاء لم ينس جزءا ولا عضوا ، ولم يغادر عصبا ولا عرقا ، الا وصفه ووضحه ، فهو رسام بارع ينقل صورة ناقته بأعضائها وقسماتها الجسمية ، كما يتضح ذلك فى معلقته (١) . الا ان وصف طرفه وصف لدمية صماء لا حياة فيها ولا حركة ومثل هذا الوصف عند الجاهلين كثير ، يتناول هيئة الموصوف .

ولكن بعض الشعراء وجهوا عنايتهم الى وصف الحالة ، حالة الموصوف ، سواء أكان حيوانا أم انسانا ، وصفوه وصفا داخليا ، صوروا فيه الحياة والحركة ، وتحدثوا عن نزعاته النفسية والعاطفية من حب وكره وخوف وضعف وجرأة وأقدام ، صوروا نشاطه ومرحه ، حركاته وسكناته ، زهوه وخيلاءه ، وحتى افكاره فى بعض الاحايين ، وقد قرأت فيما تقدم شعر ابى خراش الهذلى فى تصوير أحوال الحمار والاتن ، وقرأ للبيد بن ربيعة قوله فى وصف البقرة التى أكل السبع ولدها ، فراحت تبحث عنه جزعة مذعورة : (٢)

عَلَيْهَتْ تَرْدُدُ فِي نَهَاءِ صَعَانِدٍ

سَبْعًا تُوَامَا كَامِلًا أَيَّامَهَا

حَتَّى إِذَا يَثِيسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ

لَمْ يُبْلِهْ أَرْضَاعَهَا وَفِطَامَهَا

(١) ديوان طرفه ص ١٣ - ١٨ .

(٢) ديوان لبيد ص ٣١٠ - ٣١١ .

وتوجست رز الأيس فراعها

عن ظهر غيبٍ والأيس سقامها

فعدت كلا الفرجين تحسب أنه

مولى المخافة خلفها وأمامها

فقد بين حزنها وجزعها وهي تبحث عن ولدها سبعة أيام بلياليها، وتحدث عن ياسها بعد طول انتظار وطول غيبة، وكشف عن مخاوفها وهي تتوجس رز الأيس، ثم هروبها وهي لا تدري من أين تأتيتها المخاطر وتدهمها المنون •

ومثل لبيد والهدلى، زهير والاعشى وفريق كبير من الشعراء، افتتوا في الأوصاف، فبينوا أحوال الحيوان النفسية، ومثلوا مخاوفه وعواطفه وهواجسه، وإن لم يهملوا هيئته من وصف أعضائه وحسن شياته وهو مذهبه العام في الوصف •

وتأتى أوصاف الجاهليين لوحات كاملات يوفرون لها كل أسباب الصور الدالة الموحية المؤثرة، فيها الجو الملائم من المكان والزمان واللون والحركة، وحتى الصوت في كثير من الأحيان، نجد ذلك في وصف الطبيعة الصامتة كالمنظر والسيول والبرق والغيوم والرمال والرياض، ونجد ذلك كذلك في وصفهم للحيوان حين يبينون لون بشرته وقوائمه والتماعه وسط الظلام، وحركته حين يمرح وحين يعدو في ذهابه بعيدا يقضى شهور الشتاء، وفي عودته ساعيا نحو الماء، في هروبه من الصيد وكلابه وفي مقاتلته هذه الكلاب وهو يفري صفاها • وتستطيع ان تلمس هذه العناصر كاملة في قصيدة لزهير

يصف بقرة وحشية يطاردها الصياد وقد افترس السبع ولدها ، واستطاع زهير
ان يوفر لقصيدته كل اسباب الجمال، وان يفتن في رسم الالوان وبيان الحركات
والمطاردة ، ووصف العواطف وتعيين مواطن الفجعة ، يقول : (١)

كخنساء سفعاءِ الملاطمِ حُرَّةِ
مُسافِرَةٍ مَزُودَةٍ أُمٌّ فَرَقَدِ
غَدَتْ بِسِلَاحٍ مِثْلُهُ يُتَقَى بِهِ
وَيُؤْمِنُ جَاشِ الْخَائِفِ الْمُتَوَقِّدِ
وسامعتين تعرف العتقَ فيهما
الى جذرِ مَدْلُوكِ الْكُعُوبِ مُحَدِّدِ
وناظرتين تطحرانِ قذاهُمَا
كأنهما مكحولتانِ بِأَيْمَدِ
طباها ضحَاءُ أَوْ خَلَاءُ فخالفتُ
اليه السُّبَاعُ فِي كِنَاسٍ وَمَرَقَدِ
أضاعتُ فلم تُغْفَرْ لها غَفَلَاتُهَا
فلاقتِ بيانا عندَ آخِرِ مَعَهْدِ

(١) ديوان زهير ص ٢٢٥ - ٢٣٠ .

دماً عندَ سَلْوٍ تَحْجِلُ الطيرُ حَوَاهِ
وَبَضْعَ لِحَامٍ فِي إِهَابٍ مَقْدَرِ
فَجَالَتْ عَلَى وَحْشِيَّهَا وَكَأَنَّهَا
مُسْرِبَةٌ فِي رَازِقِيٍّ مَعْضَدِ
وَتَنْفُضُ عَنْهَا غَيْبَ كُلِّ خَيْلَةٍ
وَتَخْشَى رُمَاةَ الْغَوَاثِ مِنْ كُلِّ مَرَّصِدِ
وَلَمْ تَدْرِ وَشَكَّ الْبَيْنَ حَتَّى رَأَتْهُمْ
وَقَدْ قَعَدُوا أَنْفَاقَهَا كُلَّ مَقْعَدِ
وَتَارُوا بِهَا مِنْ جَانِبَيْهَا كَلَيْبِهَا
وَجَالَتْ وَإِنْ يُجْشِمُنَهَا الشَّدَّ تَجْهَدِ
تَبْدُءُ الْأُلَى يَاتِينَهَا مِنْ وَرَائِهَا
وَإِنْ تَتَقَدَّمَهَا السَّوَابِقُ تُصْنَطِدِ
فَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهَا
رَأَتْ أَنَّهَا إِنْ تَنْظُرُ النَّبْلَ تُقْصِدِ

نَجَاءٌ مُّجِدُّ لَيْسَ فِيهِ وَتِرَةٌ

وَتَذْيِيبُهَا عَنْهَا بِأَسْحَمَ مِذْوَدٍ

وَجَدْتَ فَالِقَتْ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَهَا

غَبَارًا كَمَا فَارَتْ دَوَاخِنُ غُرِّ قَدٍ

بِمَلْتَمَاتٍ كَالْخِذَارِيفِ قَوْبَلَتْ

إِلَى جَوْشَنِ خَاطِي الطَّرِيقَةِ مُسْنَدٍ

فهى بقرة خنساء على خدها حمرة مشربة بسواد ، تنطلق فى الصحراء فرقة مذعورة ، تركت وليدها فى كناس ، فهى قلقة مضطربة ، تخشى عليه غوائل الانسان وسباع الصحراء • ويصف زهير قرنيها فهما سيفان ماضيان املسان ، ويصف اذنيها المرهفتين تتسمع بهما حركة العدو مخافة ان يفجأها فيصيب منها مقتلا ، وعيناها واسعتان سوداوان كأنهما كحلنا بأئمد ، تأمل بهما فى حذر شديد أماكن المخافة ومواطن الهلاك والخطر •

فى هذا القسم من القصيدة نظر زهير الى جانب اللون فى البقرة، فوصف لون خدها وعينيها وقرنيها واذنيها واعضاءها ، ثم ينتقل فى الجزء الثانى فيصف حال البقرة ، ولكى يظهر خلجاتها النفسية واضطرابها نراه يستعين بحركاتها ، الحركة الجسمية الظاهرة والحركة النفسية المصورة ، فهى مسافرة مسرعة فى عودتها ، مضطربة قلقة على ولدها من سباع الصحراء ، وقد راعها هول المشهد ، مشهد ابنها حين رأته أشلاء ومزقا مغفرة ، ودماؤه تصبغ الرمال بلونها

العاتك ، والطير حوله تحجل هنا وهناك ، ثم عادت تعدو فى هذه الصحراء الواسعة ، وهى كثيرة الحركة حركة عدوها السريع ، وحركة تلفتها ذات اليمين وذات الشمال ، وحركة عينها الزائقتين اللتين لا تستقران فى محجر او موق ، ذلك انها تتوقع المهالك وتوشك ان تصيها سهام الرماة من قبيلة الغوث الذين يقفون لها فى كل مرصد ، يرسلون اليها سهامهم ، ويجرون خلفها كلابهم ، تطاردها فى هذا الموضع او ذاك ، تسد عليها المسالك ، وهى مجدة فى عدوها تسبق الكلاب تارة ، وتسبقها الكلاب تارة اخرى ، ولا تنفك تذب عن نفسها بقرنها الماضين ، فطعن هذا وتوش ذاك ، وما زالت على هذه الحال حتى نجت من براثن الموت وأنياب المنية .

وانك لتعجب من هذا المشهد الذى ملأته الحركة ، حركة العدو والمطاردة ، وحركة العدو واضطراب الاعضاء ، وحركة الكلاب المسعورة ، وحركة قوائم البقرة السريعة الرشيقة المتناسقة وخفتها فهى كخذاريف الصبيان التى تذكرنا بخذروف الوليد عند امرىء القيس (١)، وفى هذا المشهد يعود الشاعر مرة أخرى الى اللون ، فيصف لون البقرة الابيض الناصع ، وقوائمها المخططة التى تشبه ثوبا جميلا ، ولون قرنها الاسود ، والقيار الذى تثيره البقرة وخلفها كلاب الصيد كأنه دخان نار شجر الغرقد •

واذا رحنا نرصد جانب اللون فى الشعر الجاهلى ، نجد كثرة من الالوان ، فهم حين يصفون يلونون أو صافهم ويثبتون أشكالها ، وصفوا اسلحتهم وذكروا الوانها : فالسيف ابيض كالملح، والرمح أسمر ، وكذلك الترس ، والسهم ازرق ، وكذلك النصل ، والقصح أحمر ، والقوس صفراء تارة وحمراء اخرى •

(١) ديوانه ص ٢١ •

اما الحيوان فقد افتنوا فى اوصافه والوانه ، فالابل دهم ، والحيل شقر او حو او كمت ، والحمار اسود ، والثور ابيض ناصع البياض ، واكارعه سود ، وعين البقرة سوداء حوراء كأنها مكحولة بأثمد ، والضباع سود والفزلان غفر •

أما الدم فهو حالك عاتك ، وجلود اعدائهم حمراء كالدم ، ووجوههم مشرقة كالذهب ، ووجوه اعدائهم سود سفعاء ، وكذلك قدورهم التى يحيط بها الغرثى من المرملين المعوزين ، والنبت اخضر فى الربيع ، والديار غبر ، والاثافى سفح ، والاوارى سود ، والبعر أسود كحب الفلفل •

ومن تمام الصورة عناية الجاهلين بالمواضع والمنازل والديار ، مخاطبتهم ومناجاتها وتحديد اماكنها وتكرار ذكرها ونسبة بعضها الى بعض ، من واد وجبل وعين ماء ونجد وسهل ، وهذه الظاهرة لها دلالتها النفسية ، فالمنازل اوطان الشعراء وديارهم ، فيها ذكرياتهم ومعاهد صباهم ومساكن أحبهم وميادين حروبهم ، وما لهم فيها من غارات منتصرة أو جولات خائبة ، فهم يذكرونها بقلوب واجفة ودموع منهمة •

وليس ذكر المنازل والحنين اليها تقليدا ساروا عليه - كما نعهد ذلك فى الشعر العباسى الذى تابع الجاهلين بعد تغير الحال وتبدل الاوطان - بل كان تعبيرا عن عواطف صادقة وذكريات عزيزة ، فهم حين يمرون على الديار يقفون وقفة ذكرى عند خرائبها القديمة بعد ان خلت من أحبهم ، ويلتمسون العبرة من أفاعيل الزمان واحداث الليالى ، فهز هذه المواضع عواطفهم وتستثير اشواقهم •

ولم يكن ذكر المنازل والديار مقتصرا على شاعر دون غيره ، او طائفة منهم دون اخرى ، بل كان أمرا شائعا عند أكثر الشعراء ، يفتتحون بها

قصائدهم الكبيرة المطولة خاصة ، فهذا لييد يتبع في معلقته مواضع حبيته نوار ،
ويبين منازلها ، ويحدد أماكن حلولها أو مرورها ، وهو يستمتع بذكر هذه
المواضع ويلتذ حين يسميها أو يشير إليها ، فيقول : (١)

مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ

أَهْلَ الْحِجَازِ فَإِنَّ مِنْكَ مَرَامَهَا

بِمَشَارِقِ الْجَبَلِينَ أَوْ بِمَحَجَّرِ

فَتَضَمَّتْهَا فَرْدَةٌ فَرُّخَامَهَا

فَصَوَاتِقُ إِنْ أَيْمَنْتُ فُظُنَّةٌ

فِيهَا وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طَلْحَامَهَا

ولا يكاد القارىء يمضى فى قراءة هذه الابيات حتى تفجأ هذه المواضع
الكثيرة التى يثرها فى القصيدة نثرا ، كأنه يستمتع بذكرها ويأنس بتسميتها ،
وينحو لييد فى كثير من قصائده هذا المنحى . وكذلك فعل عنتره فى معلقته ،
فقد أكثر من ذكر المنازل وبالغ فى تحديدها وتبيين مواضعها ، وبخاصة منازل
عبله ، فهو يقول : (٢)

(١) ديوان لييد ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٢) ديوان عنتره ص ١٨٣ و ١٨٧ .

يا دارَ عبلةَ بالجِواءِ تكلمي
وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي

ويذكر ديارها وديار أهله :

وتحلُّ عبلةُ بالجِواءِ وأهلنا
بالحزنِ فالصمانِ فالمتشم

ويقول كذلك :

كيف المزارُ وقد ترَبَّعَ أهلها
بعُنيزِ تينٍ وأهلنا بالغَيْلِمِ

ويعنى الحارث بن حلزة كذلك بالمواضع ، ولكنه لا يحدد جهاتها
مثل لبيد وعنترة ، فهو يقول في ديار أسماء : (٣)

بعدَ عهدِ لنا بيرةً شَمَّما
فادنى ديارها الخَلِصاءُ

(٣) شرح المعلقات السبع ص ١٥٥ .

فالمُحَيَّاةُ فالصَّفاحُ فأعلى

ذى فتاقٍ فعاذبٌ فالوفاءُ

فرياضُ القَطَا فاوديةُ الشرِّ

بِبِ فالشعبَتانِ فالأبلاءُ

ولم يتخلف امرؤ القيس عن هؤلاء فوقف يبكى على منزل حبيته بسقط اللوى بين الدخول فحومل وكذلك توضح والمقراة التى لم يعف رسمها (٤) ، وظهرت الديار أقل وضوحا عند زهير الذى ذكر دمنة حبيته أم أوفى التى بحومانة الدراج فالمتلم وكذلك ديارها بالرقمتين (٥) ، أما عمرو بن كلثوم فيتذكر ايامه التى شرب فيها ببعلبك ودمشق وقاصرين (٦) ، واكتفى طرفة بأن عين أطلال خولة ببرقة نهدم (٧) .

وقد ذكروا هذه الديار التى تشوقوا اليها وذرّفوا الدمع عندها ، مقرونة بذكر النساء الحبيبات حين يصفونهن ظاعنات ويتابعون حملهن بأبصارهم ، ويسايرونها بخيالهم ، ويعينون المواضع التى تمر بها أو تحل فيها ، ثم يصفون ديارهن وهى خالية خاوية غدت مسرحا للوحش من الحيوان .

وكان التأمل فى الديار يدعوهم الى ذكر آياتها من النوى والائافى والشمام وما هطل فيها من مطر أو مرت عليها من ضروب الرياح . وكان

(٤) ديوان امرئ القيس ص ٢٨ .

(٥) ديوان زهير ص ٤ - ٥ .

(٦) شرح المعلقات السبع ص ١١٩ .

(٧) المصدر السابق ص ٤٥ .

وصف الديار وما يتعلق بها جزءاً من الصورة به تستكمل جوانبها ويتم ابعادها، فالديار من أبرز مظاهر الصورة الجاهلية .

وكان الشاعر الجاهلي يستعين بضروب من المجاز والمحسنات المعنوية ، التي تأتي دون تكلف أو افتعال ، لاطهار الصورة بأجمل حلة وأزهى أسلوب ، فهو يعنى باستقصاء القول في الوصف واستغراق التشبيه واستيفاء الصورة البيانية استيفاء يتناول دقائقها وتفصيلها . وكانت هذه الصور والتشبيهات - بطبيعتها - مستمدة من الواقع ، من طبيعة الحياة ، وكان لشدة احساس الشاعر بالجمال أن صار يجمل الصورة ويخرجها بهيئة رائعة رائعة ، من ذلك أن امرأ القيس يستمد من حياته وما فيها من سهام الميسر وسهام الصيد ، ليكون هذه الصورة البديعة : (١)

وماذرفت عيناكِ الا لتقدحي

بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مقتلٍ

واستمد عنتره صورة حية من الروض فيه الذباب الفرد ، كشارب سكر فترنم ، وقد لاحظ حركة ذراعيه فتذكر صورة المكب على الزناد الذي لا يورى فهو يعالجه باهتمام : (٢)

فترى الذُّبابَ بها يغنى وحدهُ

هَزَجاً كَفَعَلَ الشَّارِبِ المِتْرُثْمِ

(١) ديوانه ص ١٣ .

(٢) ديوانه ص ١٩٧ - ١٩٨ .

غَرْدًا يَسْنُ ذَارِعَهُ بِذِرَاعِهِ

فَعَلَ الْمَكِبُّ عَلَى الزِّنَادِ الْأَجْذَمِ

وقد كان امرؤ القيس أول من فتح أساليب البيان وافتن في عرض الصور
وأكثر من التشبهات ، فهو يرسل تشبيهاته متتالية على شاكلة قوله في وصف
جبل ثبير حين يهطل عليه المطر : (٣)

كَانَ ثُبَيْرًا فِي عَرَايِنِ وَبَيْلِهِ

كَبِيرٌ أَنَسٍ فِي بِيحَادٍ مَزْمَلٍ

كَانَ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيِّمِ غُدْوَةً

مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ فَلَكَ مَغْزَلٍ

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْعَبِيْطِ بَعَاغَهُ

نَزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمَحْمَلِّ

كَأَنَّ مُكَائِمِي الْجِيَّوَاءِ غُدْيَةً

صَبْحَنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مَفْلَقِ

(٣) شرح المعلقات السبع ص ٤٠ - ٤١ وانظر ديوانه ص ٢٥ - ٢٦ وفي روايته خلاف .

كان السباع فيه غرقى عشيةً

بارجائه القصى أنابيشُ عُصْلٍ

يشبه امرؤ القيس نيرا حين أحاط به السيل وتوالى عليه المطر ، بكبير قوم قد تزلزل في ثياب مخططة ثم تناول صورة أخرى فشبه رأس جبل المجيمر وقد غمره السيل وفيه الغناء والنبات بفلكة المغزل ، وصورة أخرى ، هي صورة طيور المكاكى وقد فرحت بالحصب وغردت مسرورة كأنها نشوان أسكره سلاف الحمر المفلفل ، ثم تناول صورة السباع وقد أغرق السيل آجامها وغرقت في لججه فبدت رؤوسها كأنها البصل البرى الذى قد نبش .

وصور امرئ القيس هذه صور منفصلة متتابعة موجزة ، كل صورة تستقل بذاتها ، فهى من الصور القديمة الاولى التى لم تتطور بعد فتصبح كصور زهير أو صور النابغة الذى يجيد فى وصف المتجرده ، ويعمل خياله فيصوغ آيات من الجمال فى صور زاهية تروق السمع والعين فى آن واحد ، وقد حشد هذه الصور فى موضوع واحد هو وصف هذه الغانية الفاتنة ، فراح يلتمس لها أسباب الجمال فى حسنها وحركتها وجمال خلقها : (٤)

قامت تراءى بين سجنفى كلة

كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

سقط النصف ولم ترد اسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

(٤) ديوانه ص ٣٤ - ٣٧ .

بمخضَّبٍ رَخِصٍ كَانَ بِنَانَهُ

عَنَّمْ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ

وَبِفَاحِمِ رَجُلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ

كَالكَرْمِ مَا لَ عَلَى الدَّعَامِ الْمُسْنَدِ

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا

نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ

فَبَدَتْ تَرَائِبُ شَادِنٍ مَتْرَبِّبِ

أَحْوَى أَحْمَمِ الْمُقْلَتَيْنِ مَقْلَدِ

أَخَذَ الْعِذَارَى عَقْدَهَا فَنَظَمْنَهُ

مَنْ لَوْلُوهُ مَتَّابِعٍ مَتَسَرِّدِ

تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيْكَةِ

بَرَادَا أَسْفَ لَشَاتُهُ بِالْأَمْدِ

كَالْأَقْحَوَانِ غِدَاةَ غِبِّ سَمَانِهِ

جَفَّتْ أَعْمَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

فقد وفق النابغة في اظهار بهاء المتجرده وحسنها بتشبيها بالشمس يوم
طلوعها بالاسعد وهو برج الحمل ، حيث تكون الشمس بين غلائل من السحب
الشفافة ، فتبدو في أزهى صورة وأجمل منظر ، وكذلك المتجرده حين تظهر
بين سجفى الستر ، ثم يشبهها بالدره تتألق بين صدفين ، أو دمية من مرمر
أبيض ناعم ، ويتناول وصف ثناياها البيض البراقة ولثاتها الحمراء العاتكة ،
كالاقحوانه بللها الندى ، وهكذا يرسم الشاعر الصورة بما يهيبها لها من أسباب
التشبيه بصورة أخرى ، تظهر للقارىء جمالا من مقارنة الصورتين وابرار
الحسنين .

وإذا جئنا الى زهير ، نجده يعرض الصورة ثم لا يتركها حتى يستكمل
جوانبها ، يلح عليها ويفصل فى انحاءها ويستوفى جوانب الحسن فيها ، تلمس
ذلك فى وصفه لامرأة يقول فيها : (١)

تنازعها المها شَبَّها ودُرٌّ

النُحور وشا كَهتُ فيها الظباءُ

فأما ما فويقَ العِقدِ منها

فمن أدماءَ مر تَعُها الخِلاءُ

وأما المُقلتانِ فمن مَهابةِ

وللدُرِّ المِلاحَةِ والنَّقاءِ

(١) ديوانه ص ٦١ - ٦٢ .

فهو من البيت الاول يعقد الصلة بين جمال صاحبه وبين جمال بقر
الوحش والدر والظباء ، يقدم صورة مجملة ثم يبدأ بعد ذلك بتفصيلها واستيفاء
محاسنها في البيتين الاخرين •

واذا وصلنا لبدا في نهاية العصر الجاهلي ، نجد صورته انيقة شديدة
العناية كثيرة الاتقان ، ترى ذلك جليا في هذه الابيات التي يصف فيها ثورا
تطارده كلاب صياد ضامر البطن كالذئب ، والثور يقاتل كلاب الصيد ، قتال
القائد الذي يحمي صحابه ، فهو يطعن بقرنيه المديبين كأنهما أسنة قاطعة ، حتى
تنجلي المعركة عن صرعى مضرجة بالدماء كأنها أوعية مملوءة دما ، والدم
يتفصد من جوانبها : (٢)

فَعَدَا عَلَى حَذَرٍ مَوْرَثُ عَدَّةٍ

يَهْتَزُّ فَوْقَ جَبِينِهِ رُمَحَانٍ

حَتَّى أَشِبَّ لَهُ ضِرَاءُ مُكَلَّبٍ

يَسْعَى بَيْنَ أَقْبِ كَالسَّرْحَانِ

فَحَمَى مَقَاتِلَهُ وَزَادَ بَرَوَقَهُ

حَمَى الْمَحَارِبِ عَوْرَةَ الصُّحْبَانِ

شَزْرًا عَلَى نَبْضِ الْقُلُوبِ وَمُقَدِّمًا

فَكَأَنَّمَا يَخْتَلُّهَا بَسَنَانِ

حتى انجلتُ عنه عَمَايَةٌ نَفَرُهُ

فَكَأَنَّ صَرَاعَهَا ظُرُوفٌ دِنَانٍ

هذه الصور جميعها كان عمادها التشبيه ، وجمال التشبيه انه يعرض صورتين يربطهما التماثل ، ويزداد جمال التشبيه اذا كانت الصورتان نادرتين ، يتطلب استحضارهما خيال بارع وذهن خصب ، وهذه الصور - التي مرت - في جملتها بسيطة غير مركبة ، سهلة غير معقدة ، ذلك لانها اتخذت التشبيه وسيلة ، والمقارنة بين صورتين سبيلا .

وهناك صور أخرى أكثر دقة وأبعد خيالا وألصق بالفن والشاعرية ، تلك الصور التي عمادها الاستعارة والكناية ، واذا كان التشبيه يمثل طور البداية وهو أول مراحل التصوير ، فان الاستعارة تمثل مرحلة النضج والدقة الفنية وقوة التصور ، والخيال البعيد ، ولذلك فلا تنهياً الاستعارة الجيدة لكل الشعاعين أو القائلين . ويقال (١) إن أول استعارة جاءت في الشعر الجاهلي قول امرئ القيس : (٢)

وليلٍ كموج البحرِ أرخى سدوله

على بأنواع الهمومِ ليبتلِي

فقلت له لما تمطى بجوزِه

وأردفَ أعجازاً وناءً بكلِكلِ

(١) العمدة ٢٧٦/١

(٢) ديوانه ص ١٨

والصور التي تعتمد الاستعارة أسلوباً تدل على رقة في الاحساس وشعور
بالجمال والحياة ، ويكفى أن ننظر في هذه الصور لنجد مدى احساس الجاهليين
بالجمال وقوة خيالهم وخصب قرائحهم ، وهي صور ثلاثم الفطرة السليمة
والنفس الصافية ، يقول تأبط شرا واصفا قوة صاحبه : (٣)

اذا هزّه في عَظْمِ قِرْنٍ تَهَلَّلَتْ

نواجِذُ أَفْوَهِ الْمَنَايَا الضَّوْاحِكِ

فقد جعل النواجذ تتهلل وتلمع لمعان البرق في فم المنايا التي تضحك
كأنها انسان فرح مسرور . ويقول زهير مصورا حبه : (٤)

صحا القلبُ عن سلمي وأقصرَ باطله

وُعُرِّيَ أفراسُ الصِّبَا ورواحله

وهي صورة نادرة غريبة ، اذ جعل أسباب حبه لصاحبه أفراسا ورواحل
يمتطيها الى صاحبه وقد عريت الان فذهب الحب وصحا قلبه وأقصر عن باطله ،
أما ليبد فيتحدث عن كرمه وقت الجذب والبرد ، وكيف دفع عن الجياع هذه
الشدّة : (٥)

-
- (٣) شرح الحماسة - المرزوقى ٩٨/١ .
(٤) ديوانه ص ١٢٤ .
(٥) ديوانه ص ٣١٥ .

وَعْدَاةٌ رِيحٌ قَدْ وَزَعَتْ وَوَقْرَةٌ

إِذَا صَبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زَمَامُهَا

فانظر الى هذا التخييل وكيف جعل للعداة زماما وللشمال يدا تتحكم في
زمام العداة ، ويقف عند منظر غروب الشمس وحلول الظلام فيقول : (٦)

حتى إذا أَلَقْتَ يَدَا فِي كَافِرٍ

وَأَجْنٌ عَوْرَاتِ الشُّغُورِ ظَلَامُهَا

فقد أَلَقْتَ الشمس يدها في يد الليل وهو الذي سماه كافرا أى ساترا •
وصور لييد التي تقوم على الاستعارة كثيرة ، وهى من النوع الذى يسميه
البلاغيون بالاستعارة (المكنية) ، وهى أعز مطلباً وأبعد منالاً من (التصريحية) ،
وسر الجمال فيها هذا الخيال البعيد الذى لا يتأتى الا للشعراء القادرين المبدعين •

ونجد كذلك استعارات جميلة عند فريق آخر من الشعراء مثل أوس

بن حجر فى قوله : (٧)

وانى امرؤٌ اعددتُ للحرب بعدما

رأيتُ لها ناباً من الشرِّ أعصلاً

(٦) ديوانه ص ٣١٦ •

(٧) ديوانه ص ٨٣ •

وعند طفيل الغنوى فى وصف ناقته : (٨)

وجعلتُ كُورى فوقَ ناجيةٍ

يقتاتُ شحمَ سنامها الرحلُ

وقول النابغة فى الليل : (٩)

وصدرِ أراحَ الليلُ عازبَ همِّهِ

تضاعف فيه الحزنُ من كل جانبِ

تقاعس حتى قلت ليس بمنقضِ

وليس الذي يرعى النجومَ بأيبِ

وكما عبروا عن الصور الجميلة بالاستعارة ، فقد عبروا عنها بالكناية ، وهى أسلوب من التعبير يعتمد على ايجاز العبارة أو ادماج اجزائها ، واجادة التعبير بالكناية تدل على براعة الشاعر فى صياغة معانيه بأسلوب رفيع وعبارة موجزة دالة موحية ، فيها ضرب من الجمال لا يتأتى اظهاره بدونها ، يقول النابغة فى رفاية الغساسنة وعقثهم : (١)

(٩) ديوانه ص ٥٤ — ٥٥ .

(١) ديوانه ص ٦٣ .

رَقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ
يُحَيِّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَابِ

ويقول لبيد في ذكر الموت : (٢)

وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
دُوبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

ويعبر عن كثرة فرسان قومه بنى جعفر فيقول : (٣)

وَلَقَدْ أَرَانِي تَارَةً مِنْ جَعْفَرٍ
فِي مِثْلِ غَيْثِ الْوَابِلِ الْمُتَحَلِّبِ

أما صورة الاعشى ففيها دقة وابداع ، يقول في سرعة ناقته عند
الظهيرة : (٤)

بِجَلَالَةِ سُرْحٍ كَأَنَّ بَعْرَازَهَا
هَرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِيَّيْ ظِلَالَهَا

(٢) ديوانه ص ٢٥٦ .

(٣) ديوانه ص ١٥٧ .

(٤) ديوانه ص ٢٣ .

وهكذا نجد الشعراء الجاهليين لم يتركوا جانباً من جوانب التعبير الفني والتصوير البديع إلا طرّقوه وأفادوا منه ، سواء كان ذلك باستعمالهم وسائل التحسين البيانية المعنوية ، أو المحسنات البديعية اللفظية وكلها تدعم الصورة وتملاء جوانبها حسناً وجمالاً .

* *

بنية القصيدة :

فى الشعر الجاهلى ضربان من القصائد ، الضرب الاول قصائد طويلة كاملة ، تعالج - فى غالبها - أكثر من موضوع واحد ، أى ان فيها مجموعة تجارب مجزأة الى مراحل وموضوعات ، مرتبطة أحيانا ومفككة فى أحيان أخرى ، ولذلك أسبابه وعلاته ، وهذا الضرب من الشعر هو الذى اعتنت به الدراسات قديما وحديثا ، ويتمثل فى القصائد الطويلة المشهورة وأهمها المعلقات •

أما الضرب الثانى من الشعر الجاهلى فهو القصائد القصار والمقطعات ، وفيها نجد التجارب الشعورية الكاملة والصور الصادقة للحياة الجاهلية ، وأصداء أمينة لحفقات قلب الشاعر وترجمانا لعواطفه وأحاسيسه ، ذلك لانها قصائد أصيلة لم تصدر عن صناعة أو تكلف ، وتمثل فى هذه القصائد وحدة الموضوع والتجربة الشعورية الصادقة على ما فيها من سرعة وإيجاز • وعلى هذا فالحديث عن بناء القصيدة ومراحل تكوينها لا ينصرف الا الى القصائد الطوال ، هذه القصائد التى تتعدد فيها الموضوعات وتسير على نظام معين ونسق موروث سنه القدماء منذ عهد متقدم فى الجاهلية ، وتبعه المتأخرون فى صدر الاسلام وسار

علني نهجهم كثير من شعراء العصر الاموي والعباسي على تفاوت في مقدار
التبعية والالتزام .

ولم تك موضوعات القصيدة أو اجزاؤها مرتجلة على غير نظام ، بل
يمهد الشاعر للموضوع الذي يختاره ، فيجعل له مقدمة طلية ، ينتقل بعدها
وبعلاقة من تداعى الخواطر الى ذكر أهل هذه الاطلاع ، وتذكر أيام الصبا
والهوى ، ثم يفخر أمام حبيته ببطولته وكثرة وقائعه وشدة بلائه ، ويتداخل
فخره بنفسه بفخره بقبيلته ، لانه واحد منها ومجده من أمجادها ، ومن مفاخر
نفسه تجشمه الاهوال وسعيه في سبيل المجد ، وكثرة ترحاله وطول أسفاره
وفى هذه الاسفار يصحب الحيوان وبخاصة الناقة ، فحديثه عن الناقة جزء من
رحلته ، وفى الرحلة مشاهد كثيرة من طبيعة قاسية فى ليل مظلم وصحراء
لافحة ومطر هطال ، وفى هذه اللوحة من الطبيعة مسارح للحيوان ومعارك لها
مع الصائدين ، فيصرف الذهن الى قصة هذه الحيوانات وما تتعرض له من
مخاطر وبخاصة مخاطر الصياد وكلابه ، فهناك اذا صراع بين الطبيعة وسكانها
من انسان وحيوان ، ووصف هذا الصراع وتلك المعارك هو وصف للبطولة
وتعبير عن ذات الشاعر ممثلا فى انتصار الثور أو فوز الحمار بأتانه وانفراده
بها بعيدا عن أعين الرقباء وتربص الصيادين ، وقد تكون هذه أو تلك أماني
الشاعر فى أن ينتصر أو يخلو بحبيته ، يعبرها هذا الحيوان أو ذاك ، وبعد أن
يشبع الشاعر حاسته الفنية من رسم هذه اللوحات المتحركة ، والقصص الممتع ،
يعود الى ذاته ويستيقظ من احلامه فيجدد القول فى عرض آخر يريد به أو
يتعرض له من حيث لا يقصد ولا يتعمد ، وغالبا ما يلخص بعد ذلك تجاربه فى
حكم شاردة وتأمل فى هذه الدنيا وغاية الانسان فيها ومصيره وخبر من باد من
الناس أو هلك من الغابرين ، هذا هو نظام القصيدة فى عمومها ، ولكل جزء
من أجزاء القصيدة نظام خاص وعرف - عند الشعراء - متبع ، فلنقف عند كل
جزء ، لعلنا نرى فيه رأيا .

المطلع :

لقد انصرفت عناية الشعراء منذ القديم الى الاهتمام بمطالع قصائدهم ، لانها أول ما تفاجأ السامع فلا بد أن يكون لها وقع حسن ، ولذلك فقد حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القسوة والجزالة (١) ، وقد لاحظوا كذلك التناسب بين الشطر والعجز وترابط المعنى بينهما ، وكذلك لاحظوا مناسبة المطلع لموضوع القصيدة ، فاذا كان المقام مقام حزن كان الاولي بالمطلع أن ينبئ بذلك من أول بيت ، واذا كان المقام مقام تهنئة أو مديح كرهوا الابتداء بما يتشاءم به ، ولعلك تذكر قول جرير في مديح عبد الملك بن مروان : (٢) أتصحو أم فؤادك غير صاح ...

فقال له عبد الملك : « بل فؤادك يا ابن الفاعلة » فقد ساء هذا المطلع ، مع ان عبد الملك يعلم ان الشاعر يخاطب نفسه ، وكذلك وقع ذو الرمة فيما وقع فيه جرير ، حين دخل على عبد الملك وأنشده قوله : (٣)

ما بال عينك منها الماء ينسكب ...

« وكانت بعين عبد الملك ريشة وهي تدمع أبدا ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به ، فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ، فمنعه وأمر باخراجه ، وكذلك كان أمر ابى النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك حين أنشده ارجوزته : (٤)

-
- (١) العمدة ٢١٨/١ .
(٢) و (٣) العمدة ٢٢٢/١ .
(٤) المصدر السابق والصفحة .

والشمس قد كادت ولما تفعل

كأنها في الأفق عينُ الأحولِ

وكان هشامُ أحول ، فأمر به فحجب عنه مدة • وأسوأ من هذا وذاك
قول أبي مقاتل في المديح : (٥)

لا تقل بشري ولكن بشريان

غرةُ الداعي ويومُ المهرجات

فأخذ عليه ذلك وأوجع ضرباً ، وقيل له لو قلت : « ان تقل بشري فضدي
بشريان » • وقد مدحوا المطالع التي تناسب الحال والمقام ، كقول أوس بن حجر
في ابتداء مرثيته : (٦)

أيتها النفس اجلي جزعا

ان الذي تحذرين قد وقعا

وكذلك قول النابغة الذبياني الذي صور خوفه من النعمان وخوالجه
النفسية في قصيدة الاعتذار فبدأها بقوله : (٧)

-
- (٥) الصناعتين ص ٤٣٢ •
(٦) الصناعتين ص ٤٣٣ وديوانه ص ٥٣ •
(٧) الصناعتين ٤٣٣ وديوان النابغة ص ٥٤ •

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وإذا جئنا إلى القصائد الطويلة التي هيأ الشاعر لها كل أسباب فنه ومواهبه، نجدها تبدأ بالديار والوقوف على الاطلاع وبكائها والتأمل فيها، فالديار هي ديار الحبيبة، ديار الذكريات، فهي قطعة من الماضي العزيز الذي يثير في نفسه الشوق والحنين، وهذا هو أسلوب المعلقات في الاستهلال، فامرؤ القيس يقف على الديار ويستوقف: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) وكذلك فعل طرفة حين وصف أطلال خولة: (خولة أطلال بركة نهد) وتبعهما ليلى في وصف الديار: (عفت الديار محلها فمقامها) وزهير يتحدث عن دمن أم أوفى: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) وعنترة يتعرف على الديار بعد طول توهم: (هل غادر الشعراء من متردم) والحارث بن حلزة يعدد مواقع أسماء ويحدها: (آذنتنا بينها أسماء)، ولم يشذ عن هذه السنة من أصحاب المعلقات إلا عمرو بن كلثوم فقد كان مندفعاً إلى الكأس وشربها ليهيء نفسه لعتاب عمرو بن هند فبدأها بقوله: (ألا هبي بصحنك فاصبحنا) •

هذا هو الأسلوب العام في ابتداء المطولات، البدء بالديار وحديثها وذكرياتها، ولكن هذا لا يعني أن كل الشعر الجاهلي كان يفتتح بذكر الديار، فكما شذت معلقة عمرو بن كلثوم، فقد نشزت قصائد كثيرة عن هذا الأسلوب، فمن الشعراء من استبدل الديار بالغزل والحديث عن النفس كما فعل زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي يمدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري: (١)

(١) ديوان زهير ص ١٢٤ •

صحبا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلهُ

وعرِّيَ أفراسُ الصِّبَا ورواحِلُهُ

وأقصرتُ عما تعلمينِ وسُدِّدَتُ

علِّيَّ سوى قصدِ السبيلِ معادِلُهُ

• نم يمضى فى وصف الطبيعة والصيد حتى يصل الى قصده من المديح .
ولعل زهيرا كان يتابع فى قصيدته هذه أستاذه أوس بن حجر فى مطلعته وفى
مراجعة نفسه : (٢)

صحبا قلبه عن سُكرةٍ فتأملا

وكان بذكري أمِّ عمروٍ موكلًا

وكان له الحَينُ المتاحَ حَمولَةً

وكلُّ امرئٍ رهنٌ بما قد تحملاً

وعلى هذه الشاكلة من الخروج على قاعدة البدء بالديار شعر الصعاليك فى
أكثره ، فهو يستعيز عن الديار بمحاورة النساء اللواتى يشفقن عليهم من
خوض الغمرات والوقوع فى المهالك ، على شاكلة قول عمرو بن براقه
لصاحبه سليمان : (٣)

(٢) ديوان أوس بن حجر ص ٨٢ .

(٣) الامالى ١١٩/٢ وانظر شعر الصعاليك ص ٢٦٧ .

تقول سُليمة لا تعرّض لتلفه

وليلك عن ليل الصعاليك نائمٌ

وكيف ينامُ الليلَ من جُلِّ ما له

حسامٌ كلونِ المِلمحِ أبيضٌ صارمٌ

وكذلك يخاطب عروة بن الورد امرأته سلمى ابنة منذر بأن تدعه وشأنه

في حياة الصعلكة جريئاً غازياً يبيع نفسه لموت شريف : (٤)

أقلِّى على اللومِ يا ابنةَ منذرِ

ونامي فإن لم تشتهي النومَ فاسهري

ذريني ونفسي أمَّ حسانِ إنني

بها قبلَ أن لا أملك البيعَ مشتري

أحاديثُ تبقى والفتى غيرُ خالدِ

إذا هو أمسى هامةً تحتَ صيرِ

والذي بين أيدينا من مطولات الشعر الجاهلي تدور مطالعها حول الديار ،

وإذا اضربت عن ذكر الديار ، فإلى ذكر المرأة والتشبيب بها ، وأحاديث النفس

(٤) الاصمعيات ص ٤٣ .

حولها ، ونريد أن نتلمس أسباب ذلك • حقا ان بعض القصائد لم تذكر الديار ولا المرأة ، وبخاصة القصائد القصار والمقطوعات ، وهذه لا يقاس عليها ، لانها تجربة شعورية محدودة ، ولكن طوال القصائد تتناول هذين الموضوعين : المرأة والديار ، والديار ديار المرأة ، وذكر المرأة فى موطن الذكريات وهى الديار •

أما القدامى فلدبهم رأيان ، الاول نقله ابن قتيبة عن بعض أهل الادب ولم يظلمه قال : « سمعت بعض أهل الادب يذكر أن مقصد القصيد انما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والاثار ، فبكى وشكا وخاطب الربيع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها ، اذ كانت نازلة العمد (١) ، فى الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لان تقالهم عن ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلاء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصباة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ليستدعى به اصفاء الاسماع اليه لان التشبيب قريب من النفوس لائظ بالقلوب لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام ، فاذا علم أنه قد استوثق من الاصفاء اليه والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق فرحل فى شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وانضاء الراحلة والبعر ، فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأمل وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح ، وفضله على الاشباه وصغر فى قدره الجزيل » (٢) •

(١) نازلة العمد : يريد البدو من عمود الخباء ، ونازلة المدر : أى الحضير

سكان القرى والمدر التراب والطين •

(٢) الشعر والشعراء ص ٧٤ - ٧٥ •

ورأى ابن قتيبة هذا يصدق في شعر المديح والتكسب حيث يقدم الشاعر بين يدي ممدوحه هذه المقدمات ، ويصف ما لاقاه من مكاره وما تجشم من ضباب في سبيل الوصول اليه ، وقد يصح هذا في عصر صار الشعر فيه وسيلة للارتزاق وبخاصة في العصر الاموي وفي بيئات الشام والعراق ، أما شعر العصر الجاهلي ، فلا أظن أن فيه من الذين سألوا في الشعر أو مدحوا تكسبا ، غير الخطيئة والاعشى - وأحاشى النابغة على ما يظن به فقد كان مديحه للملوك سياسيا في سبيل قومه - ولا أظن أن القصائد الطويلة التي قيلت وفيها ما فيها من مقدمات طليية وغزلية تتصل في أكثرها بالمديح ، بل كانت فخرا وهجاء ووصفا وعتابا واعتذارا ، وحتى المديح الجاهلي فانه كان مديحا للقبيلة وهو ضرب من الفخر ، وما كانت غاية الشاعر أن يهز السامعين للسماح والعتاء ، بل ما كان هم الشاعر أن يرضى السامعين بقدر ما كان همه التعبير عن خلجات نفسه وتصوير عواطفه واحساساته ، ورأى ابن قتيبة يجرد الشاعر من عفويته وأصالته واحساساته وصدقه في ذكرياته وحنينه وجهه ، ويمسخ هذا الشعر الاصيل الى شعر تكلف وصناعة بعيدين عن الطبع الاصيل . ولعل ابن رشيق في هذا أقرب الى طبيعة الشاعر الجاهلي وحقيقة شعره ، فقد قال : « وسئل ذو الرمة ، كيف تعمل اذا انقلد دونك الشعر ؟ فقال : كيف يقفل دوني وعندى مفاتيحه . . . الحلوة بذكر الاحباب » ويعلق ابن رشيق بقوله : « فهذا لانه عاشق ولعمري انه اذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ووضع رجله في الركاب ، على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء ، وانما كان واصف اطلال ونادب أظعان ، وهو الذي أخرج من طبقة الفحول » (٣) . ان رأى ابن رشيق هذا في ذي الرمة فيه خير رد على ابن قتيبة ، لان ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء ، فغزله كان تنشيطا لنفسه واستجابة لنوازعه النفسية وقدحا للملكة الفنية المبدعة ، وكذلك كان شأن هذه

ان هذه المقدمات الطللية او الغزلية (١) تمثل جزءا من حياة الجاهلي ، وهو حين يقف عندها يستحضر ذكرياته ويعود لايامه وصباه ، فتثير في نفسه الوانا من الاسى والشجو والحنين ، فيندفع في مناجاة هذه الديار ومخاطبتها ووصف آثارها وتصور ما كان فيها ، فهو في الحقيقة يعبر عن احساسات صادقة وعواطف صحيحة تملأ شعاب نفسه ، والديار بالنسبة للجاهلي تمثل الوطن المهجور والاهل والصحب والاحبة ، فهي ليست في اساسها تقليدا كما صارت عند المتأخرين من امويين وعباسيين ، بل هي حياة عاشها وذكريات عزيزة عليه ، فشعره فيها صادق العاطفة ينبع من فيض دافق من المشاعر والاشواق تكاد تمتزج امتزاجا بهذه الديار ، ان الشاعر حين يقف في الديار المهجورة تفيض نفسه بشتى العواطف ويمتلئ صدره بخلاجات من المشاعر المبهمة وتغرورق عيناه بالدموع ، لما تثيره في نفسه من ذكريات ، تكاد تلمس هذا في مطلع بشامة ابن الغدير حيث يقول : (٢)

لمن الديارُ عَفَوْنَ بِالْجَزَعِ

بِالدَّوْمِ بَيْنَ بُحَارِ فَالشَّرْعِ

درست وقد بقيت على حجاج

بعد الأنيس عفونها سبع

(١) انظر هنا تطور الغزل - شكري فيصل ص ٢٩ - ٦٣ شعر الوقوف
على الاطلاق عزة حسن ص ٥ - ١٥ .
(٢) المفضليات ص ٤٠٧ .

الابقايا خيمة درست

دارت قواعدها على الربع

فوقفت في دار الجميع وقد

جالت شؤون الرأس بالدمع

كعروض فياض على فلج

تجري جداوله على الزرع

فوقفت فيها كى أساندها

غوج اللبان كمطرَقِ النبع

أما المطالع الغزلية ففيها احساس دقيق بالجمال وتذوق لمحاسن المرأة ،
والقارىء لمشاهد الارتحال والفراق ، يشعر بهزة من شوق ورهبة وحين لهذا
الفراق ، وحين تذكر المرأة وتوصف محاسنها نجد في هذا الشعر اقبالا على
الحياة وامتزاجا بها وتعلقا بمباهجها ، وقرأ في معلقة الاعشى على ما فى الاعشى
من وقار وتعقل ، فانك تلمح فى مقدمته الغزلية جمالا وبهجة وصورة فيها
حياة وحركة وصدق وعاطفة : (٣)

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعا أيها الرجل

(٣) ديوان الاعشى ص ١٤٤ .

غراءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارِ ضها

تمشي الهويننا كما يمشي الوجي الوحلُّ

كان مشيتها من بيت جاريتها

مرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

تسمع للحلى وسواسا إذا انصرفت

كما استعان بريحٍ عسرقٌ زجلُ

ليست كمن يكره الجيران طلعها

ولا تراها لسرُّ الجار تختلُّ

يكاد يصرُّها لولا تشدُّها

إذا تقوم الى جاراتها الكسلُ

إذا تعالجُ قرناً ساعة فترتُ

واهتزَّ منها ذنوبُ المتن والكفلُ

ملاءُ الوشاحِ وصفرةُ الدرعِ بهكنةُ

إذا تأتي يكادُ الخضرُ ينخزلُ

التخلص :

وإذا انتهينا من مقدمات القصائد ، نسير مع الشاعر خطوة اخرى ، لنراه كيف يغادر الموضوع الذى ابتدأ به الى موضوع آخر ، أينتقل فجأة دون تمهيد ، او يمهد لذلك بأبيات وهل هناك علاقة بين الديار والغزل وما بعدهما من ذكر الناقة او الوصف او الفخر ؟

انشاعر المجيد هو الذى يحسن الانتقال ، فيغادر موضوعه الاول الى الذى يليه دون خلل او انقطاع ، ويجعل معانيه تنساب الى الموضوع الآخر انسياباً بحيث لا يشعر قارئه بالنقلة ، بل يجد نفسه فى موضوع جديد هو استمرار للاول وامتداد له ، وبين الموضوعين تمازج والتشام وانسجام (١) ويمدحون لزهير بعض انتقالاته الى المديح فى مثل قوله : (٢)

ان البخيلَ ملومٌ حيث كان وا

كن الجوادَ على علاقته هَرِمُ

ولزهير أساليب فى الانتقال ، فاذا كان فى سياق الحديث عن صد صاحبه وهجرها يحدث نفسه ان يقطع جبال وصلها مثل ما قطعتة ، وينهض راحلا على ناقته القوية المتينة فيقول : (٣)

-
- (١) العمدة ١/ ٢٣٤ .
 - (٢) ديوانه ص ١٥٢ .
 - (٣) ديوانه ص ٦٢ - ٦٣ .

فَصْرَمٌ جَبَلَهَا إِذْ صَرَّمَتْهُ
وَعَادَكَ أَنْ تُتْلِقَهَا الْعَدَاءُ
بَارِزَةَ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخُنْهَا
قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ

ومثل زهير في هذا لبيد في معلقته : (٤)

فَاقْطَعْ لِبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلَّهُ
وَلِشْرُءٍ وَاصِلٍ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا
بَطْلِيحٍ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً
مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا

وقد يتخذ الانتقال شكل التساؤل ، وبخاصة في سياق رحيل الاحبة ،

كقول عنترة : (٥)

هَلْ تَبْلِغَنِي دَارَهَا شَدَائِيَّةٌ
لُعْنَتُ بِيحْرُومِ الشَّرَابِ مُصْرَمٌ

(٤) ديوانه ص ٣٠٣ .

(٥) ديوانه ص ١٩٩ .

وتابعه في هذا زهير فقال (٦)

هل تلحِقَنِي وَأَصْحَابِي بِهِمْ قُلُوصُ
يُزَجِي أَوْ أَيْلَهَا التَّبْغِيلُ وَالرَّتَكُ

وهناك أساليب كثيرة في التخلص والانتقال، وقد يستخدم الشاعر لذلك :
الاستفهام او الإشارة او بعض الحروف كالفاء والواو ورب وبل ، ومن جميل
الانتقال بالإشارة قول لبيد : (٧)

تلك ابنة السعدى اُضحتْ تَشْتَكِي
لَتَحُونَ عَهْدِي وَالْمَخَاةُ ذَامُ

او الإشارة والاستفهام معا كقوله : (٨)

أَفْتَلِكَ أُمُّ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ
خَذَلْتُ وَهَادِيَةَ الصُّوَارِ قِوَامُهَا

وقد يتخذ الجاهليون الانتقال المفاجيء بالقطع ، وذلك بأن يقول :

-
- (٦) ديوانه ص ١٦٨
 - (٧) ديوانه ص ٢٩١
 - (٨) ديوانه ص ٣٠٧

(دع ذا) أو (فدعها) أو (عد عن ذا) ، وهذه أساليب ليست مما تمدح في انتقالاتهم ، كقول الاعشى بعد ان كان يتحدث عن صاحبه انتقل الى الناقاة فجأة : (٩)

فدعها وسلّ الهمّ عنك بجسرةٍ

تزيّد في فضل الزّمامِ وتعتلي

وقول المثقب العبدى : (١٠)

فسلّ الهمّ عنك بذاتِ لوثٍ

عذافرةٍ كمطرقةِ القيونِ

الخاتمة :

وقد لاحظ النقاد ان الخاتمة القصيدة اثرا في النفس ووقعا مهما ، لانها آخر معنى يبقى في الازهان ، وفي الشعر الجاهلي نهايات جميلة أعجبت النقاد قديما ، من ذلك قول تأبط شرا : (١)

(٩) ديوانه ص ١٤٢ .

(١٠) ديوانه ص ٣٤ .

(١) الصناعتين ص ٤٤٤ .

لتقرعن على السن من ندم

إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

وكذلك يعجبهم انتهاء الشنفرى فى قوله : (٢)

وانى لحو إن أريد حلاوتي

ومر إذا نفس العزوف أمرت

أبى لما أبى قريب مقادتي

الى كل نفس تنتحي فى مسرتي

فقد جمع خلاصة فخره فى هذين البيتين بلفظ حسن ومعنى واضح •

وكثيرا ما يختم الجاهليون قصائدهم بالحكمة ، وهى خلاصة تجاربهم

ونظرتهم الى الحياة ، ومن جميل ذلك قول امرىء القيس : (٣)

ألا إن بعد العدم للمرء قنوة

وبعد المشيب طول عمرٍ وملبسًا

(٢) نفس المصدر والصفحة •

(٣) ديوان امرىء القيس ص ١٠٨ والصناعتين ص ٤٤٣ وفيه : وبعد

الشيباب •

وأوجز لييد حكمته في احدى قصائده فقال : (٤)

وإننا وإخوانا لنا قد تتابعوا

لكالمغتدى والرائح المتهجر

هل النفس الا متعةٌ مستعارةٌ

تُعار فتأتى ربّها فرطاً أشهر

على أن هناك نهايات تشعر ان المعنى ما زال مستمرا حيث ينهى الشاعر قصيدته فجأة وعلى غير ختام ، ويبقى المعنى بحاجة الى تكملة واستمرار كقول امرئ القيس في معلقته فقد انهاها بقوله : (٥)

كان مكاكى الجِواءُ غديّةً

صُبْحَنَ سَلافاً من رحيقٍ مُفَلِّلِ

كان السَّباعَ فيه غرقى عَشيةً

بأرجائه القُصوى أنابيشُ عُنْصَلِ

والقارىء هنا يشعر ان للكلام بقية وللوصف تمة ، فالسياق يقتضى ملء الصورة التى رسمها .

(٤) ديوان لييد ص ٥٧ .

(٥) شرح المعلقات السبع - الزوزنى ص ٤١ وفى ديوانه ص ٢٦ خلاف وحتى رواية الديوان بحاجة الى ختام فهى تشعر بالانقطاع .

الوحدة الموضوعية :

أ - البيت في الشعر العربي يقوم بمعناه ، وهو مستقل بنفسه لا يتعلق بما بعده ، ذلك لان العربي يؤثر الایجاز ويفضل المثل السائر الذي تلتقطه الذاكرة ويجرى على ألسنة الرواة ، ويفضل النقاد القدامى البيت المكتمل لمعناه على المحتاج الى غيره ، بل يرون البيت الذي حوى معنيين ، أجود من الذي اكتفى بمعنى واحد ، وفي ذلك يقول قدامه : « ان الشاعر اذا أتى بالمعنى الذي يريد او المعنيين في بيت واحد كان في ذلك أشعر منه اذا أتى بذلك في بيتين ، وكذلك اذا أتى شاعران بذلك ، فالذي يجمع المعنيين في بيت ، أشعر من الذي يجمعهما في بيتين ، (١) »

وقد عابوا الشعر الذي لا يستقل البيت فيه بمعناه ، بل يحتاج الى سواء ، وسموا ذلك البيت (مبتورا) (٢) ، ومثل قدامة لذلك بيت عروة بن الورد : (٣)

فلو كاليوم كان عليّ أمرى

ومن لك بالتدبر في الأمور

(١) نقد النثر ص ٨٩ .
(٢) نقد الشعر ص ٢١٧ والموشح ص ١٢٩ .

أذا ملكتُ عصيةً أم وهبِ

على ما كان من حَسَكِ الصدورِ

فأليبت الأول لا يستقيم معناه ولا يتم إلا بورود البيت الثاني • وقد يسمى مثل هذا بـ (التضمين) ويكون هذا أشد قبحا إذا تعلقت القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها ، واستشهد ابن رشيقي لهذا بقول النابغة الذبياني : (٤)

وهم وردوا الجِفَارَ على تميمِ

وهم أصحابُ يومِ عَكَاظِ إئتى

شَهِدْتُ لهم مواطنَ صالحاتِ

وثقت لهم بحسن الظنِ منى

وتسامحوا في البيتين إذا اقتضى الأول مجيء الثاني ، وافتقر الثاني الى الأول ، وسموا ذلك (اقتضاء) ومثلوا له بقول امرئ القيس : (٥)

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلاً

ومن خاله ومن يزيدَ ومن حَجْرُ

(٤) العمدة ١٧١/١ وفي ديوانه ص ١٩٩ :

مواطن صادقات اتينهم بنصح الصدر منى •

(٥) الموشح ص ٤٩ وديوانه ص ١١٣ •

سماحةَ ذاوِبرٍ ذَا ووفاءَ ذَا

ونائلَ ذَا إذا صحا وإذا سَكِرَ

وقد خرج ابن الاثير (٦) على جمهرة النقاد الذين عابوا تعلق معنى البيت بغيره ولم ير في ذلك بأسا ، واستشهد على المقبول من ذلك بقول امرئ القيس : (٧)

فقلت له لما تمطى بصلبه

وأردفَ أعجازا وناءَ بكل كل

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ

بصبحٍ وما الأصباحُ منك بأمثلِ

أما اذا تعلق معنى البيت العام بأبيات بعده ، ولم يكن فيه ما يشعر بالتوقف والانقطاع فذلك أمر مقبول ، وقد يكون هذا من أسباب ربط المعنى في القطعة .

وكما لاحظوا استقلال البيت في معناه ، لاحظوا أيضا التناسق بين شطري البيت الواحد من حيث المعنى ، وان يكون الشطر مشاكلا لآخيه غير غريب عنه ، ولا خارج عن مستواه ، فقد عابوا على الاعشى قوله : (١)

(٦) المثل السائر ص ٢٩٤ .

(٧) المصدر السابق والصفحة وفي ديوانه ص ١٨ : فيك بأمثل .

(١) الموشح ص ٧٢ وفي ديوانه ص ١٠٩ : لو صارع الناس عن احلامهم صرعا .

أَغْرُهُ أَيْبُضٌ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ

لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَجْسَادِهِمْ قَرَعًا

اذلا علاقة ولا ارتباط بين معنى الشطر الاول ومعنى الشطر الثانى ،

ومثله قول طرفه بن العبد : (٢)

وَلَسْتُ بِجَلَّالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً

وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

ففى صدر البيت يتحدث عن شجاعته ، بحيث لا يحل التلاع العالية خوفا

من لقاء الخصوم ، ثم استدرك فى عجز البيت معنى جديدا هو الكرم ، وكان

المفروض ان يستدرك فى معنى الشجاعة • وقد أخذوا على امرئ القيس

عدم التلاؤم فى بيته بين الشطر والمعجز : (٣)

كَانِي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّةِ

وَلَمْ أَتَطْنُ كَاعِبَاذَاتِ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَأِ الزَّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقْلُ

لِخَيْلِي كَرِيَّ كَرَةً بَعْدَ آجْفَالِ

(٢) الموشح ص ٧٣ وديوان طرفه ص ٣٩ •

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٣٥ •

فيصح المعنى اذا قدم عجز البيت الثانى الى الاول ويناسبه فى الحديث عن
الحيل والفروسية فيكون :

كاني لم أركب جواداً ولم أقل

لخيلي كرى كرة بعد اجفال

ويستقيم البيت الثانى مع عجز الاول فى الحديث عن شرب الخمر واللهم
والغزل ، ويكون :

ولم أسبأ الزق الروى للذة

ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

ولاحظوا أيضا التناسب بين شطرى البيت من حيث القوة والضعف ،
وأنكروا قول جميل : (٤)

ألا أيها الركبُ النيامُ ألا هبوا

أسائلكم هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ ؟

وقالوا : « ان النصف الاول من البيت كأنه أعرابى فى شملة ، والنصف
الآخر كأنه مخنث مفكك ، « كأنه والله من مخنثى العقيق » .

(٤) الاغانى ١١٤/٤ وينظر ديوان جميل ص ٢٥ وفيه :
ألا أيها النوم ويحكم هبوا

ب - الوحدة الموضوعية (١) تقوم على أساس تنمية الشاعر لأقسام القصيدة تنمية عضوية بحيث ينشأ كل جزء من سابقه نشوءاً طبيعياً مقنعاً : ويستدعى الجزء الذي يليه استدعاء حتمياً ، حتى تتكامل اجزاء القصيدة وتشملها عاطفة موحدة . وتحقق هذه الوحدة في القصائد ذات الموضوع الواحد ، وهي القصائد القصيرة والمقطوعات ، او القصائد الطويلة ذات الموضوعات القصصية ، وكذلك تتحقق في القصائد الطويلة ذات الموضوعات المتعددة كل جزء على انفراد وليس يعنى هذا ان يكون بين موضوعات القصيدة انسجاماً في طريقة التخلّص او الانتقال ، والشعر الجاهلي - والشعر القديم بعامة - لا تتوفر في قصائده الطوال هذه الوحدة الا قليلاً ، ومن الخطأ والتعسف الفاحش تطبيق المفاهيم الاوربية الحديثة على الادب القديم ، مع اختلاف طبيعة كل أدب في النظرة والموضوع ، فقد دخلت الادب الحديث قيم ومفاهيم جديدة بحيث صارت الوحدة الموضوعية والعضوية ضرورة لا غنى عنها - على قلة توفرها في الشعر الحديث نفسه - ، وليس كذلك الادب القديم ، وعلينا أن نتفهم الشعر القديم في حدوده وظروفه ومقاييسه في عصوره تلك .

فالوحدة الموضوعية ، او الوحدة المعنوية كما يسميها الدكتور طه حسين (٢) ، تتحقق في الشعر الجاهلي في أجزاء من القصائد الطويلة في الموضوع الواحد وتتحقق في الشعر الذي يسرد قصة أو يصور أحداثاً بعينها ،

-
- (١) انظر هنا ما كتبه طه حسين في حديث الاربعاء ٣٠/١ وما بعدها عن قصيدة لبيد ، وينظر الشعر الجاهلي - سلسلة الروائع لفؤاد افرام البستاني ص ٣٠ - ٣٢ والشعر الجاهلي للنويهي ص ٤٣٥ وما بعدها ، ص ٣٠ - ٣٢ ، ولعبد الجبار المطلبي بحث في مجلة كلية الآداب بغداد نيسان ١٩٦٤ بعنوان : في الشعر العربي القديم ونقده .
- (٢) حديث الاربعاء ص ٣٠ ، وقد أسماها النويهي - الشعر الجاهلي ٤٣٥/٢ : الوحدة الحيوية ، وأسماها البستاني - الروائع الشعر الجاهلي ص ٣٠ : الوحدة الشعورية .

وتتحقق في كثير من القصائد القصار ، وقصائد الغزل وقصائد الرثا واستطيع
أن اسمى بعض هذه القصائد ، فمن ذلك قصيدة المرقش الاكبر التي
مطلعها : (٣)

سرى ليلاً خيالٌ من سُليمي
فارَّقني وأصحابي هجودُ

وقصيدة طرفة بن العبد : (٤)

أتعرف رسمَ الدارِ قفراً منازلُه
كجفنِ اليماني زخرفَ الوشى ماثلُه

وقصيدة تأبط شرا : (٥)

ان بالشَّعبِ الذي دونَ سَلَعُ
لقتيلاً دُمُه ما يُطلُّ

وقصيدة عروة بن الورد : (٦)

-
- (٣) المفضليات ص ٢٢٣ .
(٤) ديوانه ص ١١٤ .
(٥) شرح الحماسة - المرزوقي ١ / ٨٢٧ .
(٦) ديوانه ص ١٠٧ .

أرى أمَّ حَسَّانَ الغدَاةَ تلوُمُني

تخوُّفُني الأعدَاءَ والنفسُ أخوفُ

بل ان أكثر شعر الصعاليك تتوفر فيه الوحدة الموضوعية (٧) ، وليس هذا لان شعر الصعاليك مقطوعات ولكن حتى القصائد الطويلة تجدها مترابطة متلازمة تتداعى أفكارها ، وان شئت فاقراً رائية عروة بن الورد التي يستهلها بقوله : (٨)

أقلِّي عليَّ اللومَ يابنتَ منذرٍ

ونامي وان لم تشتبهى النومَ فاسهري

فستجد فيها وحدة متناسقة وترابطا بين أبياتها وتلازما في معانيها بحيث لا تستطيع ان تستغنى عن بيت فيها في موضعه الذي حدده الشاعر .

وقد تحدث الدكتور طه حسين (١) عن الوحدة المعنوية في القصيدة الطويلة وقال : انها وحدة متقنة متممة تماما لا شك فيه ولا غبار عليه ، وقال ان أجزاء القصيدة جاءت ملتزمة الاجزاء قد نسقت أحسن تنسيق وأجمله وأشدّه ملائمة للموسيقى ، وعزا الخلل والتفكك والانقطاع في بعض القصائد الى قصور ذاكرة الرواة ، وما أحدثت من الاضاعة والخلط والاضطراب .

(٧) ينظر الشعراء الصعاليك ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٨) ديوانه ص ٦٦ .

(١) حديث الاربعاء ٣٠/١ .

وتناول معلقة لييد فحللها وقال : انها بناء متقن محكم لا تستطيع ان تقدم فيه وتؤخر أو تضع بيتاً مكان بيت دون أن تفسد القصيدة وتشوه جمالها ، ودون أن تفسد البناء كله وتنقضه نقضا .

ان محاولة الدكتور طه حسين كانت منصبة على ابراز الترابط العضوي في الموضوع الواحد من القصيدة ، وهي حقيقة قائمة في معلقة لييد وفي كثير من القصائد الطوال ، ولكن ليس معنى هذا ان هناك ترابطا عضويا في اجزاء القصيدة الواحدة ، ولو انه لاحظ الانتقال او التخلص من موضوع الى آخر فيه يسر و عفوية وبراعة .

ان الثام اجزاء القصيدة لا يعنى الوحدة الموضوعية او العضوية ، ان الوحدة تتحقق في كل جزء من اجزاء القصيدة لدى لييد او غير لييد من شعراء الجاهلية المجيدين ، فاذا اعتبرنا كل قسم من أقسام القصيدة وحدة مستقلة ، نستطيع ان نلتمس الوحدة الموضوعية في هذا الجزء او ذاك .

وأقسام القصيدة هذه ، هل كانت تأتي عفوية وعلى غير نظام ، ام ان الشاعر كان يلمح فيها نظاما ، او يريد ترابطا في موضوعاتها ومعانيها لعل طبيعة الحياة هي التي أوجبت ذلك التسلسل في الموضوعات وجعلت بينها تداعيا في المعاني وتلازما في الافكار ، وقد مر بنا رأى ابن قتيبة في توافق الموضوعات وتنظيمها وتعليل ذلك ، حين تحدث عن الشاعر الاول (مقصد القصيد) (٢) . وقد صار اسلوب الاوائل في نظام القصيدة تقليدا فنيا ، وهو - في حقيقة الامر - ليس بعيدا عن واقع الحياة في البادية العربية ، فحياة البادية نقلة وأسفار ، فالشاعر يمر في أسفاره وغزواته أو رحلة صيده ، على

(٢) الشعر والشعراء ٧٤/١ - ٧٥ .

ديار الاحبة وقد ظننوا ، فتهيج هذه الديار مشاعره ويتذكر صلاته بأهلها ، وقد تكون له فيها ذكريات طفولة وصبا ، وقد تكون ايام حب وهوى ، فيتغزل بحبيته ويذكر أيامه واياها ، ثم يصف وداعها حين سارت الطعائن وبعدت الحمول ، فيتابعها ببصره ، فاذا غابت فى لجج السراب تابعها بذهنه وخياله ، فيذكر المواضع التى مرت بها أو حلت فيها ، ثم يصحو من هذه الذكريات فيركب ناقته ويعاود رحلته فى هذه البادية المقفرة الموحشة التى ليس فيها ما يؤنس وحدته ويتردد عنه الوحشة غير ناقة جسريرة عيرانة ، فيأخذ فى وصفها والثناء عليها ، ويذكر صفاتها من الصبر والقوة والجرأة والسرعة ، ويقرب هذه الصفات بتشبيها بحيوانات الصحراء ، فيتوهم لهذه الحيوانات قصصا طريفا يجد فيه تعبيرا عن خوالج صدره وتنفيسا عن همومه ، فيقص ويصف ما تقع عليه عينه او ما يحيط به خياله ، وهو بذلك يرضى نزعيتين من نوازع نفسه ، يخفف همومه ويتردد مخاوف الوحدة من ناحية ، ويرضى نزعته الفنية بتحجير قصيدة او جزء من قصيدة من ناحية ثانية .

وهذه الرحلة فيها مصاعب ومتاعب يحرص على تسجيلها ، فيذكر صبره وحسن بلائه وبعد همته وقوة عزمته ، ويدعوه هذا الى الفخر بنفسه وذكر أمجاده وخصاله ، ثم يدعوه واجبه القبلى ان يذكر قومه ويشيد بفعالهم ويتغنى بأمجادهم ، وهو فى اثناء ذلك يتأمل فى الحياة ومصير الماضين ، فيسوق الحكم والامثال والمواعظ .

وهكذا نجد الصلة وثيقة بين موضوعات القصيدة الواحدة ، فكل جزء فيها يذكر بجزء بعده ويستجيب لجزء قبله ، فاذا المعانى موصولة يأخذ بعضها برقاب بعض ، لان الافكار متداعية ، هذا إذا أحسن الشاعر التخلص والربط بين الموضوعات ولائم بين الاجزاء ، ولم يكن فى القصيدة قطع أو بتر او خلل واضطراب ، والشاعر الجيد هو الذى يحسن وصل فكرة بأخرى بحيث تبدو امتدادا لها .

لغة الشعر الجاهلي :

لكل كلمة جرس نغمي تؤديها الحروف المنطوقة ، ولا شك ان بعض القبائل كانت تختلف عن الاخرى فى طريقة أداء اللفظ ونبر الكلمة من حيث نطق الحروف ، كالشدة ، والتفخيم ، والامالة ، والاختفاء ، والاطهار ، والسرعة والتأني ، وغير ذلك • وهذا - لا شك - لا يؤثر على المعنى ، لان طريقة الاداء لا تغير من معنى الكلمة ، كما ان هذه الحالة لا تنقل فى الشعر ، اذ ان كل راو يروى الشعر بنطقه هو فلا يترتب على ذلك خلل فى الوزن او تغير فى المعنى ، ولذلك فاللهجات التى يتحدث عنها اللغويون بين القبائل وبخاصة بين عرب الشمال وعرب الجنوب لا تظهر فى الشعر ولا تنقل فى الرواية •

وهناك خلاف يظهر فى النطق وفى رسم الكلمة ، كالقلب الذى يحصل بين الهاء والهمزة فعرب الشمال يقبلون الهاء همزة فى مثل : هراق وأراق ، وهيا وأيا • وخلاف آخر فى معنى الكلمات المستعملة بين الشماليين والجنوبيين فى مثل كلمة (بعل) التى تعنى صاحب عند الجنوبيين ، وزوج عند الشماليين ، وكلمة (وقه) التى تعنى أجاب عند الجنوبيين وأطاع عند الشماليين ، والملاحظ ان هناك علاقة قريبة بين المعنيين •

ويرى علماء الساميات أن هذه اللغات كانت متقاربة فى أول أمرها ، وكان العرب يفهمون اللغات السامية المجاورة ويتفاهمون مع أهلها ، واذا كان الامر

كذلك فمن الطبيعي أن يفهم العرب اللهجات التي كانت سائدة في الجزيرة قبل أن يوحدّها القرآن الكريم وخاصة بين القبائل العدنانية والقبائل القحطانية، ويعلل جرحى زيدان نشاط العرب التجاري ونجاحهم فيه بمعرفتهم باللهجات القبائل ولغات الأمم المجاورة ، يقول : « وقد ساعد العرب على التوسع في وسائل التجارة فضلا عن توسط بلادهم ، أنهم كانوا يتكلمون لغة قريبة من لغات أكثر الأمم المتمدنة في ذلك الحين ، لان اللغات السامية كانت يومئذ لا تزال متقاربة لفظا ومعنى ، فالعربي والكلداني والاشوري والعبراني والحبشي والفينيقي كانوا يتفاهمون بلا واسطة لقرب عهد تلك اللغات من الشعب ، بما يشبه حال اللغات العامية العربية اليوم من اللغة الفصحى ، فكان العربي من حمير او مضر اذا جاء العراق لا يحتاج في مخاطبة الكلداني او البابلي او الاشوري الى ترجمان ، وكذلك ذا يمم فينيقية أو الحبشة فانه يفهم لسان أهلها كما يفهم الشامي لسان أهل مصر اليوم ، ويؤيد ذلك ما جاء في التوراة عن ابراهيم الخليل ، فانه تزوج من بلاد الكلدان في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ، فاجتاز سوريا و فينيقية وبلاد العرب وخالط أهلها ولم يفترق في مخاطبتهم الى مترجم ، (١) » .

ونعود نسأل ، أين الخلاف بين اللهجات في الشعر الجاهلي ؟ ان أقدم ما وصلنا من الشعر الجاهلي لا يتجاوز القرنين قبل الاسلام ، وكانت لغة الشمال قد استأثرت باللسن ، واصبحت اللغة الادبية التي ينظم بها الشعر وتلقى بها الخطب ، وكان ذلك بفضل الاسواق التي تقام في الحجاز ، ثم مكانة مكة الدينية والاقتصادية ، يضاف الى ذلك ان لغة اليمن كانت قد بدأت بالتنحى وصارت تعتمد عن لغة النقوش الحميرية القديمة ، وعلى هذا فلغة امرئ القيس واضرا به من اليمنيين كانت غير لغة اليمن التي حفظتها النقوش قبل امرئ القيس بمئات

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٠/١ .

السنين ، وكان من اسباب ذلك ايضا، مجاورة العربية الشمالية لليمنية القديمة، والاحتكاك الذي يحصل بين اللهجتين وغلبة اللهجة الارقى أدبا والاغزر مفردات والايسر أداء ، فكان ان سادت لغة الشمال فى اواخر العصر الجاهلى لنفوذ أهلها التجارى والسياسى والتقافى والدينى ، ويبدو ان كل الظروف كانت ملائمة لغلبة لغة الشمال على لغة الجنوب •

وقد حفظ الشعير الجاهلى جانبا من اللهجات التى نقلها الرواة عن الاعراب ، ولم يكن علماء اللغة ليصرفوا همهم الى العناية باللهجات واختلافها الا فيما يحتاجون اليه للشاهد والتدليل على قاعدة او معنى ، وهذا جانب قليل نادر ، من ذلك أبيات خنافر الحميرى التى رواها ابو على القالى ، وفيها الفاظ يمنية يختلف مدلولها عن الالفاظ الشمالية ، قال :

ألم تر ان الله عاد بفضله

فأنقذ من لفتح الزخيمخ خنافرا

وكشف لي عن جحمتي عماهما

وأوضح لي نهجي وقد كان دائرا

دعاني شصار للتي لو رفضتها

لأصليت جمراً من لظى الهوب واهرا

وقال : الزخيمخ معناها النار ، وفسر الجحمتين بالعينين ، والهوب بالنار ،

• والواهر بالساكن مع شدة الحر ، وهذه كلمات يمنية (١) .

وتستعمل طيء (ذو) اسما موصولا عاما ، ويستشهدون لذلك بقول
سنان الفحل الطائي : (٢)

فإن الماء ماء أبي وجددي

وبشرى ذو حفرت وذو طويت

ويستعمل أهل الجنوب (أم) أداة للتعريف مكان (آل) ، يقول بجير
ابن عنمة الطائي :

وان مولاي ذو يعيرني

لا أحنة عنده ولا جرمه

ينصرتني منك غير معتذر

يرمي وراثي بامسهم وامسأله

• يريد بالسهم والسلمة (٣) .

وتستعمل هذيل (متى) بمعنى (من) وتجر بها من ذلك قول أبي

(١) الأملى ١/١٣٣ .
(٢) شرح الحماسة - المرزوقي ٥٩١/٢ .
(٣) المؤتلف والمختلف ص ٧٥ .

ذؤيب الهذلي : (٤)

شربن بماء البحر ثم ترفعت

متى لجج خضري لهن نثيج

وقد يستبدلون حرفا مكان حرف كقولهم (أنطى) بمنى (أعطى) قال
الاعشى : (٥)

جياذك في الصيف في نعمة

تصان الجلال وتُنطى الشعيرا

او تستبدل السين تاء كما فى قوله :

يا قَبَّح اللهُ بني السعلاةِ

عمرو بن يربوع شرار الناتِ

ليسوا اعفاء ولا أكياتِ

يريد : شرار الناس ، ولا أكياس (٦) .

-
- (٤) ديوان الهذليين ٥٢/١ .
(٥) الأماي ٦٧/٢ وانظر ديوانه ص ٧١ .
(٦) الأماي ٦٧/٢ .

وقد يغيرون بعض الكلمات المجرورة ياء ، كقول النمر بن تولب يصف عقابا :

لها أسارير من لحم تتمره

من الثعالي ووخز من أرائها

يريد بالثعالي : الثعالب ، والاراني : الارانب (٧) .

وإذا احصينا هذه الشواهد التي تتم عن اختلاف اللهجات نجدها قليلة معدودة .

اما صورة الشعر الجاهلي الذي قاله الجنوبيون والشماليون ، فقد جاء بلغة سليمة موحدة فيها قوة وجزالة ، عبارته متينة وألفاظه رصينة ، والشعر الجاهلي بعامة يبدو - لأول وهلة - صعبا غريبا مغرقا في البداوة ، وخاصة في الموضوعات التي يتعرض فيها لوصف الصحراء او حيوانها ، وليس مرد هذه الصعوبة الى المعاني والاختيلة ، بل مرجعها الى اللغة التي يكثر فيها الغريب وتشيع فيها ألفاظ البادية وأسماء مواضعها وصفات حيوانها . ولا ننسى أن اكثرية الشعراء الجاهليين كانوا من البادية ، وحتى الذين سكنوا الحاضرة كانت حياتهم أقرب الى البداوة ، أو هم على صلة دائمة بالبادية ، فهم يصوغون شعرهم في لغة بدوية ويصفون بيئات صحراوية وفي هذه البيئات يكثر الغريب والوحشي والنادر . على ان اللغة - لغة الشعر الجاهلي ، كلما تأخر زمنها زادت صقلا واتقاناً ، ورسخت على أسس سليمة ونزر فيها الشاذ والمخطؤ .

(٧) تاريخ آداب العرب - الرافي ٥٥/١ .

ومن المعلوم ان هناك صلة وثيقة بين الموضوع الذى يتناوله الشاعر وبين اللغة ، فموضوعات الوصف التى تتحدث عن بيئات البادية ومشاهدها ، يكثر فيها الوحشى والغريب ، ويعبر الشاعر عن مناظر الصحراء بأسلوب قوى متميز يختار الالفاظ الجزلة التى تقوم بتأدية المعانى الشديدة التى تمثلها قسوة الصحراء وخبثونة عيشها ، وبخاصة فى موضوعات الحماسة والفخر والوصف ، أما فى الموضوعات العاطفية ، فالشاعر يرق ويتخير الفاظا عذبة هادئة سلسة سهلة ، تعبر عن الحب والحنان والعطف والرفقة .



رَفَعُ
عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

فنون الشعراء جاهلي

رقع
عبد الرحمن العجدي
أسكنها الفردوس
www.moswarat.com

الغزل

أهم الفنون وأبرز الموضوعات وأعلقها بالقلب وأقربها الى طبيعة الانسان هو فن الغزل ، وقد لقي الغزل عناية كبيرة من الشعراء ، سجلوا فيه عواطفهم وخواطرهم ، تناولوا المرأة فذكروا محاسنها وصفاتها وسحرها ، وما يفعل فيهم من الشوق والحنين ، ولم يحفل العرب بشيء احتفالهم بالغزل ، سواء أكان صادرا عن القلب تفرد له القصائد وتجبر له الاشعار أم كان تقليدا مستحبا تفتتح به المطولات ويستراح اليه بعد رحلة الشعر ، فيوصل به الحديث ويعقد عليه الحوار •

وترد - في هذا المجال - كلمتان مع الغزل ، هما النسيب والتشبيب ، وكلها مستعملة في الموضوع نفسه ، فهل لكل منهما مدلول معين ، أو انها استعمالات لمدلول واحد ؟

ان بعض كتب اللغة تجعل هذه الكلمات بمعنى واحد ، يقول ابن سيدة : « ان الغزل تحديد الفتيان الجوارى ، والتغزل تكلف ذلك ، والنسيب التغزل بهن في الشعر ، والتشبيب مثله » (١) ، وفي اللسان : « والغزل حديث الفتيان الفتيات ، واللهو مع النساء ومغازلتهم : محادثتهن ومراودتهن والتغزل : التكلف لذلك ، وفي المثل : هو أغزل من امرىء القيس » (٢) • ويقول في

(١) المخصص ٥٤/٤ - ٥٥ •

(٢) اللسان : (غزل) •

النسيب : « نسب بالنساء ينسب نسبا ونسباً ومنسباً : شبب بهن في الشعر وتغزل » (٣) • أما في التشبيب فيقول : « شبب بالمرأة : قال فيها الغزل والنسيب ، وهو يشبب بها أي ينسب بها » (٤) وكذلك يذهب صاحب تاج الغروس ويذكر أن هناك من يفرق بين هذه الكلمات (٥) •

وحاول بعض القدامى أن يعطى كل كلمة مدلولاً مختلفاً ، فقال السريري : « النسيب ذكر الشاعر المرأة بالحسن والاختبار عن تصرف هواها به ، وليس هو الغزل ، وإنما الغزل : الاشتهار بمودات النساء والصبوة البهن ، والنسيب : ذكر ذلك والخبر عنه » (٦) • أما قدامة بن جعفر فهو على طريقة أهل المنطق يحب التحديد والتقنين يقول : « ان النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن ، وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق بين النسيب والغزل ، والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي اذا اعتقده الانسان في الصبوة الى النساء نسب بهم من اجله فكأن النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه ، والغزل انما هو التصابي والاشتهار بمودات النساء » (٧) فعنده أن الغزل معنى وان النسيب التعبير عن هذا المعنى أي عن الغزل • والذي نخرج به من آراء اللغويين ، أن النسيب هو بمعنى التشبيب وأن الغزل هو التحدث الى النساء •

وترد الكلمات الثلاث في كتب الادب والنقد مترادفة ، يقول ابن رشيق : « والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، وأما الغزل فهو

(٣) اللسان : (نسب) •

(٤) اللسان : (شبب) •

(٥) التاج : (شبب ، نسب ، غزل) •

(٦) شرح ديوان الحماسة ١١٢/٣ •

(٧) نقد الشعر ص ٦٥ ط بريل ص ١٢٣ ط مصر •

الف النساء والتخلق بما يوافقهن « (٨) وقد استعمل كثير من الكتاب والنقاد
القديمى الكلمات الثلاث بمعنى واحد ولم يفرقوا بينها تفرقة دقيقة (٩) .

ومهما يكن من شىء فلا فائدة ترجى من التفريق بين الكلمات الثلاث ،
والاولى اعتبارها من المترادف ، وأخف الكلمات وأكثرها شيوعا واستعمالا
هى الغزل فعليها المعول :

والغزل لغة العاطفة ، صوروا فيه أشواقهم واحساساتهم نحو المرأة وما
يلقون منها من وصال أو هجر ، من وعد واخلاف ودل وغنج ، صوروا فيه
سعادتهم وشقاءهم آمالهم وآلامهم ، واستطاع الشعراء أن يرضوا نزعاتهم الفنية
بتحبير القصائد الرائعة التى تصور حبههم وتسجل وقائع هواهم . ولذلك كان
الغزل الفن الكبير الذى اعتنوا به وصرفوا اليه أكثر شعرهم ، فشاع بينهم
ودارت عليه قصائدهم ، خصصوا له قصار القصائد وطوالها وشارك الموضوعات
الباقية .

وكان من شغفهم بالغزل أن جعلوه أول موضوع يتدثرون به القصائد
الطوال ، سواء أكانوا يذكرون الغزل مباشرة ، أم يذكرون الديار - ديار
الحبيبة - لتقلهم الى ذكرها والتغزل بها وسرد ذكرياتهم واياها . وقد لاحظ
القديمى هذه الظاهرة فقال ابن قتيبة : « وسمعت بعض أهل الادب يذكر أن
مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والاثار فكى وشكا وخاطب
الربع واستوقف الرقيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها » (١) .

(٨) العمدة ١١٧/٢ .

(٩) ينظر تفصيل ذلك فى الغزل فى العصر الجاهلى ص ٦ - ١٠ .

(١) الشعر والشعراء ص ٧٤ .

ثم يذكر ابن قتيبة أن غرض الشاعر من ذلك أن يميل إليه القلوب والاسماع لأن الغزل أقرب الفنون الى النفوس وأعلقها بالفائدة : « لان التشبيب قريب من النفوس لائظ بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل والفت النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام » (٢) .

وابن قتيبة يجعل الغزل سببا في استمالة نفوس الناس واصغائهم ، وهذا جانب منه ، وهناك جوانب أخرى تتعلق بعاطفة الحب وبالصنعة الفنية ، وأريد بالصنعة الفنية : أن الشاعر يشحذ قريحته بذكر الغزل ويستنزل معانيه بأن يعيش في جو عاطفي يهيء نفسه ويستثير انفعالاته ، روى ابن رشيق : « ان ذا الرمة سئل : كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال : وكيف ينقفل الشعر دوني وعندى مفاتيحه ، قيل له : وعنه سألتك ما هو ؟ قال : الخلوة يذكر الاحباب » ويعلق ابن رشيق بقوله : « فهذا لانه عاشق ولعمري انه اذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ووضع رجله في الركاب » (٣) .

والمرأة هي موضوع الغزل ، وقد تناول الشاعر جمالها ، وأول ما لفت نظره جمال وجهها وجمال أعضائها ، ووصف الجمال الجسدي هو الامر العام الطاغى على الغزل ، أما وصف المحاسن الخلقية والنفسية وتصوير عواطف المرأة وحكاية الحب بين الرجل والمرأة ، فيأتي كل ذلك بالمرتبة المتأخرة من وصف الاعضاء ، ان الشاعر يقف أولا عند الصورة الخارجية للمرأة ، الصورة التي تحرك فيه عواطف الجنس وعواطف الحب والجمال .

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٣) العمدة ٢٠٦/١ .

لقد تعارف الجاهليون - ومن جاء بعدهم - على مقاييس في الجمال أحبوا
في المرأة وصورها أكثر من شاعر ، وأجملها - ممن أجملها - امرؤ القيس
في معلقته ، فهو يقص حكايته معها بعد أن فاجأها وهي تنضو ثيابها للنوم ، ثم
خرج بها الى منعقد الرمل في بطن خبت ، وصار يغازلها ويصف مفاتنها
بقوله : (١)

إذا قلت هاتي نولين تمايلت

علي هضم الكشع ربا المخلخل

مهيفة بيضاء غير مفاضة

ترائبها مصقولة كالسجنجل

كبكر مقناة البياض بصفرة

غذاها تمر الماء غير المحلل

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي

بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش

إذا هي نصته ولا بمعطل

(١) ديوان امرؤ القيس ص ١٥ - ١٨ .

و فرع يُغَشِّي المِثْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ
أَثِيثٍ كَقِنُوبِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِّكِ

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعُلَا
تُضَلُّ الْمَدَارَى فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ

و كَشْحٍ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ
و سَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمَذَلِّ

و تَعْطُوبٍ بِرَخْصٍ غَيْرِ شَشْنٍ كَأَنَّهُ
أَسَارِيْعٌ ظِيٍّ أَوْ مَسَاوِيِكٌ إِسْحَلِّ

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنهَا
مَنَارَةٌ تُمَسِّي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ

و تُضْحِي فَتِيَتَ الْمِسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا
نُومُ الضَّحَالِمِ تَنْتَطِقُ عَنْ تَفَضُّلِ

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً
إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَ مَجْهُولِ

لقد وصف امرؤ القيس كل ما شاهد من حبيته أو لمس ، فهي لطيفة الكشح مملوءة الساقين ضامرة البطن ، بيضاء صافية اللون ، صدرها صقيل متلألئ كالمرآة الصافية ، أسيلة الخدين ، واسعة العينين ، طويلة العنق قد زينته بالحلي ، شعرها طويل مسترسل على ظهرها أسود فاحم مجعد ، قد عقصت جدائل منه فوق رأسها ، فهو كثير منه المعقوص ومنه المرسل ، وخصرها لطيف وساقها رائق صاف كأنبوب البردي ، وهي مترفة مخدومة تنام الضحى طيبة الرائحة ، وترفها هذا جعلها ناعمة الاصابع رقيقة البنان ، أما وجهها فصبيح وضاء يغلب نوره ظلام الليل ، وهي طويلة القدم مديدة القامة لم تدرك الحلم وان جاوزت سن الجوارى الصغار .

وعلى الرغم من جرأة امرئ القيس وما عرف عنه من الاوصاف الحسية في تصوير جسم المرأة والمجاهرة بالخلوات المريبة ، فان عمرو بن كلثوم كان أكثر تكشفا وصراحة حين وصف حبيته وقد كشفت عن مفاتن جسمها ، فهو يصورها وقد تعرت على خلاء وأمنت عيون الناس ، ويصف أعضائها وصف من قد رأى : (٢)

تريك إذا دخلت على خلاء

وقد أمنت عيون الكاشحيننا

ذراعني عيظلي أدماء بكر

هجان اللون لم تقرأ جنينا

(٢) شرح المعلقات السبع - الزوزني ص ١٢٠ - ١٢١ .

وئدياً مثل حُقِّ العاج رخصاً

حصاناً من أكف اللامينا

ومتني لدنة سمقت وطالت

روادفها تنوء بما ولينا

وما كمة يضيقُ البابُ عنها

وكشحا قد جُنتُ به جنونا

وساريتي بلنظٍ أو رُخامٍ

يرنُ خشاسُ حليهما رنيناً

فقد رأى الشاعر منها ذراعين ممثلتين كذراعى ناقة بكر ، طويلة العنق
سمينه بيضاء لم تحمل ولم تلد ، وئدياً مثل حق العاج أبيض مستديراً مصوناً
لم يمسه أحد ، ومتنى قامة طويلة لينة ، وأردافاً مكتنزة ثقيلة ، ووركاً عظيماً
ممثلتاً ، وكشحا جميلاً جن من حسنه ، وساقين كاسطواتين من عاج أو رخام
أبيض فيهما الخلاخيل لها خشخشة ورنين .

وهذا الوصف الدقيق لأعضاء المرأة يتداوله كثرة الشعراء الجاهليين ،
لم يخرجوا على هذه المقاييس في وصف المحاسن ، وإن اختلفوا في كيفية
عرض الصورة المحسوسة من الجسم ، وقد تكررت هذه الأوصاف عند النابغة
والاعشى والمرقس الأكبر وغيرهم .

والملاحظ أن الشاعر الجاهلي صريح في أوصافه وحديثه عن المرأة ،
وفى عرضه لمفاتها الجسمية ، بل يفتن في وصف الاعضاء المستورة كالنحر
والثدى والروادف والساقين والبطن والكشح وغيرها ، ولا يجدون في ذلك
حرجا ، ولعل لطبيعة حياتهم البسيطة الصريحة الواضحة التي لا تعرف
المواربة والتغطية والحياء الكاذب المصنوع ، لعل لكل ذلك أثرا في هذا الاقبال
على الغزل الحسى الصريح فالشاعر - والسامع - يجد في عرض هذه المفاتن
لذة ومتنفسا لعواطفه وغرائزه .

وحقا كان الاهتمام منصرفا الى المحاسن الجسمية وهو الطابع العام الشائع
في الشعر العربي عامة والشعر الجاهلي خاصة ، الا أنهم لم ينسوا الجوانب
الحلقية والنفسية ، فقد ذكروا المرأة بالحياء والعفة والتمنع ، وان لم يطيلوا
في ذلك ، ووردت هذه الصفات ضمن الاوصاف الجسدية ، من ذلك ان الاعشى
يصف صاحبه هريرة ذاكرا وجهها وفمها ومشيتها وحلاها وطيب نشرها ويشبه
ذلك بطيب الزنبق ويقارن بين رائحتها الطيبة ورائحة الروض الذي جاده
الغيث ، ويذكر ضمن كل ذلك أخلاقها : فهي حبيبة الى الجيران كما هي
حبيبة الى نفسه ، وهي عفيفة كتوم للسر لا تفضح اسرار جيرانها ولا تلوك
سيرتهم : (١)

ليست كمن يكره الجيرانُ طلعتْها
ولا تراها لسرُّ الجارِ تحتلُّ

والاعشى وان لم يقف عند المحاسن الجسدية بل فصل في نشرها اللذيذ ،

(١) ديوان الاعشى ص ٤٢ .

فانه لم يقف أيضا عند محاسنها الخلقية وقفة متأنية ، وأحسن من وقف عند صفات حبيته ووصف عفتها وأخلاقها وحياءها ، الشنفرى الأزدي في قصيدته التي أولها : (٢)

ألا أمُّ عمرو أجمعت فاستقلت
وما ودَّعت جيرانها اذ تولت

يقول :

لقد أعجبتني لا سُقوطاً قناعتها
إذا ما مشت ولا بذات تلفت
تبيت بُعيدَ النوم تُهدي غبوقها
لجارتها إذا الهدية قلت
تحلُّ بمنجاةٍ من اللوم بيتها
إذا ما بيوتٌ بالذمة حلت
كأن لها في الأرض نسياً تقصه
على أمها وان تكلمك تبلت

(٢) الفضليات ص ١٠٨ - ١٠٩ .

أميمة لأبخزي نأها حليلها

إذا ذكر النسوان عفت وجلت

إذا هو أمسى أب قرّة عينه

مآب السعيد لم يسأل أين ظلت

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت

فلو جنّ انسان من الحسنى جنت

فهي حية خجول ذات جمال وأدب ، كريمة تهدي لجيرانها وتبرهم وتحفظ مودتهم ، وهي شريفة عزيزة عفيفة بعيدة عن الريب ، إذا سارت لا تتلفت بل تنظر أمامها كأنها تبحث عن شيء ضيعته فهي تقصده ، وهي الى عفة نفسها عفيفة اللسان طيبة السمعة ، إذا ذكرها الناس حمدوها ، وهي زوجة صالحة تسر زوجها وتحسن معاشرته ، ولذلك فزوجها يعود اليها تائفا مشتاقا ، يلقاها قرير العين لم تبرح بيتها في غيابه ، وهي الى كل ذلك جميلة تكاد تجن من حسنها لو جن أحد من الحسن قلبها .

وهناك طائفة أخرى من الشعراء لم تصرف همها الى وصف محاسن المرأة وأعضائها ، ولم تتغن بفضائلها وأخلاقها ، ولكن راحت تصور ما يلقاه العاشق المحب من شوق ووجد وهيام ، وما يعاينه من ألم الفراق ولوعة البعاد ، وكيف يسهر الليل ويرقب النجوم ، يتغنى بخيالها ويمنى النفس بزورة من طيفها ، وهو سهر متأمل في طول الليل وثبات النجوم ، أرق مضطرب لما يلقاه

من حب عنيف يكاد يعجل العقل ، وتقف قصيدة سويد بن أبي كاهل في
طلبة هذا الضرب من الغزل الذي يصور ما يعانيه الشاعر من وجد
واشتياق : (١)

بسّطت رابعةُ الحبلِ لنا

فوصلنا الحبلَ منها ما اتّسعُ

هيجَ الشوقَ خيالُ زائرُ

من حبيبٍ خفيرٍ فيه قدّعُ

شاحطَ جازَ الى أرْحلينا

عُصّبَ الغابَ طروقالمِ يرْعُ

آنسَ كان اذا ما اعتادني

حال دونَ النومِ متى فامتنعُ

وكذاك الحبُّ ما أشجعُه

يركب الهولَ ويعصي من وازعُ

فأبيتُ الليلَ ما أرقدهُ

وبعينيَّ إذا نجمٌ طلّعُ

(١) المفضليات ص ١٩١ - ١٩٢ .

وإذا ما قلت ليلٌ قد مضى

عطفَ الأولُ منه فرجعُ

يسحب الليلُ نجوماً ظلَّعاً

فتواليها بطيئاتُ التَّبَعِ

ويزجَّيها على إبطائها

مُغْرَبُ اللّونِ إذا اللّونُ انقشعُ

فدعاني حُبُّ سلمي بعدما

ذهب الجِدَّةُ مني والرَّيْعُ

خبلتني ثمّ لمسا تشفني

فقوادي كلُّ أوبٍ ما اجتمعُ

ودعتني برقاها إنها

تُنزلُ الأعصم من رأس الينفعُ

تُسمعُ الحدّاثَ قولاً حسناً

لو أرادو غيرهَ لم يُسمعُ

وتعد هذه القصيدة من عيون الشعر العربي في الغزل وتصوير العواطف
والصدق في المشاعر والاحساسات •

وراح فريق آخر من الشعراء يصورون قصص الحب وما يتساقاه الاحبة
من كؤوس الحب والوصال وما يسقاه المحب من كؤوس الصد والهجر ، كل
ذلك في شعر صادق أصيل فيه عفة ونبيل ، تصونه المثل العليا وتحوطه القيم
الجاهلية في المروءة والشرف ، ولدينا من قصص الحب الشيء الكثير ، ومن
أبرز تلك القصص : قصة المرقش الأكبر مع بنت عمه أسماء بنت عوف (٢) ،
والمرقش الاصغر مع حبيته فاطمة بنت المنذر (٣) ، وقصة عبد الله بن علقمة
العامري مع حبيته حبيش (٤) ، وقصة عبد الله بن العجلان النهدي مع
هند (٥) ، وغير هؤلاء ممن تفيض بأخبارهم كتب الادب وأخبار العشاق
والمحبين •



-
- (٢) الشعر والشعراء ٢١٠/١ والاغاني ١٢٧/٦
 - (٣) الشعر والشعراء ٢١٤/١ والاغاني ١٣٦/٦
 - (٤) الاغاني ٢٨٠/٧
 - (٥) الاغاني ١٠٢/١٩ وتزيين الاسواق ص ٨٠

الحماسة

الحماسة لغة : القوة والشدة والشجاعة (١) ، وقوم حمس متشددون في الدين ، وحمس غيره شجعه وحرصه ، والحماسة فن الحرب والقتال والشجاعة والتغنى بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال ، ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدد وسلاح ودماء وجرحى وقتلى ، ودعوة للحرب وأخذ بالتأثر وما الى ذلك ، فهو بجملته فن البطولة .

وما دام هذا الضرب من الشعر يصور البطولة والمثل العليا للفروسية التي تقوم عليها حياة الصحراء كان لا بد لهذا الشعر أن يكون - مع الغزل - في طبيعة الفنون انتشارا ، وأقربها الى نفس البدوى خاصة والعربي عامة . ولذلك فليس غريبا أن يكون حظ المجاميع الشعرية من الحماسة هو الحظ الاوفر فكثير من شعر المفضليات والاصمعيات والوحشيات هو شعر حماسة ، بل غلبت على مختارات ابي تمام والبحترى فكانت الفن الاول الذي ابتداء به ، وغلب

(١) والاحمس : الشجاع والشديد الصلب في الدين والقتال ، وسميت قريش وكنانة حمسا لتشدهم في دينهم في الجاهلية . الصحاح واللسان (حمس) .

اسمها على الكتابين (٢) فسمى أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) مختاراته (ديوان الحماسة) وكذلك فعل البحترى (٢٨٤ هـ) (٣) .

وشعر الحماسة - الى كثرته - من أصدق الاشعار وأقواها وأشدّها أثرا في النفوس ، ذلك لان الشعراء كانوا أنفسهم فرسانا يخوضون غمرات القتال فيعبرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية صادقة ، وان لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاورة الواقع .

والمعركة هي الميدان الفسيح الذي يستمد الشاعر منه معانيه الحربية ، فيعرض في شعره صورا من أهوال القتال وما يكون فيه من كر وفر وجرحى - (٢) كان أبو تمام قد جمع في حماسته كل معاني البطولة والفروسية من وصف الحرب وما ينجم عنها وما يتفرع عنها من صفات خلقية كالنخوة والصبر على المصيبة والتجلد في المحن . أما البحترى فقد فصل في ذكر جزئيات من الحماسة ، فأبيات فيما قيل في الفتك وأخرى في مكاشفة الأعداء وترك التستر منهم وثالثة في حمل النفس على المكروه أو فيما قيل في التحريض على القتل بالثأر وهكذا فقد حزا في أفكار الحماسة وموضوعاتها ، ولذلك جاءت حماسته في اربعة وسبعين ومائة باب ، بينما جعل أبو تمام حماسته في عشرة أبواب .

(٣) وتابعهما ابن الشجري (٥٤٢ هـ) فسمى كتابه حماسة ابن الشجري (طبع في الهند ١٣٤٥ هـ وطبع في دمشق ١٩٧٠ باسم : الحماسة الشجرية) وصدر الدين بن أبي الفرج البصري (٦٥٩ هـ) سمي كتابه : الحماسة البصرية (طبع في الهند) . وذكرت المصادر بعض الكتب التي سميت بالحماسة مما لم يصلنا أو وصل ولم يطبع بعد ، فمن ذلك : الحماسة لابن المرزبان محمد بن خلف (٣٠٩ هـ) والحماسة المحدثه لابن فارس (٣٧٩ هـ) والحماسة العسكرية لابي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) وحماسة الأعلم الشتمري (٤٧٦ هـ) وحماسة الشاطبي محمد بن يحيى (٥٤٧ هـ) والحماسة للشميم الحلبي (٦٠١ هـ) والحماسة المغربية ليوסף بن محمد الأندلسي (٦٥٢ هـ) وحماسة الظرفاء لعبدالله بن محمد العبدلكاني وغيرها . انظر مقدمة الحماسة البصرية ص ٣ - ١٦ .

وقتلَى وصياح وقتام ، وما يلتمع فيه من مغافر وتروس ودروع وسيوف ،
وتكاد تسمع أصوات الرماح تتكسر على التروس ، والسهام وهم يتراشقون
بها فتستقر في الصدور والافئدة ، وهذا الحصين بن الحمام المري يعرض
جانبا من معركة خاضها وأبلى فيها وقومه عظيم البلاء ، يقول : (١)

ولما رأيت الودَّ ليس بنافعي

وان كان يوما ذا كواكب مظلمها

صبرنا وكان الصبرُ فينا سجيةً

بأسيا فإنا يقطعن كفاً ومغصما

يُفلقنَ هاماً من رجالِ أعزَّةِ

علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وجوهُ عدوِّ والصدورُ حديثهٌ

بوُدِّ فأودى كلُّ ودِّ فأنعما

فليت أبا شبلٍ رأى كَرَّ خيلنا

وخيلهمُ بين السُّتارِ فأظلمَا

(١) المفضليات ص ٦٥ .

نظاردهم نستنقد الجرّد كالقنا

ويستنقدون السّمهريّ المقومًا

عشيّة لا تُغني الرماح مكانها

ولا النبلُ الا المشرقيّ المصمّمًا

لن غدوة حتى أتى الليلُ ما ترى

من الخيل الا خارجيًا مسومًا

وذهب الشعراء يباهون بطولتهم ومضاء أسلحتهم ويتغنون بالمثل العليا التي جعلتهم فرسانا لا يهابون الموت ، فهم شجعان أبدا يقذفون أنفسهم في المخاطر ويخوضون غمرات المنية ويأبون الذل ويأنفون من الصغار والجنين والهزيمة ، والنصر حليفهم في المعارك ولذة النصر ونشوته جعلتهم يكثر من ذكر المعارك التي أوقعوا فيها بأعدائهم وما كسبوا من مغائم ، أهمها سبي نساء أعدائهم •

وأقصى ما تلقاه القبيلة أن تسبي نساؤها ، ولذلك لا يسكت على السبي أو يترك نساءه بيد عدوه الا الضعيف الجبان ، فهم يفخرون حين يسبون نساء أعدائهم ويفخرون أيضا حين يستردون نساءهم اللاتي سباها الأعداء ، ولذلك يعاظم طفيل الغنوى بقوله : (٢)

(٢) ديوان طفيل الغنوى ص ٣٧ •

ففتحنا منعنا يومَ حَرَسِ نساءكم
غداةَ دعانا عامرٌ غيرَ مُؤتلي
رددنا السَّبايا من نُفيلٍ وجعفرِ
وهنُ حبالى من مُخَفِّ ومُثَقِّلِ

وما دامت النساء عرضة السبى وهدف العدو المغير ، ولذلك كان الحفاظ عليهن غاية المحارب يستमित دونهن ويفديهن بروحه ، وقد كان المقاتلون يصطحبون نساءهم فى القتال ليزدن فى شجاعتهم ويحرضن على القتال ويمنعن الهارب الجبان ، يصف عمرو بن معد يكرب الزبيدى نساء قومه عند المعركة وهن خائفات مذعورات وبينهن حبيته ليس ، ظهرت محاسنها فبدت كبدر التمام اذا ظهر ، وهو عندئذ لا يرى بدا من منازلة كبش القوم وفارسهم : (٣)

لما رأيت نساءنا
يفحصن بالمعزاء شداً
وبدت لميس كأنها
بدرُ السماء اذا تبدى

(٣) ديوانه ص ٦٨ - ٦٩ .

وبدت محاسنها التي
تخفي وكان الأمرُ جدًّا

نازلت كبشهم ولم
أرَ من نزال الكبش بُدًّا

وللمرأة في هذه المعارك شعر تحرض فيه المقاتلين على القتال وتحث على طلب الثأر وتعير بالهزيمة وتحذر من قبول ديات القتلى ، فهذه كبشة أخت عمرو بن معد يكرب الزبيدي تحرض قومها على الثأر ل أخيها عبد الله ، وكانت قد تخوفت أن يقبل أخوها عمرو الدية ، فصاغت هذه الابيات على لسان القتيل تعرض بعمرو وتقول لقومها انكم ان قبلتم الدية وأطعتم عمرا فعمرو جبان فرار وانكم أذل الناس ، فليس لكم أن تردوا الماء الا بعد أن يفرغ الناس وتفرغ النساء الطاهرات منهن واللواتى عليهن الحيض : (١)

وأرسل عبدُ الله اذ حان يومه

الى قومه الا تُنخلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفاالا وأبكرًا

وأتركُ في بيتِ بصَعْدَةَ مَظلمِ

(١) الامالى - الذيل والنوادر ٣/١٩١ - ١٩٢ .

ودعُ عنك عمرا إن عمرا مسلماً

وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمطعمٍ

فإن انتمُ لم تقتلوا واتَّديتُمُ

فمَشُوا بأذانِ النعامِ المصلَّمِ

ولا تشربوا الا فضولَ نسايتكم

إذا أنهلتُ أعقابهن من الدم

جدعتنم بعبد الله أنفَ قومه

بني مازن أن سبَّ ساقِي المَخَزَمِ

وكان للنساء أثرهن أيضا في ادامة الحروب واضرام نار القتال ، فكلما خبت نار حرب سمرنها بالتحريض على طلب الثأر ، وكثير من الحروب التي نشبت كان النساء من أسباب قيامها ، فحرب البسوس استعرت بسبب حاجة امرأة وصخبها حول ناقتها البسوس التي لم ترض بها بدلا ، بل أن عويل النساء ويكائهن صباح مساء ، هو الذي كان يدفع الرجال للثأر والغارة ، على أن الثأر كان متأسلا في نفوسهم ، تنخر أحقاده قلوبهم لا يستطيعون السكوت عليه أو الصبر على الواترين ، وقد حفل شعرهم بالايمان الغليظة والمهود الشديدة التي كانوا يقطعونها على أنفسهم وما يتبع ذلك من حرمان أنفسهم من أطيب الحياة حتى يدركوا بئارهم ، فهذا المهلهل يتعهد لكليب وهو نسي

قبره ، أن يحرم على نفسه لذيق الطعام والحمر ويهجر النساء ويمكث لا يغير
ملابسه ولا يخلع درعه أو يلقي سيفه حتى يثار له ويشفى غليله : (٢)

خذ العهد الأكيدَ عليَّ عمري

بتركي كلَّ ما حوتِ الديارُ

وهجري الغانياتِ وشربَ كأسِ

ولبسي جبةً لا تُستعارُ

ولستُ بخالِعِ درعي وسيفي

إلى أن يخلعَ الليلَ النهارُ

والأَن تبيدَ سَراةُ بَكرِ

فلا تبقى لها أبداً آثارُ

الفخر :

أما الفخر فضرب من الحماسة وهو التغنى بالفضائل والمثل العليا ،
والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية ، والزهو بالفعال انطية ، وألذ
أحاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه وخصاله وفعاله ، من الشجاعة والكرم

(٢) أخبار المراقسة وأشعارهم ص ٤٩ وشعراء النصرانية ص ١٦٤ .

والمروءة وحماية الجار وطيب المنبت وعراقة الاصل وكثرة المال والولد الى غير ذلك مما يزهو به الانسان ويختال به على غيره .

ويكره الناس الحديث عن النفس والتباهى بالخصال ويعدونه غرورا وادعاء ، الا في الشعر فانه مقبول مستساغ ، وقديما أشار الى ذلك ابن رشيق بقوله : « ليس لاحد من الناس أن يطرى نفسه ويمدحها في غير منافرة ، الا أن يكون شاعرا ، فان ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه » (١) . ولعل ذلك أن القارىء للشعر يتعاطف مع الشاعر ويشاركه مشاعره حين يتغنى بالمثل العليا ، فيكون قد عبر عن خواطر وأمنيات القارىء ، واذا كان الفخر يستساغ ويستملح في الشعر فذلك لان عنصر المبالغة التي تسود شعر الفخر مقبولة في الشعر مرفوضة في غيره .

والفخر انما يحسن اذا كان الشاعر يمدح بالفضائل النفسية والخصال الحلقية بعيدا عن التباهى بالامور المادية والقوة الجسدية أو التفاخر بالانساب والاصول والقبائل ، واذا كان هذا الضرب من الفخر مقبولا في العصر الجاهلي ، فان العصور التالية صارت تستسمح ذلك ، ولذلك فان خير الفخر ما كان تغنيا بالفضائل وتمدحا بالمثل العليا دون مبالغة مفرطة ولا مجاوزة للمألوف ، ولذلك استجيد قول حاتم الطائي لانه تعبير عن واقع مألوف وحقيقة صادقة : (٢)

أما والذي لا يعلم الغيبَ غيرُه

ويحيي العظامَ البيضَ وهي رميمٌ

(١) العمدة ٢٥/١ .

(٢) ديوان حاتم الطائي ص ٣٤ .

لقد كنت أطوى البطنَ والزادُ يشتهى

مخافة يوماً أن يُقالَ لثيمُ

وقد دارت قصائد الفخر على الشجاعة والبأس والنجدة ومنح الجارات
واجارة المولى واطعام الفقراء واکرام الضيف وبذل المال وايتار الاخرين •

وأشهر قصيدة عرفت فى الفخر هى قصيدة عمرو بن كلثوم التى بلغت
أربعة أبيات ومائة وكلها فخر وحماسة ، وقد كانت تغلب قبيلة الشاعر تعظم
هذه القصيدة وتحفل لانشادها ، حتى هجأهم لذلك أحد الشعراء فقال : (٣)

ألهى بنى تغلبٍ عن كلِّ مكرمةٍ

قصيدةٌ قالها عمروُ بن كلثومِ

يروونها أبداً مذ كان أولهم

ياللرجال لشعري غيرِ مستومِ

والقصيدة احدى المعلقات السبع التى يبدأها بذكر الخمر متجاوزا
الوقوف على الديار : (٤)

(٣) الاغانى ٥٤/١١ •

(٤) المعلقات السبع - الزوزنى ص ١١٨ - ١٣٥ •

ألا هبِّي بصحنكِ فاصبحينا
ولا تُبقِي خمورَ الاندرينا

وهي شائعة معروفة .

ومن الشعراء من يؤثر قومه في الفخر فينسب اليهم كل فضيلة ، ويتحدث
عن فضائله من خلال فضائل قومه ، ومن جيد الشعر هذا قول عمرو بن
الاطنابة : (٥)

إني من القوم الذين إذا انتدوا
بدأوا بحقِ الله ثم النائلِ
المانعين من الخنأ جاراتهم
والحاشدين على طعام النازلِ
والخالطين فقيرهم بغنيهم
والباذلين عطاءهم للسانلِ
والضاربين الكبشَ يبرق بيضه
ضرب المجهجِه عن حياضِ الأبلِ

(٥) شرح الحماسة - المرزوقي ٤/١٦٣٤ .

والقاتلين لدى الوغى أقرانهم
إنَّ المنيةَ من وراءِ الواهليِ
خزر عيونهم الى اعدائهم
يمشون مشى الأسدِ تحت الواهليِ
والقاتلين فلا يُعابُ كلامهم
يومَ المقامةِ بالقضاءِ الفاصلِ
ليسوا بأنكاسٍ ولا ميلٍ اذا
ما الحربُ شبتُ أشعلوا بالشاعليِ

فقد جمع الشاعر في قومه كل خصال الخير والشرف والكرم والمروءة والحلم
والشجاعة وحسن البلاء .

ولا يعدم الشعر الجاهلي بعض القصائد التي فيها غلو ومجازة حدود
المعقول ، فقد أخذت العصبية عمرو بن كلثوم فجعل الناس خولا لقبيلته
وعيدا لقومه ، وبلغ به الغرور كل مبلغ فكان يقول في بعض معلقته : (١)

(١) المعلقات السبع ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وقد علم القبائلُ من مَعَدِّ
إذا قُبِّبُ بأبطحها بُنِينَا

بأنا المطعمون إذا قدرنا
وأنا المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردنا
وأنا النازلون بحيث شينا

وأنا التاركون إذا سَخِطْنَا
وأنا الآخذون إذا رَضِينَا

وأنا العاصمون إذا أُطِعْنَا
وأنا العازمون إذا عُصِينَا

ونشرب ان وردنا الماء صفواً
ويشرب غيرنا كَدِيراً وطينا

ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا
وماءَ البحرِ نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطامَ لنا صبي

تخبرُ له الجبارُ ساجدينا

وأفضل من هذا الصياح المتعالى ، فخر من يفتخر بشجاعته وقوته ويقر
للاخرين بالفضل والبسالة ، وهذا الاقرار أقرب الى روح الفروسية والرجولة ،
والفارس فى المعركة لا يحقق النصر دائما فالحرب سجل يوم له ويوم عليه ،
فاذا انتصر افتخر بقوته وشدة بأسه ولا يهجو عندئذ أعداءه المندحرين ، بل
يذكر صبرهم فى الحرب وحسن بلائهم ، واذا اندحر الفارس ونال منه خصمه
أقر بقوة عدوه وكثرة رجاله وشدة بأسهم ، وأنه قد صبر وأبلى ففاته النصر ،
وهذا الضرب من الشعر الذى لا يحتكر الشجاعة لجانب دون آخر ، هو
الذى عرف بشعر الانصاف وقصائده المنصفت ، وقد ذكرها الجاحظ فى جملة
قوله : « وقد أدركت رواة المسجدين والمربدين ، ومن لم يرو أشعار
المجانين (٢) ولصوص الاعراب ونسب الاعراب ، والارجاز الاعرابية القصار ،
وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة ، فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة » (٣) .
وفى الخزانة : « وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن
أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء وفيما وصفوه من أحوالهم فى أمحاض
الاخاء قد سموها المنصفت » (٤) .

وقد شهر من هؤلاء الشعراء مجموعة من أبطال الجاهلية والاسلام منهم :
عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، والعباس بن مرداس السلمى ، وعنترة بن

(٢) أى العشاق .

(٣) البيان والتبيين ٢٣/٤ .

(٤) خزانة الادب ٥١٧/٣ .

شداد العبسي ، والمفضل النكري ، وعبد الشارق بن عبد العزى ، والطفيل
الغوى ، وخداش بن زهير العامري ، وغيرهم كثير (٥) • ومن جياذ قصائد
الانصاف قول عبد الشارق بن عبد العزى الجهني : (٦)

ألا حيثِ عَنَا يَا رُدَيْنَا
فحيها وان كَرَمَتْ عَلَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جُنَّتَا
عَلَى أَضْمَاتِنَا وَقَدْ احْتَوَيْنَا
فَأرسلنا أبا عمرو رَيْبِنَا
فقال ألا انعموا بالقوم عَيْنَا
وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءَ
فلم نَعْدُرْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا
فجاءوا عَارِضًا بَرِدًا وَجُنَّتَا
كثَلِ السيفِ نَرَكِبُ وَازَعِينَا

(٥) جمع عبد المعين الملوحي شعر الانصاف وأصدره بكتاب باسم

المنصفات • ط دمشق ١٩٦٧ •

(٦) شرح الحماسة - المرزوقي ١/٤٤٢ - ٤٥٠ والمنصفات ص ٤١ - ٤٧ •

فنادوا يا لبهثة اذ رأونا
فقلنا أحسنى ضربا جُهَيْنَا
سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ
فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوْنَا
فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا
أَخْنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمَيْنَا
فَلَمَّا لَمْ نَدْعِ قَوْسًا وَسَهْمًا
مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا
تَلَأَلُوْا مَزْنَةً بِرَقَّتْ لِأُخْرَى
إِذَا حَاجَلُوا بِأَسْيَافِ رَدِينَا
شَدَدْنَا شِدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ
ثَلَاثَةً فَتِيَةً وَقَتَلْتُ قَيْنَا
وَشَدَدُوا شِدَّةً أُخْرَى فَجَرُوا
بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا

وكان أخى جوينٌ ذا حفاظٍ
وكان القتلُ للفتيان زِينًا

فآبوا بالرماح مكسراتٍ
وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فباتوا بالصعيد لهم أحاحٌ
ولو خفت لنا الكلمى سرينا

والقصيدة حكاية للمعركة بين الفريقين ، فقد أرسلوا أبا عمرو ريشا يتحسس مواضع العدو ويرقب تحركاته ، وأرسل العدو فارسا يتعرف أخبار القوم ، وقد عرفوه ولكنهم لم يقدروا به ، وبدأت المعركة وهجم خصومهم بجمع كثيف كأنه قطعة من السحاب ، وقابلوهم بهجوم مثله بجمع غفير اساحوا اليهم كالسبيل الذى يحطم ما يلقاه ، وتعالى صياح الحرب واشتد وقعها ، وتراشقوا بالنبال حتى نفذت فمشى بعضهم الى بعض بالرماح والسيوف ، واجتلد القبيلان حتى سقط القتلى ، أربعة من بهثة وأربعة من جهينة قبيلة الشاعر ، منهم أخوه جوين ، وكثر الجرحى وتكسرت رماح بهثة ، وانحنت سيوف جهينة ، فحجز الظلام بين الفريقين .

فترى الشاعر هنا قد وصف المعركة وأقر بقوة الخصم ، ولم ينكر عليهم بلاءهم العظيم فى هذه الواقعة وما نالوه منهم ، فقد قتل كل فريق أربعة من الفريق الاخر ، وفى كلا الطرفين جرحى فكلاهما قد نال من صاحبه فلم

يكن النصر حليف فريق دون آخر ، ولم يشأ الشاعر أن ينحاز لقومه فيغبن
عدوه أو يستهين بقوته وشدة بأسه ، وقد كان من حبه للفروسية وتقديسه
لمثلها أنه ذكر أخاه الذي خر صريعا في المعركة ، ولم يبالي بذلك ، فجعل
قتله وقتل كل فتى شرفا للفتوة والرجولة وأطلقها حكمة مأثورة : « وكان
القتل للفتيان زينا ، » .

وحسبنا بهذه القصيدة مثلا على بطولة الأبطال وانصاف الخصوم وإشاعة
روح الفروسية ، وقد كانت الحماسة بحق لغة الفروسية والتغنى بتقاليدها
الأصيلة ومثلها العليا .

* *

الرتاء

الرتاء من الفنون التي جود فيها الشعراء ، لانه تعبير عن خلجات قلب حزين ، وفيه لوعة صادقة وحسرات حرى ، ولذلك فهو من الموضوعات القريبة الى النفس ، لان الرتاء الصادق تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة أو التكلف ، والحياة الجاهلية حياة حرب ودماء وغارات يسقط أثرها القتلى ، فيكى الاهل والاصحاب قتلاهم ، ويثرون بكائهم دموع قبائلهم ويؤججون أحزانهم فيدفعونهم لشحذ سيوفهم استعدادا لجولة جديدة تطفىء نار غيظهم وتشفى أحقادهم بالفوز بثأرهم وانظف برؤوس أعدائهم •

وتلقانا في شعر الرتاء ثلاثة أنواع أو أساليب ، فمنه :

١ - بكاء ونواح وعويل على الميت بألفاظ حزينة مؤلمة كثيرة الحزن تستمطر الدموع من العيون ، وكان النساء يجتمعن في مناحة صاخبة ، يصحب ذلك لطم على الوجوه والصدور بالاكف أو قطع الجلود أو النعال ، ويعرف هذا الضرب من الشعر الذى يقال فى هذه المناحات به (الندب) ، وقد برعت النساء فى هذا الضرب ، وصف الربيع بن زياد احدى هذه المناحات

التي أقيمت اثر مقتل مالك بن زهير فقال : (١)

من كان مسروراً بمقتل مالكِ
فلياتِ ساحتنا بوجهِ نهارِ
يجد النساءَ حواسرا يندبنه
يلطمنَ أوجههن بالأسحارِ
قد كُنَّ يخبانَ الوجوهَ سترا
فاليوم قد أبرزن للنظارِ
يضربنُ حراً وجوههن على فتى
عَفَّ الشمائل طيبَ الأخبارِ

وقد وصف أبو ذؤيب الهذلي ما فعله بناته بعد موته من ضرب صدورهن
بنعال السبت فقال : (٢)

(١) شرح الحماسة - المرزوقي ٩٩٥/٢ - ٩٩٦ . وكذلك وصف مهلهل
بن ربيعة مناحة على مقتل كليب . ينظر شعراء النصرانية ١٦٢/١
ولبيد بن ربيعة في موت عمه أبي براء - ديوان لبيد ص ٥١ و ٣٣٢ .

(٢) ديوان الهذليين ١٢٢/١ .

وقام بناقي بالنعالِ حواسرا

وَأَصْقَنَ ضَرْبَ السَّبْتِ تَحْتَ الْقَلَائِدِ

وجاء الاسلام فهى عن كل هذه الافعال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » (٣) ، وقال : « ان رسول الله برىء من الصالقة والحالقة والشاقة » (٤) ، ولذلك نهى لبيد فى الاسلام أبنتيه أن تأتيا أعمال الجاهلية فى النواح عليه بعد موته : (٥)

فقوما فقولاً بالذي قد علمتا

وَلَا تَخْمُشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرًا

ولم يقتصر الندب على النساء ، فقد احترفه بعض الرجال ، وعرف منهم فى الاسلام الغريص المبنى فى مكة ، فقد كان لصوته الشجى أثر فى استشارة النفوس وإبكاء الناس ، وكان يصاحب هذا الشعر فى النواح ضرب بالصنوج ونقر بالدفوف ، لزيادة هذا الجو حزنا وأسى وفجيمة .

٢ - وضرب آخر من الرثاء كان يتخذ شكل الثناء على الميت - أو قد يكون حيا أيضا - وذكر فضائله وتعداد محامده ، ويكون ذلك عند زيارتهم

-
- (٣) صحيح البخارى ٣٢٢/٢
 - (٤) صحيح البخارى ٣٣٥/٢
 - (٥) ديوان لبيد ص ٢١٣

للقبور أو اجتماعهم في مجلس يعقد لذكرى الفقيد ، ويسمى ذلك (التأبين) ، وكثيرا ما ينحلون الميت جميع الفضائل والمثل العليا ، من الشجاعة والبرورة والنجدة والوفاء وحماية الجار والحلم والحزم والسماحة والسيادة ، وما الى ذلك من خصال الخير ، واذا قرأنا في شعر الخنساء نجدها تبكى في أخيها كل هذه الخصال .

٣ - وضرب ثالث من الرثاء يتجه الى التفكير في رحلة الحياة ومصير الناس وحتمية الاقدار ونزول البلاء وضعف الانسان أمام نوازل الدهر ومصائب الزمان ، فيلتمس في كل ذلك السلوة والصبر والرضا بما نزل به والاستسلام للقدر ، ويعرف هذا الضرب بـ (الغزاء) . وقد عبرت الخنساء عن تعزيبها بكثرة من نكبوا بأهلهم وكثرة الباكين حولها اذ تقول : (١)

فلولا كثرة الباكين حولي

على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عجولا

ونائحة تنوح ليوم نحس

هما كلتاهما تبكي أخاها

عشية رزئه أو غب أمس

(١) شرح ديوان الخنساء ص ١٥٢ - ١٥٣ .

وما يبكينَ مثلَ أخى ولكن

أَسْلَى النفسَ عنه بالتَّأْسَى

وقد برعت النساء في الرثاء ، ولعله الفن الوحيد الذي أجادت فيه المرأة ،
ومن يقرأ الشعر الجاهلي يعجب لكثرة الشواعر اللواتي أنشدن أشعارا في
رثاء القتلى أو التحريض على الثأر من القاتلين ، ويرتبط شعرهن بالوقائع
وأيام العرب •

وقد بلغ من اشتهاار المرأة بالرثاء وافتخارها بفضائل قتلاها ومكائنتهم
ان صارت تفاخر غيرها بعظم مصيبتها كما فعلت الحنساء حين فاخرت هند بنت
عتبة وعاظمتها بأنها أكثر مصيبة ، فقد رزئت بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها
صخر ومعاوية ، وقد قالت في ذلك : (٢)

أبكى أبى عمرا بعين غزيرة

قليلٌ اذا نام العيونُ هُجودُها

وصنوىٌّ لأنسى معاويةَ الذي

له من سِراةِ الحسرتين وفودُها

وصخرا ومن ذا مثلُ صخرٍ اذا غدا

بساهمةِ الأطالِ قُبِّ يقودُها

(٢) ديوانها ص ٥٨ - ٥٩ والاغاني ٤/ ٢١١ •

فذلك ياهندُ الرزيَّةَ فاعلمي

ونيرانُ حربٍ حينُ سُبَّ وقودُها

ففاخرتها هندُ بأبيها عتبه وعمها شيبه وأخيها الوليدُ فهي أعظمُ مصيبة

حيث تقول : (٣)

أبكي عميدَ الأبطحينِ كليهما

وحاميها من كل باعٍ يُريدها

أبي هتبهُ الخيراتِ ويحكِ فاعلمي

وشيبةُ والحامى الذمارَ وليدُها

أولئك آلُ المجدِ من آلِ غالبِ

وفي العزِّ منها حينُ يُنمى عديدُها

ولا شك أن المرأة أشد من الرجل حزنا وأرق عاطفة وأكثر جزعا وأعظم

لوعة ، وطبيعتهن أقرب إلى الرناء والبكاء واللوعة والاسى ، ولكن المرأة -

مع كل ذلك - لم تستطع أن تصور في رثائها ما تلاقيه من آلام مبرحة على

فقد ابنها أو زوجها أو أخيها ، فقلما تتحدث عن آلامها النفسية بأصالة وعمق ،

(٣) الاغانى ٢١٢/٤ .

وأثرت في رثائها البكاء والعويل ، وذكر الجوانب العامة من حياة القليل ، وأكثرها يتعلق بالنواحي المادية ، فهو الحامى والميل والكريم والشجاع وما الى ذلك من فضائل المرثى ، ولذلك صار رثاء المرأة أشبه برثاء الرجل ، وقلما نجد في رثائها سمات تعبر عن عاطفتها الاثوية ، ولعل لسرعة بكاء المرأة وعويلها وجزعها ان جعل لها متنفسا لآحزانها ، فاذا أرادت التعبير لم تجد في صدرها ما تفصح به غير لغة الدموع ، أما الرجل فيكبت آحزانه ويتجلد ويستغرق في المصيبة والاسى المفجع ، فاذا أراد التعبير انفجرت همومه وأحزانه ، وصار الشعر متنفسه الى الراحة من ثقل الهموم ، وتناولت المرأة في رثائها تصوير ضعفها وذلتها ، فتحدث الحنساء عن شيها قبل أوان مشيها وعجزها وضعفها وجزعها وذلتها وكثرة دموعها ، وهى خير من صورت ما تلقاه في هذا ، تقول في رثاء صخر : (١) .

تقولُ نساءٌ شَبِتَ من غيرِ كَبْرَةٍ

وأيسرُ مما قد لقيتُ يُشيبُ

أقول ابا حسان لا العيشُ طيبٌ

وكيف وقد أفردتُ منك يطيّبُ

ذَكَرْتُكَ فاستعبرتُ والصدرُ كاظمٌ

على غصّةٍ منها الفؤادُ يذوبُ

(١) ديوان الحنساء ص ١٥ - ١٦ .

لعمري لقد أوهيت قلبي عن العزَا

وطأطأت رأسي والفؤادُ كئيبُ

لقد قصمتُ مني قناةً صليبيَّةً

ويُقصِّمُ عُودُ النَّصْبِ وهو صليبيُّ

ولكثره نواح المرأة وبكائها ، صار شعرها يدور حول موضوعات واحدة لا يجاوزها ، تتصل بوصف الفراغ الذي تركه المرثي وتعداد فضائله ، فمعانيها تدور في اطار ضيق ، ولذلك قلما نجد في شعرها الحكمة والتأمل والنظر الى فلسفة الحياة والمصير ، ونظرتها بعامة جزئية فردية ، وتكثر في شعر النساء أيضا عبارات وألفاظ تتكرر وتعاد مثل : (لهفى) و (ويلي) و (سيدنا) و (مولانا) وما الى ذلك (٢) .

وقد كان الرجل في الجاهلية يأتي أفعالا تشبه ما تأتيه المرأة من أفعال الجزع والهلع من ذلك أنه كان يعقر الابل على قبر من يحب اكراما له وتحية لثواه ، وكان ممن عقرت الابل على قبره ، ربيعة بن مكرم (٣) ، وقال الشاعر الذي عقر ناقته على قبر النجاشي : (٤)

(٢) ينظر مثلا ديوان الخنساء ص ٢١ ، ١٢٤ ، ١٥٣ .

(٣) العقد الفريد ١١٦/١ .

(٤) الكامل ١٢٥٠/٣ .

عقرت على قبر النجاشي ناقتي

بأبيض عَضْبٍ أَخْلَصْتَهُ صِياقْلُهُ

على قبرٍ من لو أننى متُّ قبلَه

لهانت عليه عند قبري رواجِلُهُ

وكان بعضهم يحيى رفيقه بعد موته بصب الخمر على قبره ، ولعل ذلك جاء مما يفعله الندمان عند ما يشربون الخمر عند قبر صديقهم ، مثل الاعشى الذى شهر بالحمرة ، فيقال ان رفاقه وندماءه صاروا بعد موته يشربون عند قبره ، وتدور الكأس ، فاذا جاء نصيب الاعشى صبوا الخمر على قبره ولهذا كان قبره رطبا نديا . (٥) ويقول الاسدى فى رثائه لنديمه : (٦)

أقيم على قبريكما لستُ بارحا

طوال الليالي او يُجيب صداكما

أصبُّ على قبريكما من مُدَامَةٍ

فان لم تذوقاها أبلُّ ثراكما

(٥) الاغانى ١٢٦/٩ - ١٢٧ .

(٦) شرح المرزوقى للحماسة ٨٧٧/٢ - ٨٧٨ .

وأبكيكما حتى الممات وما الذي

يردُّ على ذى عولةٍ ان بكأكما

أو أن يلجأ في استعظام المصيبة الى المبالغة واشراك الطبيعة في أحزانه ، يقول
النابغة الذبياني في رثاء حصن بن حذيفة الفزارى ، كيف تبقى الجبال راسخة
لم تنجح للوقوع ، ولم تنشر القبور موتاها ، ولم تسقط السماء نجومها ، وقد
جاء النعاة بنعى حصن بن حذيفة : (١)

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفرُ سهم

وكيف بمحصنٍ والجبالُ جنوحُ

ولم تلفظِ الأرضُ القبورَ ولم تزل

نجومُ السماءِ والأديمُ صحيحُ

فعمَّا قليلٍ ثم جاش نعيُّه

فباتَ ندىُ القومِ وهو ينوحُ

وقد ذهب بعض الرثاة الى استبكاء أسلحة الفقيد وأمواله ، فذكروا بكاء

(١) ديوان النابغة ص ٢١٣ .

فرسه بعده وجمله وسيفه ودرعه وغير ذلك (٢) •

ولعل خير المرائى وأطرفها هي التي قالها الشعراء في رثاء أنفسهم عند احساسهم بدنو أجلهم أو وقوعهم في شدة أو أسر أو مرض ، وكثير أولئك الشعراء الذين ذكروا الموت وناحوا على أنفسهم وأوصوا أهلهم بما يفعلونه بعد موتهم ، أو أرسلوا خيالهم فيما سيكون من أمرهم بعد الموت ، ومن ذلك قول المتلمس يوصى أصحابه بعد موته : (٣)

خليلي إمامتُ يوماً وزُحزحتُ

منايا كما فيما يُزحزحه الدهرُ

فمراً على قبري فقوماً فساماً

وقولا سقاكَ الغيثُ والقطرُ يا قبرُ

كأن الذي غيبتَ لم يلهُ ساعةٌ

من الدهرِ والدنيا لها ورقٌ نضُرُ

ويتساءل السموأل ، ماذا تقول النساء في نواحه بعد موته : (٤)

(٢) ديوان الخنساء ص ٤٠ •

(٣) ديوان المتلمس ص ٢٥٦ •

(٤) ديوان السموأل ص ٨٦ وفي طبقات الشعراء ص ٢٤٠ منسوبة لشعبية

ابن الغرييض •

يأليت شعري حين أندبُ هالكا

ماذا تؤبني به أنواحي

أيقنن لا تبعدُ فربَّ كريمةٍ

فرجتها بشجاعةٍ وسماحٍ

وقد أسرت تيم عبد يغوث بن صلاة ، وشدوا لسانه بنسعة لثلا يهجوهم ،
ثم أطلقوا لسانه وقطعوا عرقه الاكحل فصار ينوح على نفسه ويبكيها : (٥)

أقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ

أمعشرَ تيمٍ أطلقوا من لسانيا

أمعشرَ تيمٍ قد ملكتم فأسججوا

فان اخاكم لم يكن من بوائيا

أحقا عبادَ الله أن لستُ سامعا

نشيدَ الرِعاءِ المعززينَ المتاليا

وكذلك فعل أفنون (صريم بن معشر) الذي لدغته حية في موضع

(٥) الامالى ١٣٣/٣ والعهده الفريد ٣٩٦/٣ .

الالاهة ، فقال يرثي نفسه ويخاطب أخاه معاوية : (٦)

ألا لستُ في شيءٍ فروحا معاويا

ولا المشفقاتُ اذ تبغنَ الحوازيا

فلا خيرَ فيما يكذبُ المرءُ نفسهُ

وتقوالهٍ للشئِ ياليتَ ذالبا

فطأ مغرِضاً ان الحتوفَ كثيرةُ

وانك لا تُبقي بمالكَ باقيا

لعمرك ما يدري امرؤُ كيف يتقي

اذا هو لم يجعلْ له اللهُ واقيا

كفي حزننا أن يرحل الحيُّ غدوةً

وأصبحُ في اعلى الآهةِ ثاويا

(٦) المفضليات ٢٦١ والعقد الفريد ٣/٤٧ - ٢٤٨ .

ويتمزج هنا الالم بالحكمة والتبصر بعواقب الحياة ، وبمثل هذه النظرة
الحكيمة الى الموت نظر أعشى نهشل ، وهو يتفكر في موته ومصيره ويلتمس
العزاء بمن سبقوه الى القبور (١) ، أما الممزق العبدى فقد كان أحسن من
غيره خيالا وتصويرا لما يكون من أمره بعد أن يسقى كأس المنية ويجرى عليه
حكم الدهر الذى لا يخطيء أحدا ، فيصور كيف سيرجلون شعره ويلبسونه
ثيابا جديدة هي أكفانه ، ويحملونه على نعش ويوسدونه التراب ، ثم يطبقون
عليه حضرتة ويتركونه ثم وحيدا تتناوح على قبره الرياح ، ويوصى من بعده -
أو يوصى نفسه - بان لا يجزع فالكل الى ذهاب ، وان للدهر رمية بسهام
خفية لا ريش لها ولا فواق : (٢)

هل للفتى من بناتِ الدهر من واقِ

أم هل له من حَمَامِ الموتِ من راقِ

قد رَجَلوني وما رُجِلْتُ من شَعَثِ

وَألبسونى ثيابا غيرَ أخلاقِ

وَرَفَعُونى وقالوا أيُّما رجلِ

وأدرجونى كأنى طىُّ مِخْرَاقِ

(١) شعره فى ديوان الاعشى - الصبح المنير ص ٣٠٦ .

(٢) الفضليات ص ٣٠٠ .

وأرسلوا فتيةً من خيرهم حسبا

ليُسندوا في ضريح التُّرب أطباقي

هونٌ عليك ولا تولعُ بإشفاقِ

فانما مالنا للوارث الباقي

كأنني قد رمانى الدهر عن عُرضِ

بنافذاتِ بلا ريشِ وأفواقِ

أما علقمة بن سهل ، فإن نفسه تتبع ماله بعد الموت ، فيذكر أن ماله بالامس سيكون لغيره غدا ، بعد أن يقتسم ذووه ومواليه أمواله ، ويترك هو في قبره وحيدا لا يعنى به أحد : (٣)

فلن يعدمَ الباقون قبرا لجتني

ولن يعدمَ الميراثَ مني المواليا

حراصٌ على ما كنت أجمع قبلهم

هنيئاً لهم جمعي وما كنتُ واليا

(٣) الحيوان ١/١٢١ .

ودُلِّيتُ في زوراءَ ثمتَ أعنقوا

لشأنهمُ قد أفردوني وشانيا

فأصبح مالي من طريفٍ وتالدي

لغيري وكان المالُ بالأمسِ ماليا

وإذا جئنا الى العصر الاسلامي سنجد هدية بن الحشرم يذكر نفسه عندما يقدم لتضرب عنقه قصاصا ، وله أشعار كثيرة في ذلك (٤) .

وأروع ما قيل في رثاء النفس قصيدة مالك بن الريب غير مدافع ، التي قالها حين كان في جيش سعيد بن عثمان بن عفان قافلا من أرض فارس ، وقد نهشته أفعى ، فقال قصيدته الطويلة الرائعة التي أولها : (٥)

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً

بجنب الغضا أزجي القلاصَ النواجيا

وفيها تصوير دقيق لاحوال المحتضر الذي يشعر بالموت يدب في جسمه ، فهو يوصي أصحابه كيف يؤدون حقه بعد الموت ، وينظر ما سيكون من أمر أهله وبكاتهم عليه .

(٤) الاغاني ٢٦٤/٢١ - ٢٧٦ ، وينظر شعر هدية بتحقيقنا .
(٥) ذيل الامالي والنوادر ١٣٦/٣ - ١٣٨ . وجمهرة أشعار العرب ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

وأكثر الرثاء كان متوجها للرجال ، ذوى الشأن والمكانة فى القبيلة خاصة ، وهناك أشعار فيها جوانب انسانية من البر والحنان والوفاء والصحبة ، هى تلك الاشعار التى قيلت فى رثاء الزوجات ، ومن الازواج الذين ذكروا زوجاتهم فى الجاهلية عمرو بن قيس بن مسعود المرادى ، الذى خاطب سعيدة أخت زوجه أو ابنتها بقوله : (١)

سَعِيدُ قَوْمِي عَلَى سَعْدَى فَبِكِّيهِا

فَلَسْتُ مَحْصِيَةً كُلَّ الَّذِي فِيهَا

فِي مَا تَمَّ كَطِبَاءِ الرُّوْضِ قَدْ قَرَحَتْ

مِنَ الْبِكَاةِ عَلَى سَعْدَى مَا قِيَهَا

وكذلك فعل العوام بن كعب المازنى (٢) . وقد كثر هذا الضرب من البكاء على النساء فى العصور المتأخرة ، وقد لاحظ القدامى أن هذا الضرب من الشعر صعب ، ولعل مرجع ذلك الى العرف السائد فى أن يكون الرجل جلدا صبورا قليل الجزع ، ولذلك يقول ابن رشيق : « ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات » (٣) .

ويلاحظ فى قصائد الرثاء عامة - وبخاصة القصائد الطويلة الجيدة - أنها تبدأ بالحكمة والتفكر فى الايام وصروف الزمان ، وقد يطيل الشاعر فى ذكر

(١) معجم الشعراء ص ٦٠
(٢) معجم الشعراء ص ١٦٤
(٣) العمدة ١٥٤/٢

الحكمة وتقلب الرأي في أفاعيل الزمان ، كما فعل لييد في كثير من قصائده
في رثاء أخيه أربد أو في رثاء النعمان بن المنذر الذي بدأ قوله فيه بهذا
التساؤل : (٤)

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ

أنحبُّ فيُقضى أم ضلالٌ وباطلٌ

حبائلهُ مبثوثةٌ بسبيله

ويَفنى إذا ما أخطأتهُ الحبائِلُ

وتكثر في الرثاء ألفاظ ، من مثل : (لا تبع) ، تقول أخت قبيصة بن
ضرار في رثاء أخيها (٥) :

لا تبعدنَّ وكلُّ شيءٍ ذاهبٌ

زينَ المجالس والندي قبيصا

ويقول تابط شرا في رثاء الشنفرى : (٦)

-
- (٤) ديوان لييد ص ٢٥٤
 - (٥) شرح الحماسة - المرزوقي ١٠٥٣/٣
 - (٦) الوحشيات ص ١٣٠

فلا يبعدنَّ الشَّنْفَرَى وسلاُحه الح

ديدُ وشدُّ خطوه المتواتر

ويقول لبيد : (٧)

فلا تبعدنَّ إنَّ المنيةَ موعدُ

عليك فدانٍ للطلوعِ وطالعُ

ويكثر كذلك الدعاء بالسقيا لقبر الميت ، وكثيرا ما ينجىء هذا الدعاء ختما
للقصيدة ، وان لم يكن ذلك شرطا ، يقول متمم في رثاء أخيه مالك : (٨)

سقى الله أرضاً حلتها قبرُ مالكِ

ذهاب الغوادى المدجناتِ فأمرعا

وتقول الخنساء لآخيها صخر : (١)

(٧) ديوانه ص ١٧١ .

(٨) المفضليات ص ٢٦٨ وشعر مالك ومتمم ص ١١٢ .

(١) ديوان الخنساء ص ١٥ .

سقيا لقبرك من قبر ولا برحت

جود الرواعد تسقيه وتحتلب

وكذلك يقول المهلهل لاخته كليب : (٢)

سقاك الغيث انك كنت غيثا

ويسرا حين يلتمس اليسار

والامثلة في هذا أكثر من أن تحصى .

وقد لاحظوا في قصائد الرثاء أنها قلما تبدأ بالغزل ، بل يشينها أن تبدأ به ، فمواضع الحزن لا يليق بها التفكير بالمرأة والتشبيب بها ، يقول ابن رشيق : « وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء ، وقال ابن الكلبي - وكان علامة - لا أعلم مرثية أولها نسيب الا قصيدة دريد بن الصمة : (٣)

أرثَ جديداً الحبلِ من أم معبدِ

بعاقبة وأخلفت كلَّ موعدِ

(٢) شعراء النصرانية ١٦٣/١ .

(٣) العمدة ١٥١/٢ والشعر في الاصمعيات ص ١٠٦ - ١٠٨ .

وفى القصيدة يقول :

وبانت ولم أحمدك جوارها
ولم ترجُ فينا ردة اليوم أو غدِ
أعاذل ان الرزءَ في مثل خالدِ
ولا رزءَ فيما أهلك المرءُ عن يدِ
تنادوا فقالوا أردت الخيلُ فارسا
فقلت أعبدُ الله ذلكم الردى
وان يكُ عبدُ الله خلى مكانه
فما كان وقافا ولا طائشَ اليدِ

وقد التمسوا لدريد عذرا بأنه قال قصيدته « بعد قتل أخيه بسنة وحين أخذ نأره وأدرك طلبته » ، (٤) .

على أن ابن رشيقي لم يكن دقيقا فى حكمه ، فقد سقطت فى الشعر الجاهلى أشعار مبدوءة بالغزل ، من ذلك قصيدة المرقش الاكبر الذى رثى ابن عمه ، وقد بدأها بذكر الديار والغزل بأسماء ، ثم انتقل الى الرثاء ، والقصيدة هى التى أولها : (٥)

(٤) العمدة ١٥٢/٢ .
(٥) المفضليات ص ٢٣٧ .

هل بالديار ان تُجيبَ صممٌ

لو أن رسماً ناطقاً كلّمٌ

ومهد أبو ذؤيب الهذلي لرتاء نشية بن محرث بالغزل بأمر عمرو في
قصيدته التي أولها : (٦)

هل الدهرُ الاليلةُ ونهارُها

والاطلوعُ الشمسِ ثم غيارُها

وكذلك يبدأ ليبد رثاءه لآخيه أربد في إحدى قصائده بذكر المرأة
فيقول : (٧)

طربَ الفؤادُ وليته لم يطربِ

وعناهُ ذكري خلةٍ لم تصقبِ

ونلاحظ أن هذه القصائد جميعاً تبدأ بالغزل وفيها ألم وشكوى وعتاب

(٦) ديوان الهذليين ٢١/١ . وكذلك بدأ ربيعة بن جحدر اللحياني قصيدته
(٧) ديوان ليبد ص ١٥٦ . وشرح أشعار الهذليين - السكري
٦٤٤/٢) تغزل غوية بن سلمى بن ربيعة بأمامة في قطعة يرثي بها
قومه (شرح الحماسة - المرزوقي ١٠٠٢/١) .

وروح حزين ، كل ذلك يمهد للانتقال الى الرثاء ، أى أن الجو السائد فى القصائد هو جو حزين ، فيه ألم وشجا وحكمة وتفكر ، ولذلك ينتقل لبيد الى الرثاء بقوله : انه لم يطع العواذل وقد زجر قلبه عن الصبا والهوى ، وعدل عما هو فيه الى الرثاء فقال متعزيا : (١)

فتعزَّ عن هذا وقل في غيره

واذكر شمائل من أخيك المنجيب

يا أربد الخير الكريم جدوده

أفردتني أمشي بقرنٍ أعضب

وكثيرا ما يكون حديث الشاعر مع المرأة فى القصيدة وسيلة الى ذكر الميت ، وانه لا يعنيه فراقها وصرمها ، فقد شغله أمر مفرح وخطب شديد ، كما فعل متمم بن نويرة ، الذى لا يبالي بفراق حبيته ، بل قد سعى الى ذلك الفراق ، يقول : (٢)

صرمت زنبه جيل من لا يقطع

جيل الخليل وللاماة تفجع

(١) ديوانه ص ١٥٦ .

(٢) المفضليات ص ٤٨ - ٤٩ وشعر مالك ومتمم ص ٩٣ .

ولقد حرّصتُ على قليل متاعها

يوم الرحيل فدمعها المستنقعُ

جذّي جبالك يا زبيبَ فاني

قد أستبدُّ بوصلٍ من هو أقطعُ

والرثاء حزن وبكاء ولوعة وتفجع ، ولذلك كان طبيعياً أن يكثر في هذا الشعر الحديث عن العين والدموع وغزارتها وحرقة العين وابعاءها الغمض والنوم ، فتمتم بن نويرة بصور غزارة دموعه بأن عينيه كأنهما دلو ممزق تجرى مياهه فتروى الديار والزررع (٣) ، وهذه الصورة - صورة القرية الممزقة - ترد في شعر أبي ذؤيب الهذلي (٤) ، والحسناء (٥) ، ويقول عدى بن زيد العبادي في رثاء نفسه : (٦)

ومالي ناصرُ الا نساء

أرا مل قد هلكن من النحيبِ

يحدرون الدموعَ على عدى

كشنُ خائنه خرزُ الريبِ

(٣) المفضليات ص ٢٧١ وشعر مالك و متمم ص ١٠٢ .

(٤) ديوان الهذليين ١/٨٦ .

(٥) ديوانها ص ٢٥ .

(٦) ديوان عدى ص ٤٠ .

أما المتخزل الهذلي فقد زاد الصورة بأن جعل عينيه مكحولتين بالصاب
فهما تجريان الدمع كما يجرى الماء من الدلو الممزق : (٧)

ما بالُ عَيْنِكَ تَبْكِي دَمْعَهَا نَخْضِلُ

كَمَا وَهَى سَرِبُ الْأَخْرَاتِ مَنْبِزِلُ

لَا تَقْتَأُ الدَّهْرَ مِنْ سَحٍّ بِأَرْبَعَةٍ

كَأَنَّ إِنْسَانَهَا بِالصَّابِ مَكْتَحِيلُ

وجعل أبو ذؤيب عينه لكثرة ما بكت ، كأنها سمت بالشوك فهي عور
تبكى على أبنائه الخمسة : (٨)

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا

سَمِلَتْ بِشَوْكٍ فِي عُورٍ تَدْمَعُ

أما الخنساء ففي عينها عوار ، وهي كثيرا ما تتحدث عن عينها
وتناجيها (٩) •

-
- (٧) ديوان الهذليين ٣٣/٢
 - (٨) ديوان الهذليين ٣/١
 - (٩) ديوان الخنساء ص ٧٣ و ٨٥

وقد أفتن شعراء الرثاء في اظهار الصور واثارة المشاعر ، ولا شك أن
أصدق الرثاء ما كان صادرا عن القلب ، وما كانت الفجیعة فيه أليمة شديدة ،
وليس أشد من فجیعة رجل جاءه نعي أبنائه الخمسة الذين سقطوا واحدا بعد
الآخر ، ففقدهم كلهم في عام واحد ، ذلك هو أبو ذؤيب الهذلي - خويلد بن
خالد - (١) فقد ذهب أولاده مع الجيش الفاتح لمصر ، فأصابهم الطاعون هناك
والشاعر وان كان اسلاميا ، الا أنه عاش أكثر زمانه في الجاهلية ، وأدرك
الاسلام وأسلم وحسن اسلامه ، فشعره - كشعر أكثر المخضرمين بن سكان
البادية - ألصق بالشعر الجاهلي وصفاته وخصائصه ، وليس هناك قصيدة -
فيما أحسب - تفوق هذه القصيدة بروعة معانيها وعمقها وانسانيتها وصدق
عاطفتها ، ولذلك أوتر أن أختتم بمقطع منها الحديث عن فن الرثاء ، يقول أبو
ذؤيب : (٢)

أمنَ المَنونِ وريبها تتوجعُ

والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ من يجزعُ

قالت أُميمةُ ما لجسمكَ شاحبا

منذ ابتذلتَ ومثلُ مالكَ ينفعُ

-
- (١) قال أبو عمرو بن العلاء : سئل حسان : من أشعر الناس ؟ قال حيا
أو رجلا ؟ قال حيا . قال : أشعر الناس حيا هذيل ، وأشعر هذيل
غير مدافع أبو ذؤيب . (طبقات الشعراء ص ١١٠) .
(٢) المفضليات ص ٤٢١ - ٤٢٢ والقصيدة طويلة في ٦٥ بيتا ، يتحدث
بعد هذه الابيات عن صراع حمار الوحش والثور مع الصائد وكلابه ،
ومصرع البطل ليلتمس بذلك العزاء والسلوى من قوة الاقدار وهول
الموت وحتميته .

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً

الا أفضّ عليك ذلك المضجعُ

فأجبتُها أمّما الجسمي أنهُ

أودى بنيّ من البلاد فودّعوا

أودى بنيّ وأعقبوني غصّة

بعد الرقادِ وعبرة لا تُقلعُ

سبقوا هوىّ وأعنقوا لهواهمُ

فتخزّموا ولكل جنب مصرعُ

فغبرتُ بعدهم بعيش ناصبِ

واخال أني لاحقٌ مستبَعُ

ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم

فاذا المنية أقبلت لا تُدفعُ

وإذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كلّ تيمية لا تنفعُ

فالعينُ بعدَهم كأنِ حدَّ آقِها
سَمِلتْ بِشوكِ فِهي عُورٌ تَدْمَعُ
حَتى كَأنى لِلحوادِثِ مَرؤةٌ
بِصفا المُشَرِّقِ كلِّ يَومٍ تُقَرِّعُ
وَتَجَلِّدِى لِلشامِتِينِ أَرِيبُهمُ
أنى لَرِيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعُ
والنَفسِ رَاغِبَةٌ إِذا رَغِبَها
وَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ
وَلِئِنَّ بِهمِ فَجَعَ الزَمانِ وَوِيبُهُ
إِنى بِأَهْلِ مَودَّتِى لَمُفجِّعُ
كَمِ مَنِ جَميعِ الشَمَلِ مَلتِئِمِ القَوى
كَانُوا بِعِيشِ قَبَلِنا فَتَصَدَّعُوا
والدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ
جَونُ السَراةِ لَهِ جَدانِدُ أَرَبِعُ

الهجاء

الهجاء تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص تبغضه او جماعة تنتقم منها ، والشاعر الهاجى ينفس بأهاجيه عما يعتلج فى صدره من ضغائن واحقاد ، ولذلك كان الهجاء سلاحا من أسلحة القتال ، يضعف الشاعر به معنوية خصومه ويرتبط بالوعيد والتهديد والانتقاص من أقدار الخصوم والبحث عن معايبهم •

ويرتبط الهجاء عادة بالحروب ويزدهر بازدهارها ، وكثيرا ما يسبقها ، فشأنه فى هذا شأن شعر الحماسة ، وكثيرا ما يختلط بالقصائد الحماسية ، وبخاصة الشعر الذى يتناول الهجاء القبلى •

والهجاء طبيعة فى النفس الانسانية ، جاء نتيجة تفاوت الناس فى حظوظهم من الرزق والجمال والجاه والسلطان ، والمنافسة عادة هى المحك الذى يدفع الناس الى الهجاء والتعبير عن شعورهم بالسخط تجاه الخصوم ، وقد كان الهجاء قديما أثرا من آثار حب الانتقام والتشفى والثأر وقد لازم الهجاء الانسان على مر العصور وان اختلفت وسائله وطرقه ، وكان الشعر وما زال الطريقة المثلى لفن الهجاء ، وكان الشر أفل صلاحا له ، وقد استعمل على نطاق ضيق ، كما

فى هجاء لبيد لبقلة تدعى التربة (١) ، وفى العصور المتأخرة استعمله الكتاب
العباسيون على نطاق واسع ، مثلما فعل الجاحظ فى رسالة التربيع والتدوير (١)
فى هجاء أحمد بن عبد الوهاب وقد تكفلت الصحافة فى العصر الحديث بهجاء
المعارضين والخصوم ، كما أدخلت فن (الكاريكاتير) للسخرية بالخصم
وتجسيد معايبه .

وقد كان هم الشعراء الهجائين الانتقاص والنيل من خصومهم واضحاك
الناس منهم ، ولذلك كان جرير - وهو من أعلام الهجاء - يوصى بقوله :
« اذا هجوت فأضحك » ، (٣) ، وقد برع فى هذه الناحية ابن الرومى فقد كان
يصور خصومه بصور هازئة مضحكة كما فى تصويره البخيل الذى يتنفس
لتقتيره من منخر واحد ، او وصفه الاحدب المصفوع ، او كقول جرير فى
هوان تغلب : (٤)

لو أن تغلب جمعت أحسابها

يوم التفاضل لم تزن مثقالا

ويقال ان بشارا كان يعد أشد ما هجى به قول حماد عجرد الذى عمد
الى عنصر الاضحاك من المهجو : (٥)

-
- (١) أمالى المرتضى ١٩٠/١ وينظر لبيد بن ربيعة ص ١٠٦ .
 - (٢) رسالة التربيع والتدوير تحقيق شارل بلات طبع المعهد الفرنسى
دمشق ١٩٥٥ .
 - (٣) العمدة ١٧٢/٢ .
 - (٤) ديوان جرير .
 - (٥) الاغانى ٣٣٣/١٤ .

ويا أقبحَ من قردٍ

إذا ما عميَ القردُ

ولا شك ان نشأة الهجاء كانت مرتبطة بالعصبيات القبلية ، وما تثيره من حروب وأحقاد ، فالشاعر لسان القبيلة انذى يذب عنها ويهجو خصومها ، ولذلك تجد الهجاء مرتبطا بالفخر من ناحية وبالمدح من ناحية ثانية ، مرتبطا بالفخر حين يكون هجاء قبليا تحركه الحروب او رغبة فى الانتقام أو الثأر ، ومرتبطا بالمدح حين يتوجه الشاعر الى مديح شخص يرجو نواله فيعرض بخصم ممدوحه وينال منه ، فيقيم هجاءه على عنصر المفاضلة والمخايرة ، وهذا أشد الهجاء وأقبحه ولذلك حين نهى عمر بن الخطاب الحطيئة عن الهجاء المقذع سأله الحطيئة: وما المقذع ؟ فأجاب: « أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ، وتبنى شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم » • (١) وكان الحطيئة قد مدح بغيضا وهجا الزبرقان بقوله : (٢)

ما كان ذنبُ بغيضٍ أن رأى رجلا

ذا فاقةٍ عاش في مستوعرٍ شاسٍ

جارا القومِ أطالوا هونَ منزلهِ

وغادروه مقيما بين أرماسٍ

(١) العمدة ١٧٠/٢ •

(٢) ديوان الحطيئة ص ٢٨٣ - ٢٨٤ •

مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتُهُ كَلَابُهُمْ

وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقد عزا العرب القدامى الاثر الذي يتركه الهجاء في النفوس الى فعل السحر ، وقرنوا بين السحر والهجاء للغموض الذي يحيط بهما والرغبة التي يتركها السحر والهجاء في النفوس ، ولذلك عزوا الهجاء الى ايجاد وعون الشياطين وزعموا ان لكل شاعر تابعا أو هاجسا من الجن ، فالشاعر حين يهجو يستعين بشيطانه لاستمطار اللعنات على خصومه ، كما يستعين الساحر بالارواح الشريرة على الحاق الاذى بمن يريد سحرهم ، وقد ذكر الشعراء أنفسهم أن لهم شياطين تعينهم على الشعر وسموا تلك الشياطين ، يقول الاعشى انه استعان بشيطانه (مسجل) على هجاء خصومه الذين دعوا شيطانهم (جهنم) : (٣)

فلما رأيت الناسَ للشر أقبلوا

وثابوا الينا من فصيحٍ وأعجمٍ

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له

جهنمَ جدعا لليجين المذممِ

حبابي أخي الجنى نفسي فداؤه

بأفصح جياش من الصدر خضرم

(٣) ديوان الاعشى ص ٩٥ - ٩٦ .

وكذلك صور سويد بن أبي كاهل خصومه مع شاعر آخر فأعانه
شيطانه وظهر على شيطان خصمه فجعله يولى هاربا : (٤)

فرّ مني هاربا شيطانه

حيث لا يعطى ولا شيئا منع

وأتاني صاحب ذو نغيث

زفان عند انقاد القرع

قال لبك وما استصرخته

حاقرا للناس قوال القذع

ذو عباب زبد آذيه

خبط التيار يرمي بالقلع

وقد افتخر أبو النجم العجلي في مراجعة العجاج بان شيطانه ذكر
وشيطان غيره أثنى : (٥)

(٤) المفضليات ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
(٥) الشعر والشعراء ص ٦٠٣ وينظر الحيوان ٢٢٩/٦ فيه أخبار وأشعار
عن شياطين الشعراء .

انى وكلُّ شاعرٍ من البشر

شيطانُه انشى وشيطانى ذكرُه

ومن طريف ما يروى أن جريرا حين هجا الراعى وابنه بقصيدته التى
يقول فيها : (٦)

فغض الطرفَ إنك من نميرٍ

فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

رحل الراعى وابنه فلما وصل الى قومه وجد الشعر قد سبقه اليهم ،
ويقسم الراعى بالله ما بلغها انسى ، وان لجرير لاتباعا من الجن ، فتشاءمت به
بنو نمير وسبوه وسبوا ابنه (١) .

ولصلة الشعر هذه بالسحر ، نسبوا القوة الخفية الى الشر فقالوا :
(شيطان الشعر) ، ولم ينسبوا للخير فيقولوا : (ربة الشعر) كما كان
اليونان يفعلون (٢) . ولعل هذه الصلة - صلة الشعر بالسحر والشياطين -
ان كان الشعراء عند الهجاء يلبسون أزياء غريبة ويمسحون هيئاتهم كما يفعل
السحرة ، وقد روى عن لييد حين هاجى الربيع بن زياد فى مجلس النعمان ،

(٦) ديوان جرير ص ٨٢١ .

(١) خزانة الادب ٣٥/١ .

(٢) الهجاء والهجاؤون فى الجاهلية ص ٥٩ .

وكان الربيع يكيّد لقومه الجعفرين من بنى عامر ، فأدخل لييد على النعمان وقد حلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حلة ، وقد دهن أحد شقى رأسه وأرخی ازاره وانتعل نعلا واحدة ثم صار يهجو خصمه ، ويقول المرتضى : « وكذلك كانت الشعراء تفعل فى الجاهلية اذا ارادت الهجاء » (٣) • ولهذا كان العرب يخشون الهجاء لارتباطه بالسحر واللعنات ، ويرون ان شعر الهجاء يجلب النحس ويورث الشر والمرض ، وما الهجاء الا دعوة ساخطة يدعوها ساخط او غاضب ، يروى أن قريشا حين أخذت خبيبا لتصلبه دعسا عليهم ، فألقى أبو سفيان ابنه معاوية أرضا خوفا من دعوة خبيب ، وكان خبيب قد قال : « اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم احدا » وكانت العرب تزعم ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه (٤) وقد كانوا اذا أسروا شاعرا شدوا لسانه لثلا يهجوهم ، كما فعلت تميم مع عبد يغوث بن صلاة الذى يقول : (٥)

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة

أمعشرَ تيممَ أطلقوا عن لسانيا

وكانت العرب تخشى الهجاء وتفرق منه وبخاصة الاشراف ، فقد كانوا يكون بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، كما بكى مخارق بن شهاب وعلقمة ابن علاثة ، وكذلك عبد الله بن جدعان وكان هجاء خداس بن زهير (٦) •

-
- (٣) أمالى المرتضى ١/١٩١ وتاريخ العرب الادبى ص ١٢٩ •
 (٤) السيرة النبوية ٣/١٧٣ •
 (٥) الفضليات ص ١٥٧ والبيان والتبيين ٤/٤٥ •
 (٦) الحيوان ١/٣٦٤ •

وقد كان من خوفهم من الهجاء وأثره في نفوسهم انهم اذا هجاهم شاعر بسوءة - ولو كانت مقتراة - فانهم يتوارون منها خجلا ، لانها تلازمهم وتلصق بسمعتهم ، من ذلك ما كان من أمر بني العجلان الذين كانوا يباهون بلقب جدهم وهو عبد الله بن كعب العجلان ، سمي بذلك لتعجيله القرى للاضياف ، وظل هذا اللقب مصدر فخر وزهو لهم ، حتى هجاهم قيس بن عمرو التجاشي بقوله :

أولئك أخوالُ اللعينِ وأسرَةُ الـ

سهجينِ ورهطِ الواهِنِ المتذللِ

وما سُمِّيَ العجلانَ الا لقولهم

خذ القَـبَّ واحلبْ أيها العبدُ واعجِل

فصار هذا اللقب سوءة وسبة ، وكان أحدهم اذا سئل : ممن الرجل ؟ أجاب : كعبي ، أي من بني كعب متجاوزا عن العجلان (١) . وكذلك كان حال بني عبد المدان الذين بارك الله لهم بسعة الصدور وطول الاجسام وغلظتها ، فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم حتى كسفهم حسان حين هجاهم بقوله : (٢)

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ

جسم البغال وأحلام العصافير

(١) زهر الآداب ١٩/١ .

(٢) ديوان حسان ص ٢١٤ والعقد الفريد ٥/٣٢٨ .

فصاروا يتوارون من الناس ويضائلون اجسامهم خجلاً من غلظها •

وقد بلغ من أثر الهجاء فى نفس النعمان بن المنذر ان طرد صاحبه
ونديمه الربيع بن زياد لقرية افتراها لييد ، فقد هجاه ورماه بالبرص حين كان
الربيع يؤاكل النعمان ، قال : (٣)

مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكلُ معه
ان استهُ من برصٍ مأمعة
وانه يُدخلُ فيها اصبعه
يدخلها حتى يوارى أشجعة
كأنه يطلب شيئاً أودعه

فسخط النعمان ونفر من الربيع وأمره بالانصراف الى أهله ، ولم ينفعه
بعد ذلك اعتذاره •

وكان أشراف الناس ووجوه القوم وذوو المكانة فيهم من القادة والرؤساء،
هم أشد الناس خوفاً من الهجاء وفرقا منه ، ولذلك يتصدى شعراء الهجاء
لذوى الشرف والمكانة من الناس والقبائل ويسلم من الهجاء صغار القوم
والقبائل الحاملة ، يقول الجاحظ : « واذا بلغ السيد فى السؤدد والكمال حسده

(٣) أمالى المرتضى ١/١٩١ - ١٩٣ وانظر لبيد بن ربيعة ص ١٠٦ •

من الاشراف من يظن أنه الاحق به ، وفخرت به عشيرته ، فلا يزال سفيه من شعراء تلك القبائل قد غاضه ارتفاعه على مرتبة سيد عشيرته فهجاه ، ومن طلب عيبا وجده ، فان لم يجد عيبا وجد بعض ما اذا ذكره وجد من يغلط فيه ويحمله عنه ، ولذلك هجى حصن بن حذيفة ، وهجى زرارة بن عدس ، وهجى عبد الله بن جدعان ، وهجى حاجب بن زرارة « (٤) » . ولهذا كانت القبائل تعتز بشعرائها الذين يذبون عنها وينوهون بشرفها ويردون خصومها ، وكانت منزلة الشاعر الذائد عن خياض قبيلته رفيعة كريمة ، وكان يقدم على الخطيب ، كما روى الجاحظ عن ابى عمرو بن العلاء : « كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم من غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، « (٥) » . وابو عمرو هنا يبين وظيفة الشاعر فى القبيلة ويحدد واجباته فى الذب عن قومه ، ولذلك كان الشعر سلاحا من أسلحة الحرب ، ووسيلة من وسائل القتال فى الدفاع او الهجوم .

ولعل هدية بن الحشرم أوضح من بين واجبه تجاه قبيلته وشخذ لسانه لهجاء من يعادىها وشهر شعره سلاحا للذود عنها ، يقول : (١)

انى من قضاة من يكدها

أكدهُ وهي منى فى أمانِ

- (٤) الحيوان ٩٣/٢ .
 (٥) البيان والتبيين ٢٤١/١ .
 (١) شرح الحماسة - المرزوقى ٤٧٢/١ - ٤٧٣ .

ولستُ بشاعرِ السّفَسافِ فيهم

ولكن مدره الحرب العوان

سأهجو من هجاهم من سواهم

وأعرض منهم عمّن هجاني

ويوضح حيان بن ربيعة كيف تتظافر السيوف والشعر عند استعار نار الحرب ، فيتناولون خصومهم بسلاح الشعر واسلحة الحديد : (٢)

لقد علم القبائلُ أن قومي

ذوو جدٍ إذا لُبِسَ الحديدُ

وأنا نعم أحلاسُ القوافي

إذا استعر التنافرُ والنشيدُ

وأنا نضرب الملحاءَ حتى

توتلى والسيوف لنا شهودُ

وقد صور جرير في محاورة له مع الراعي كيف وظف لسانه في خدمة

(٢) المصدر السابق ٢٨٨/١ - ٢٨٩ .

قبيلته ، فيشهر هجاءه بوجه من يتصدى لها ، ففي الاغانى : « لقي جرير الراعى فقال له : ان اهلك بعثوك مائرا ، وبئس والله المائر أنت ، وانما بعثنى أهلى لاقعد لهم على قارعة هذا المربد فلا يسبهم أحد الا سيته ، فان على نذرا ان كحلت عينى بغمض حتى أخزيك ، (٣) » .

وقد نظر النقاد القدامى فى الهجاء ، فرأوا أن أشده وقعا فى النفوس وأكثره ايلاما ما كان صادقا عفيفا لا فحش فيه ولا افذاع ، وقد كان أبو عمرو ابن العلاء يقول : « خير الهجاء ما تنشده العذراء فى خدرها فلا يقبح بمثلها ، نحو قول أوس :

إذا ناقةٌ شُدَّتْ برحلٍ ونمِرقٍ

الى حَيْكَمِ بَعْدِي فَضْلًا ضَلَّالُهَا^(١)

وكانه نظر الى الهجاء المقذع على انه سباب وشتيمة يستطيع ان يتفوق فيها عامة الناس ، والهجاء الذى يبقى عالقا فى النفوس هو الذى تكون صياغته جميلة ، ومعانيه عميقة ذات دلالة ، تنال من المهجو بأسلوب ذكى طريف ، كأن يتخذ طريقة الاستهانة بالخصم أو تجاهله أو التشكيك به كما فعل زهير ابن أبى سلمى فى آل حصن اذ قال : (٥)

(٣) الاغانى ١٧٠/٢٠ ط بولاق .
(٤) العمدة ١٧٠/٢ وفى ديوانه ص ١٠٠ : الى حكم بعدى .
(٥) ديوان زهير ص ٧٣ - ٧٤ والعمدة ١٧١/٢ .

وما أدري وسوف أخالُ أدري

أقومُ آلُ حصنِ أمِ نساءُ

فان تكن النساءُ محبّاتٍ

فحقُّ لكلِّ مُحصنةٍ هِدَاءُ

وقد عد النقاد هذا الشعر من أشد الهجاء وأمضه ، مع أنه ترفع عن السباب والقذف والافحاش ويكون هذا مصداقا لرأى الجرجاني في جيد الهجاء : « فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والافحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه الا اقامة الوزن وتصحيح النظم » (١) ، ولا شك ان عفة الهجاء وصدقه من أسباب نجاحه وسيرورته على اللسان ، لان الناس لا تصدق الكاذب المقترى المتحامل ، ولكن اذا رأت في الهجاء شيئا من الحقيقة تميل مع الشاعر في تصديقه في كل ما يهجو به صاحبه ، وقد أدرك خلف الاحمر هذه الحقيقة فقال : « أشد الهجاء ما عف لفظه وصدق معناه » (٢) .

وللشعراء في هجائهم طرق وأساليب ، فمنهم الذي يحتال في اتخاذ الوسائل الهادئة الذكية الموجهة ، كأن يهزأ بخصمه او يسفه رأيه او يقارنه بغيره ويفضل عليه عن طريق التعريض والتلميح ، ومنهم الذي يهجم على خصمه فيذكره صراحة وينهال عليه تهديدا ووعيدا وانذارا وشتيمة ، ولا

(١) الوساطة ص ٢٢ .

(٢) العمدة ١٧١/٢ .

شك ان الاسلوب الاول أحذق وأليق وأشد ذكاء وأكثر ايجاعا ، فهو في هجائه يكسب السامع او القارىء ولا ينفره ، في حين ان الثانى يبدأ بالخصومة ويجاهر بالعداوة فيميل السامع الى المهجو على انه مظلوم معتدى عليه .

وقد مر بنا كيف ان زهيرا حين هجا آل حصن شكك فيهم وتجاهل قدرهم ونال من خصومه بمنطق وحسن احتيال ، وهو بارع فى هجائه يتبع فى قصيدته اسلوب النصح وبيان العواقب واظهار السوات ، ويمزج كل ذلك بشيء من الانذار والتخويف ، يقول : (٣)

واما أن يقول بنو مَصَادِرِ

اليكم اننا قوم براء

واما أن يقولوا قد أينا

وشرُّ مواطن الحَسَبِ الإباءُ

واما أن يقولوا قد وَفينا

بذمتنا وعادتنا الوفاء

فان الحق مقطعه ثلاثُ

يمينُ أو نِقَارُ أو جَلَاءُ

(٣) ديوانه ص ٧٤ - ٧٥ و ٨٤ - ٨٥ .

فمها آل عبد الله عدوا

مخازي لا يدب لها الضراء

أرونا سنة لا عيب فيها

يسوي بيننا فيها السواء

فان تدعوا السواء فليس بيني

وبينكم بني حصن بقاء

ويبقى بيننا قدح وتلفوا

إذا قوما بانفسهم أساءوا

وتوقد ناركم شررا ويرفع

لكم في كل مجمعة لواء

ففرى زهيرا اتبع اسلوب النصح ودعاهم الى الروية والتبصر بالعواقب
وايثار القصد ، وحاجتهم محاجة منطقية ، فان لم يلتزموا السبيل السوي فانه سوف
ينالهم بلسان سليط وهجاء شديد ولا يلومون بعدها الا انفسهم • ويقال ان آل
حصن جاءوا بعد هذه القصيدة الى زهير يعتذرون اليه •

ومن الشعراء من تناول خصمه بالهجاء الساخر ، فاستهزأ به وتجاهل
قدره وحط من شأنه وانكر عليه فخره ، وسلبه كل مكرمة ، كما فعل الحطيئة

في هجاء قدامة العبسي وقومه : (١)

قدامةُ أمسى يَعْرُكُ الجَهْلُ أنْفَهُ

بجداء لم يُعْرَكْ بها أنْفُ فأنخرِ

فخرتم ولم نعلم بجادثِ مجدكم

فها تَهْلُمُّ بعدها للتنافرِ

ومن أنتم أنا نَسِينا من أنتمُ

وريحكم من أي ريحِ الأعاصِرِ

فهذي التي تأتي على كلِ منهجِ

تبوعُ أم القَعواءُ خلفَ الدوابِرِ

متى جئتمُ إنا رأينا شخوصكم

ضئالا فيما ان بيننا من تفاكرِ

وأنتم أولي جئتم مع البقلِ والدِّبَا

فطار وهذا شخصكم غيرُ طائرِ

(١) ديوان الحطيثة ص ٣١٠ .

أريحوا البلادَ منكمُ وديبيكمُ

باعراضنا فعلُ الإماءِ العواهِرِ

ومن أخبث الهجاء ذلك الذى يتخذ شكل المقارنة والمخايرة ، فيوازن الشاعر بين من يريد هجاءه وبين من يريد مدحه ، فيجعله أقل شأنا ، فيشعره بالضعة والحقارة والانحطاط ، وقد برع الخطيئة فى هذا الضرب من الهجاء أيضا ، فتراه يقول هاجيا الزبرقان بن بدر ، ومادحا بنى أنف الناقة : (٢)

ألم أكُ جارَكم فتركتموني

لكلي في دياركمُ عواءُ

وآنيتُ العشاءَ الى سُهيلِ

أو الشّعري فطال بيَ الأناءُ

فلما كنتُ جارَكمُ أبيتُم

وشرُّ مواطنِ الحَسبِ الإباءُ

ولما كنتُ جارَهم حَبوَنِي

وفيكُم كان لو شئتُم حَباءُ

(٢) ديوانه ص ٩٨ .

ومشهور قوله في مدح بني أنف الناقة والتعريض بقوم الزبرقان بن
بدر : (٣)

قومٌ همُ الأنف والأذنانُ غيرُهم

ومن يسوي بانفِ الناقة الذنبا

او قول الشاعر ربيعة بن عبد الرحمن الرقي في المقارنة والتفضيل بين
مهجوه ومدوحه : (٤)

لشتان ما بين اليزيدين في الندى

يزيدٍ سليمٍ والأغرِ ابنِ حاتم

فهمُ الفتى الأزدي اتلافُ ما له

وهمُ الفتى القيسي جمعُ الدراهمِ

فلا يحسبُ التمتامُ أني هجوتُه

ولكنني فضلتُ أهلَ المكارمِ

ومن الشعراء من يعرض بمهجوه تعريضا ، وهذا أقسى واشد من

(٣) ديوانه ص ١٢٨ .

(٤) العمدة ١٧٣/٢ .

التصريح ، فالتعريض يصحبه شيء من التشكيك والتعريض والامارة •

وضرب آخر من الهجاء يتناول الخصم صراحة ويهاجمه مهاجمة سافرة ،
فيوعد ويهدد وينذر ويقذف بالشتيمة الصريحة والسباب الواضح ، وقد يتناول
هذا الضرب الاعراض والعورات ويجاهر بالفحش والاقذاع ، يقول أوس بن
مغراء في هجاء بني عامر : (٥)

فلست بعافٍ عن شتيمَةِ عامرٍ

ولا حابسي عما أقولُ وعيدُها

تري اللؤمَ ما عاشوا جديدا عليهم

وأبقى ثيابَ اللابسين جديداًها

لعمرك ما تبلى سراويلُ عامرٍ

من اللؤم ما دامت عليها جلودُها

وقد ينحدر بعض الشعراء نحو الافحاش والاقذاع ، وهذا قليل في
الشعر الجاهلي ، نجد أبياتا منه في شعر الحطيئة ، وقد بلغ هذا الضرب على
يدى جرير والفرزدق مبلغا من السوء والاقذاع على ما تصوره النقائض بين
الشاعرين ، وبين جرير والاخلط كذلك •

(٥) نقد الشعر ص ٩٥ •

والهجاء بعامة يقوم على سلب المعاني الكريمة والمثل العليا ، فالشاعر انما يهجو خصمه بالقدر والحيانة والجبن والقعود عن المكارم والهزيمة واللؤم والبخل والتزق والطيش ، وما الى ذلك من الصفات التي يراها العربي عارا يبرأ منه .

ويتميز الهجاء الجاهلي بخصائص ابرزها : قصر قصائد الهجاء ، فأكثره مقطعات وأبيات ، ويرون أن قصر الهجاء وعفته هما أول أسباب رواجه وشهرته ، والعفة أمر ظاهر في هذا الشعر فلم ينحدر الى الاقذاع والشتم الواضح والفحش الا الحطية في بعض أبياته ، وشعرهم أقرب الى اللوم والعتاب منه الى البذاءة والاقذاع ، وقد كان النابغة بارعا في هجائه العفيف الشديد الموجه ، فهو لا يفضب القبيلة حين يهجو فارسها ، وانما يحط من قدره بأن يقارنه بأعيان قومه فيمدحهم ويؤخره عنهم ، فيكون هجاؤه اياه أقسى من النيل منه صراحة ، يقول النابغة مجيبا عامر بن الطفيل بعد معركة حسي : (١)

ان يكُ عامرٌ قد قال جهلا

فان مظنةَ الجهل الشبابُ

فانك سوف تحلم أو تناهي

اذا ما شبتَ أو شابَ الغرابُ

فكن كايك أو كابي براءِ

توافقك الحكومةُ والصوابُ

(١) ديوان النابغة ص ١٥٥ - ١٥٦ .

ولا تذهبُ بحلمك طافياتُ

من الخيلاء ليس لهن بابُ

فكان وقع هذا الهجاء الذي اتخذ طابع النصح والموعظة شديدا موجعا .

وقد كانت صور الهجاء مستمدة من البيئة الجاهلية ومن العرف السائد والمثل التي تعارف عليها الناس ، فالكرم مفخرة لدى العرب ، واللؤم والبخل أقسى ما يهجي به المرء ، ولذلك رأوا في هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة وقومه بأنهم ينامون ملاء البطون وجاراتهم ساغبات يتضورون من شدة الجوع ، رأوا في هجائه قذفا فاضحا وسبه شديدة ، جعلت علقمة بن علاثة يبكي حين سمع قوله : (٢)

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم

وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا

وقال : أنحن نفعل هذا بجاراتنا؟

ومن الشعراء من كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة ، فقد قيل لصخر بن عمرو عند رثاء أخيه معاوية : أهج قتلته ، فقال : ما بيننا أجل من القذع ولو لم أكف نفسي الا رغبة عن الحنا لفعلت ، وقال : (٣)

(٢) ديوان الاعشى ص ١٠٩ والاغاني ١٢١/٩ .

(٣) الاغاني ٩٩/١٥ .

وعاذلة هبت بليل تلو مني

ألا لا تلوميني كفي اللوم ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم

وما لي إذ أهجوهم ثم ما ليا

أبي الشتم أني قد أصابوا كريمي

وأن ليس إهداء الحنا من شماليا

ومن طريف ما يروى في هذا ، ان حسان بن ثابت قال للخنساء :
« أهجى قيس بن الخطيم ، فقالت : لا أهجو أحدا أبدا حتى أراه ، قال ،
فجاءته يوما فوجدته في مشرفة ملتفا في كساء له ، فنخسته برجلها وقالت : قم ،
فقام ، فقالت : أدبر ، فأدبر ، ثم قالت : أقبل ، فأقبل ، قال : والله لكانها تعترض
عبدا تشتريه ، ثم عاد الى حاله نائما ، فقالت : والله لا أهجو هذا أبدا ، (١) ،
فالخنساء رأت في قيس بن الخطيم ما تراه في الرجل المهيب الكامل ، فلم
تستطع ان تكذب وتفترى في هجائه .

وعماد أسلوب الهجاء الوضوح والبساطة وقلة الصنعة والتكلف ، لان
الهجاء وليد الفطنة وسرعة الحاطر واللمحة الدالة ، وهذا يتجافى مع التعمر
والتكلف واطالة التفكير ، ولذلك يعزى تفوق جرير في هجائه الى هذه

(١) الاغانى ١٠/٣ .

البساطة والوضوح ، فشعره وليد البديهة الحاضرة ، فاذا سئل عن التغلبي
أجاب بديهة : (٢)

والتغليبي إذا تنحنح للقرى

حكَّ آستَه وتَمَثَّلَ الأمثالا

أما الاختل ، فكان وجود في هجائه ويتكلف ، فيخرج هجاؤه مصنوعا
وليذ الذهن المكدود والخطر البطيء المتأمل ، فلا يفهم هجاؤه الا بعد اعادة
نظر ، وقد غلب جرير الفرزدق لان الفرزدق كان يعتمد الاقذاع والفحش ،
وكان هجاؤه صريحا مكشوفاً ، أما جرير فقد كان يعمد الى التلميح دون
التصريح ، وهذا أشد وقعا وأبعد دلالة ، فهو حين يرمى نساء بنى نمير لا
يصرح بأنهن يخرجن بالليل لفاحشة ، ولكنه يلمح الى ذلك بقوله : (٣)

إذا قامت لغير صلاة وترٍ

بُعَيْدَ النوم أنبحت الكلابا

أما الشعراء الذين برزوا في هذا الفن ، وتميزوا عن غيرهم ، وأطالوا
فيه وأكثروا ، فأشهرهم ثلاثة : الحطيئة والاعشى وحسان بن ثابت ، ولكل
منهم نهج خاص به ، وأسلوب تميز به عن غيره . وكان الحطيئة أعلاهم صوتا ،
وأخبثهم لسانا ، وأشدهم هجاء ، فلم ينازعه في هذا الضرب منازع ، لانه نشأ

(٢) ديوان جرير ص ٣٦٢ .

(٣) ديوانه ص ٦٢ .

وقد هيأته ظروفه وبيئته ونفسيته ليكون هجاء سليلط اللسان .

وقد شاركت النساء في هذا الفن بقدر يسير ، ففي شعر النساء قطع فيها هجاء وتعبير عن عواطف السخط والغضب ، نجد في هجاء الخنساء لدريد بن الصمة حين خطبها فردته ، ثم هجاها فأجابته تهجوه بسوء الخلق والبخل والفقر والجبن : (٤)

معاذ الله يرَضُّعني حَبْرٌ كَسِي

قَصِيرُ الشُّبْرِ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ

يرى شرفاً ومكرمةً أتاها

إذا أَعَذَى الْجَلِيسَ جَرِيمَ تَمْرِ

لئن أَصْبَحْتُ فِي جُشَمٍ هَدِيًّا

إذا أَصْبَحْتُ فِي ذُلٍّ وَفَقْرٍ

قَبِيلَةٌ إِذَا سَمِعُوا بِذَعْرِ

تَخْفَى جَمْعُهُمْ فِي كُلِّ جُحْرٍ

وقد تضيق المرأة بزوجها فتناوله بالهجاء والتقيح وتدعو عليه بالفراق والهلاك

(٤) ديوان الخنساء ص ١٢٠ - ١٢١ والاعاني ٧٧/١٥ وفي روايته خلاف .

وابداله بخير منه ، كما فعلت أم الصريح بنت أوس الكندية في هجاء زوجها
ابى الصريح الكلبي ، اذ تقول : (١)

كان الدار يوم تكون فيها

علينا حفرة ملئت دخانا

فليتك في سفين بني عباد

طريدا لا نراك ولا ترانا

وليتك غائبٌ بالهند عنا

وليت لنا صديقا فاقتنا

ولو أن النذور تكف منه

لقد أهديتها مائةً هجانا

وللخرنق قطع في هجاء عبد عمرو بن بشر الذي وشى بأخيها طرفة
الى الملك عمرو بن هند فقتله (٢) ، وكذلك هجت دختنوس النعمان بن قهوس
التميمي الذي فر في يوم شعب جيلة وترك أباه لقيط بن زرارة فقتل ، فكانت
تهجوه وتعيره بالجن والفرار (٣) .

(١) بلاغات النساء ص ١١٨ وينظر المرأة في الشعر الجاهلي

ص ٦٣٨ - ٦٣٩ .

(٢) ديوان الخرنق ضمن رياض الادب ص ٣٦ - ٣٧ . وجمهرة اشعار

العرب ص ٧٧ .

(٣) الاغانى ١١/١٣٣ - ١٣٤ .

وهجاء النساء بعامه عفيف لا فحش فيه ، قصير في أبيات او قطع ،
وهو على العموم قليل ، وأكثره قيل بعد المعارك والحروب مرتبطا بالبكاء على
القتلى والسخط على القتالين •

وكان المؤمل أن يكثر الهجاء بين النساء الضرائر خاصة ، ولكن ما وصل
من ذلك قليل ضئيل الشأن ، ويعمل الحوفى ذلك ، بأن المرأة كانت « تقنع
بالكيد والاغارة والنظرات الشزر والكلمات المرة والحركات الساخرة ، ثم هي
تأنف ان تسجل على نفسها أنها دون ضررتها وأن زوجها يؤثر ضررتها
عليها » (٤) ومن صور ذلك قول امرأة تهجو زوجها وضررتها : (٥)

لا خَارَ ربي لابي الفصيل
ولا وقاه عَثْرَةَ الذَّلُولِ
بَدَلْ مني أخبثَ البديل
هو جاءَ مَقَاءَ كَشْبِه العول
تحمل رِدْفًا واسع الفضول
مثل إهاب المِنْحَةِ المنجولِ
يبيت فيه الذئب أو يقيل

(٤) المرأة في الشعر الجاهلي ص ٦٣٧ •
(٥) بلاغات النساء عن المرأة في الشعر الجاهلي ص ٦٣٨ •

الوصف

الوصف من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون ، فقد نظروا في الطبيعة الصحراوية ودققوا النظر ، فوصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم ، وصفوا الطبيعة ممثلة في حيوانها ورياضها ونباتها وديارها وأطلالها ، وتأملوا في أمطارها وسحبها وبرقها ونورها وظلامها فرسموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الاصيل ، وقد اعتنوا بكل صغيرة وكبيرة من مشاهد الصحراء ومنظر الحاضرة ومجالسها وأزيائها ، ولم يتركوا شيئاً من ذلك الا سجلوه في شعرهم •

وكان للحيوان أكبر الاثر في حياتهم، وهو أقرب الى نفوسهم وعواطفهم، ولذلك فقد اعتنوا به عناية خاصة ، وصفوا جسمه وقوته وصفاته وعاداته وحركته وطباعه ، حتى عرف بعض الشعراء بالاجادة في وصف حيوان واحد والتدقيق في وصفه ، فقد برز في وصف الخيل : امرؤ القيس والطفيل الغنوي والنايفة الجعدي ، وفي وصف الناقة : طرفة بن العبد وأوس بن حجر ، وفي وصف الحمر الوحشية الشماخ وكذلك في وصف القسي ، أما الاعشى فقد برع في وصف الحمر وذكر مجالسها •

ولعل الناقة هي أبرز الحيوانات التي عنى بها الشاعر الجاهلي ، فهي

مصدر الخبز والرزق ورفيقة السفر الصبور على الاين ، تقطع الفيافي وتجتاب
القلوات دون كلل أو ملل ، وقد وقف الشعراء يتأملون فيها ، فوصفوا جسمها
الضخم القوي ، وشبهوه بالعلامة وهي سندان الحداد والقصر قصر الهاجرى ،
والقلعة الضخمة ، والصخرة الصلبة ، ودققوا فى أعضائها فلم يغادروا عرق
ولا عصباً الا وصفوه أدق وصف ، ونظروا فى أحوالها وسرعتها ونشاطها
وعاطفتها وحينها ، فعبروا عن أحاساسها ومشاعرها وأحوالها بعاطفة انسانية
ومشاركة وجدانية لما يعانى هذا الحيوان .

وأوصاف الناقة لدى الشعراء تكاد تكون متشابهة ، فهى قوية متينة
صلبة قبل السفر ، وهى نحيلة مهزولة بعد أن قطعت الفيافي وجابت القلوات
فى حر الهواجر وقر الشتاء ، يعتنون بوصف شكلها ولونها وصفاتها ،
ويشبهونها بالبقرة الوحشية والثور والحمار والاتان والظليم ، كما يشبهونها
بالبناء الشامخ والسفينة والسيف والدلو والسحابة ، وفى كل تشبيه من هذه
التشبيهات يصورون حالاً من أحوالها وصفة من صفاتها ، وكأنهم اتخذوا ذكر
الناقة وسيلة لوصف الحيوانات الاخرى وذكر قصصها عن طريق تشبيه الناقة
بتلك الحيوانات فلا يكاد الشاعر يذكر الناقة حتى يأخذ بتشبيهها بالبقرة الوحشية
او الثور او الحمار او الاتان او الظليم ، ثم يذهب يسرد قصة ذلك الحيوان وما
كان من أمره مع الصياد وكلابه، حتى اذا انتهى تلك القصة عاد الى ناقتة فشبهها
بحيوان آخر فيسرد قصة هذا الحيوان الاخر وهكذا ، فكان نصيب الناقة من
القصائد الطوال نزرًا ، ويتضح ذلك عند أكثر الشعراء مثل امرئ القيس
والاعشى وليد وزهير والنابغة .

ولم يقف أحد عند وصف الناقة وقفة طويلة متأمله مثل طرفة فى

معلقته ، فقد رصد لها ثمانية وعشرين بيتا على شاكلة قوله : (١)

واني لأمضي بهمَّ عند احتضاره

بعوجاءِ مِرقالِ تروحِ وتغتدي

أمونِ كالواحِ الأرانِ نساُتها

على لاحبِ كأنه ظهرُ برُّجدِ

تُباري عتاقا ناجياتٍ وأتبع

وظيفا وظيفا فوقِ مؤزِ معبدي

تربعتِ الفَقينِ في الشَّولِ ترتعي

حدائقِ مولى الأِسرةِ أُغيدِ

تربعُ الى صوتِ المهيبِ وتتقي

بذي خصلِ روعاتِ أكلفِ ملبدي

كان جناحي مضرِحِي تكنفا

حِفافِيهِ سُكَّا في العسيبِ بمسردِ

(١) ديوان طرفة ص ١٠ - ١٣ .

فطورا به خلف الزميل وتارة

على حشيف كالشبن ذاو مجدّد

لها فخذان أكمل النحض فيها

كانهما بابا منيف ممدّد

فتراه يشبه عظامها العريضة بألواح الاران وهو تابوت السادة الاشراف ،
وشبه طريقها بالكساء المخطط ، وشبهها بالنعامة في عدوها وشبه فخذها
بمصراعى قصر ، ثم يتناول فقارها وعنقها وجمجمتها وخذها ومشفرها وعينيها
وأنساعها وأعضادها ، كل ذلك بما اتفق له من بيئته من محسوسات ، حتى
ينتهى به المطاف ان يقول : (١)

على مثلها أمضى إذا قال صاحبي

ألا ليتني أفديك منها وأفتدى

أما بقية الشعراء فقد وصفوا الناقة وصفا مباشرا ولكنهم لم يطيلوا في
وصفها ، آثروا ان يتحدثوا عن صفاتها وأحوالها النفسية عن طريق تشبيهها
بالحيوانات الاخرى ، فأظهروا عواطفها من الخوف والفرح والحب والكره
والجراة وشدة الاحتمال في قصص الحيوان كالبقرة المفجوعة بولدها الذى

(١) ديوان طرفة ص ٢٢ .

تجبه ، والتمسوا قوتها ونشاطها وسرعة حركتها فى حمار الوحش وأتانه وفى
الثور ، ولكل قصة طريفة فيها حيوية ونشاط وقوة .

ولم يعن الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخليل ، فهى حبيبة الى نفوسهم عزيزة
عليهم ، يكرمونها ويؤثرونها بالطعام والشراب ، وهى زينة الفارس يمتطيها
فى نزهه وصيده ، وتكون حصنه عند الفارة ، وسلاحه فى الكر ، ونجاته عند
الفرار ، ولذلك خصوها بعناية فائقة ، وليس أكثر من أن تفسدى بالانفس
ويجاع لها العيال ولا تجاع كما يقول الشاعر : (٢)

مفدأة مكرمة علينا

يجاع لها العيال ولا تجاع

وكانوا يقربونها عند بيوتهم ولا يرسلونها ترعى مع أنعامهم جبا فى
المحافظة عليها ، يقول ربيعة بن مقروم : (٣)

وَجُرْدَا يقرَّبْنَ دُونَ الْعِيَالِ

خِلَالَ الْبُيُوتِ يَلْكُنَ الشَّكِيمَا

وكانوا يحفظونها من البرد ويصنعون لها الاردية والاعطية لتقيها قسوة

(٢) شرح الحماسة - المرزوقى ٢١٠/١ .
(٣) المفضليات ص ١٨٥ .

البرد وشدة الحر ، يقول عنتره : (٤)

مقرّبة الشتاء ولا تراها

وراءَ الحِي يتبعها المَهَارُ

لها بالصيف أصبِرَةٌ وُجَلٌ

ونيبٌ من كرائمها غَزَارُ

ويسقونها الماء الدافئ في الشتاء ، ويسقونها اللبن ، يقول المتلمس : (٥)

أبقت لنا الأيامُ والَّ

لمزباتُ والعاني المرهقُ

جُرُدا باطناب البيو

ت تُعَلُّ من حَلَبٍ وتُغْبِقُ

وكانوا يصنعون لها النعال لتحفظ حوافرها من صلابة الارض وشدة

الصخور ، يقول زهير : (٦)

(٤) ديوان عنتره ص ٣٠٩ .

(٥) ديوان المتلمس ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٦) ديوان زهير ص ١٥٦ .

تهوي على ربذات غير فائرة

تُحذى وتُعقد في أرساغها الخدمُ

وقد حافظوا على كرمها وأصالتها ونقاء عنصرها، واهتموا بنسلها وأنسابها
ونجاتها، يفخر علقمة الفحل بنسب فرسه وأصالتها بقوله: (١)

وقد أقود أمام الحيِّ سهلبةً

يهدى بها نسبٌ في الحيِّ معلومٌ

ولشدة عنايتهم بأنسابها وصفاتها وطباعتها، فقد ألفوا في ذلك كتباً مثل:
أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام لابن الكلبي (٢)، والخيل للاصمعي (٣)،
والخيل لابى عبيدة (٤)، وأسماء خيل العرب وفرسانها لابن الاعرابي (٥)،
ونخبة عقد الاجياد في الصافات الجياد لمحمد الجزائرى (٦) وغير ذلك (٧).
وقد اختاروا لها أسماء وحفظوها، ونسبوا الى فرسانها، ونسبوا
الفرسان اليها، ففرس عامر بن الطفيل (الزنوق) وفرس والده الطفيل

(١) ديوان علقمة ص ٧٣ .

(٢) طبع دار الكتب ١٩٤٦ .

(٣) طبع فيينا ١٨٩٥ .

(٤) طبع الهند ١٣٥٨ .

(٥) طبع لندن ١٩٢٨ .

(٦) طبع بيروت ١٣٦٦ .

(٧) وقد ذكروا ممن ألف في الخيل أيضا: النضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ)

وأبا عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ)، ينظر المعجم

العربي - حسين نصار .

(قرزل) و فرس مالك بن نويرة (ذو الخمار) و فرس عنترة (جروة) و فرسا قيس بن زهير العبسي (داحس والغبراء) و فرسا حذيفة بن بدر الفزاري (الحنفاء والخطار) و من خيل زيد الخيل (الهطال والورد ودوول) و غير ذلك (٨) •

وقد وصفوا الفرس وصفا دقيقا ، وصفوا جسمه وقوته وعظم هيكله ، ووصفوا سرعته ونشاطه وحممته ، ويتميز في وصفهم نوعان من الخيل ، او نوعان من الوصف ، نوع يمثل الفرس الذي يبكرون معه الى الصيد والتهو والطرب ، فهو يباكر الوحوش ويقيدها ، كفرس امرئ القيس • و فرس يفتدون عليه الى الحرب والقتال ، أعدوه للحرب والغارة والفروسية ، كفرس عنترة الذي يتسربل بالدم •

فأما فرس امرئ القيس الذي يبكر قبل استيقاظ الطير ، فهو ضخيم عظيم الجسم قصير الشعر سريع العدو ، يكر ويفر ويقبل ويدبر كأنه صخرة قدفها السيل من شاهق ، كميث اللون يضرب الى الصفرة التي يخالطها الاحمرار ، أملس الظهر صقيل المتن بحيث يزل عنه اللبد لنعمته وقوته ، وهو بعد ذلك كثير النشاط سريع الحركة له هباب وحمى عند نشاطه كالقدر حين يغلى ، ينصب في عدوه انصبابا لا تكاد حوافره تمس الارض فلا يثير غبارا كما تثير الجياد التي تضرب الارض ضربا ، لا يكاد الفارس المتمرس أن يثبت على صهوته ، ويقذف بالرجل الثقيل الشديد الذي قلت خبرته بركوب الخيل ، وهو في سرعته كأنه دوامة مما يلعب بها الصبيان حين يلغها بخيط على اصبعه ثم يديرها سريعا ، أما جسمه : فله خاصرتا ظبي ، وساقا نعامة ، وسرعة ذئب ، وقفز ثعلب صغير ، وهو قوى الاضلاع طويل شعر الذنب ، صلب الجسم كأنه

(٨) انساب الخيل - ابن الكلبي في مواضع متفرقة •

صخرة من صخور العرائس التي تدق عليها الطيب أو حجر يسحق عليه
الحنظل ، وقد أعد هذا الفرس للصيد ، فتجد دماء الطرائد تسيل على صدره
وتصبغه فكأنه عصارة حناء خالطت شيئا قد سرح ورجل ، وعلى هذه الشاكلة
يقدم امرؤ القيس صفات فرسه فيقول : (٩)

وقد أعتدى والطيرو في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكلي

مكبر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

كسيت يزل اللبد عن حال منته

كما زلت الصفواء بالمتنزل

مسح اذا ما السابجات على الونى

أثرن غبارا بالكديد المركل

على العقب جياش كأن اهترامه

اذا جاش فيه حيمه غلى مرجل

(٩) ديوان امرؤ القيس ص ١٩ - ٢٣ .

يُطِيرُ الْغَلَامَ الْخِفَّ عَنْ صِهْوَاتِهِ

وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنيفِ الْمَثْقَلِ

دَرِيرٍ كَخُذْرَفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ

تَقْلُبُ كَفِّهِ بِخَيْطِ مَوْصَلِ

لَهُ إِطْلَاقِي وَسَاقَا نِعَامَةٍ

وَارْخَاءِ سِرْحَانٍ وَتَقْرِبُ تَنْفُلِ

كَأَنَّ عَلَى الْكَتْفَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى

مَدَاكِ عُرُوسٍ أَوْ صَرَايَةِ حَنْظَلِ

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ

عُصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مُرَجَلِ

أما فرس عنتره فقد أعده للحرب والغارة ، فهو فرس أصيل صبور جريء ، تحدث عنه في معلقته عند الحديث عن فروسيته ، وقد وزع ذكره في ثنايا المعلقة فلم يجمعه في موضع واحد ، فهو يسائل عبلة ، ألم تسأل الحيل عنه وتستوضح أمر فرسانها ماذا كانت فعالة في الحرب ، فقد كان على صهوة جواد سريع لين الجرى كأنه يسبح في الهواء سباحة ، وهو ضخم مرتفع ، في

صدره جروح من طعنات الفرسان وكذلك في جسمه آثار مما خلفته الرماح والقسي ، على مثل هذا الفرس يغشى عنترة الحروب ويبلو البلاء الشديد ، فإذا ما كانت الغنائم فهو يعف منها وينصرف عنها ، ويسترسل في حديثه عن الحرب وشدة بلائه ثم يعود الى ذكر فرسه الذي يكر عليه ويخوض غمار المعركة ، وتنهال عليه الرماح ، فهى في صدر فرسه كأنها جبال مرسله في بئر ، وتسيل الدماء على صدره غزيرة كأنها سربال غطى جسمه ، ويزور الفرس ويميل من شدة وقع الرماح وجراحها ، وتسيل دموعه فهو يصهل ويحمحم مما به من ألم ، ويتعاطف عنترة مع فرسه ، ويشعر بالامه ، فهو حيوان أعجم لو يستطيع الكلام لكلمه وحاوره وشكا اليه مما به ، ومع ذلك كله ففرسه بين هذه الخيل وسط غبار المعركة عابسا يخوض الغمرات •

وقد أوضح عنترة حال الحيوان وعاطفته وقوته وشدته ، ولم يقف عند جمال جسمه ووصف شباته وحسب ، وقد أظهر صورته وأحواله من خلال الحرب ووصف القتال ، يقول : (١)

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا بِنْتَ مَالِكِ

ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

اذلا ازال على رحالةٍ سابحٍ

نهدٍ تعاوره الكُهاةُ مُكَلِّمٍ

طورا يعرض للطعان وتارة

ياوى الى حصد القسي عرمرم

(١) ديوان عنترة ص ٢٠٧ - ٢٠٩ و ٢١٦ - ٢١٩ .

يُخبرك من شهد الواقعة أني

أغشى الوغى وأعفُ عند المغنم

لما رأيت القومَ أقبِل جمعهم

يتذامرون كررتُ غيرَ مذممٍ

يدعون عنترَ والرماحُ كأنها

أشطانُ بئرٍ في لبانِ الادم

ما زلت أرميهم بشجرةٍ نحره

ولبانه حتى تسربل بالدم

فازور من وقع القنا بلبانه

وشكالي بعبرةٍ وتحمم

لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى

أو كان يدري ما جوابُ تكلمي

والخيلُ تقتحم الخبار عوابسا

ما بين شيطمةٍ وأجردَ شيطمٍ

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها

قيلُ الفوارسَ وَبِكَ عنتَرَ قَدَمَـ

وقد وصف الخيل كثرة من الشعراء ، وشبهوها فى سرعتها بالطيرى
والنعامة والذئب وحمار الوحش والباز والعقاب والطير ، ولعل بيت النابغة فى
هذا المجال من خير ما وصفت به سرعة الخيل ومرورها مرا سريعا عنيقا كالطير
التي تهرب خفيفة نجاة من دفقة المطر القوية : (١)

والخيلُ تنزعُ غَرُبا في أعنتِها

كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البردِ

وقريب من هذا تشبيه لبيد لكثيرة فيها خيل سريعة كالحمام تبارى الرماح عند
العشى : (٢)

ومشعلة رهوا كأن جياذها

حَمَامٌ تبارى بالعشى سوا فلا

ووصفوا الثور والبقرة الوحشية ، وأكثر ما يرد ذكرهما فى سياق
قصة من القصص ، يستطردون اليهما حين يتحدثون عن الناقة فيشبهونها بهذه

(١) ديوان النابغة ص ١٨

(٢) ديوان لبيد ص ٢٥٢

البقرة أو ذاك الثور الذى كان من أمره قصة يروونها تمثل صراع الثور مع كلاب الصيد أو البقرة التى افترس السبع ولدها ، فيروون قصتها الحزينة المؤثرة .

وأبرز من صور حزن البقرة على ولدها الذى أكلته السباع ، ليد فى معلقته (٣) وكذلك فعل زهير وكذلك الاعشى الذى ساق قصة البقرة المسبوعة وصراعها مع كلاب الصيد الكاسرة ، ويتحدث الاعشى عن الوحوش التى تفترس ولد البقرة حين تواتبها الفرصة فى غفلة من أمه ، ثم يصور حال هذه البقرة التى كانت راتعة مع القطيع ، فلما امتلأ ضرعها باللبن طلبت فصلها لترضعه فلم تجد منه غير مرق وبقايا عظام ودم مسفوح ، وبات ليلتها حزينة نكلى ، حتى اذا ذر قرن الشمس صبجها صائد من بنى نيهان كأنه ذئب أغبر سحب كلابا ضاربة فى أعناقها سيور ، فاذا عدت هذه الكلاب فهى سهام منطلقة ، يقول الاعشى مصورا هذه القصة : (٤)

كأنها بعد ما افضى النجادُ بها

بالشَّيْطَانِ مَهَا تُبْتَغِي دَرَعَا

أهوى لها ضابى في الأرض مفتحص

للحم قدما خفى الشخص قد خشعا

(٣) ديوانه ص ٣٠٧ - ٣١٢ .

(٤) ديوان الاعشى ص ٨٤ - ٨٥ .

فَظَلْ يَخْدُعُهَا عَنْ نَفْسِ وَاحِدِهَا

فِي أَرْضِ فِيءٍ بِفَعْلِ مِثْلِهِ خَدَعَا

حَانَتْ لِيَفْجَعَهَا بَابِنِ وَتَطْعَمَهُ

لِحَمَا فَقَدْ أَطْعَمْتَ لِحْمًا وَقَدْ فَجَعَا

فَظَلْ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهِيَ رَاتِعَةٌ

حَدَّ النَّهَارِ تُرَاعِي ثِيْرَةً رُتَعَا

حَتَّى إِذَا فَيَقَةٌ فِي ضُرْعِهَا اجْتَمَعَتْ

جَاءَتْ لِتَرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا

عَجِيْلًا إِلَى الْمَعْدِ الْأَدْنَى فَفَجَأَهَا

أَقْطَاعُ مِسْكِ وَسَافَتْ مِنْ دَمٍ دَفَعَا

فَانصَرَفَتْ فَاقْدَا ثَكْلِي عَلَى حَزَنِ

كُلُّ دَهَاها وَكُلُّ عِنْدَهَا اجْتَمَعَا

وَذَاكَ إِنْ غَفَلْتَ عَنْهُ وَمَا شَعَرْتَ

أَنْ الْمَنِيَّةَ يَوْمًا أَرْسَلْتَ سَبْعَا

حتى اذا ذرَّ قرنُ الشمسِ صَبَّحَهَا

ذوألُ نِهَانِ يَبْغِي صُجْبَهُ الْمَتْعَا

بَا كَلْبٍ كَسِرَاعِ النَّبْلِ ضَارِيَةٍ

تَرَى مِنَ الْقَدَّ فِي أَعْنَاقِهَا قِطْعَا

فَتَلِكْ لَمْ تَتْرِكْ مِنْ خَلْفِهَا شَيْبَا

إِلَّا الدَّوَابِرَ وَالْأُظْلَافَ وَالزَّمْعَا

وقد تناول لبيد وصف الثور وصراعه مع كلاب الصيد التي تركها صريعة

مضرجة بالدماء محفرة بالتراب ، يقول : (١)

حتى أُشِبَّ لَهُ ضِرَاءٌ مَكْلَبٌ

يسعي بهن أقب كالسرحان

فحمى مقاتله وذاد بروقه

حمى المحارب عورة الصُحبانِ

(١) ديوان لبيد ص ١٤٥ - ١٤٦ .

شزرا على نبض القلوب ومُقدِّما

فكأنما يختلها بينان

حتى انجلت عنه عماية نقره

فكأن صرعاها ظروفُ دنانٍ

وقد تناول غير شاعر صورة الثور وصراعه مع كلاب الصيد ، وخروجه منتصرا ، كالنابغة في قصيدته الدالية (٢) ، وزهير في قصيدته القافية (٣) ، وامرئ القيس في قصيدته السينية (٤) ، وكذلك فعل أوس بن حجر والمتلمس وغيرهم ، والملاحظ أن الثور يخرج من المعركة منتصرا مزهوا عند أكثر الشعراء ، الا شعراء هذيل فانهم يمكنون سهام الصائد من قلب الثور ويمكنون الكلاب منه ، فتصرعه وترديه قبلا ، وقد لاحظ الجاحظ أن الشعراء يجعلون كلاب الصيد هي التي تقتل بقر الوحش اذا كان الشعر في مجال الرثاء والموعظة ، أما اذا كان الشعر مديحا فتكون الكلاب هي المقتولة والثيران هي المنتصرة السالمة (٥) .

ومثلما شبهوا الناقة بالبقرة والثور وساقوا لكل منهما قصة ، فقد شبهوا الناقة بحمار الوحش والأتان ، ويتخذون التشبيه وسيلة للحديث عن قصة حمار الوحش مع كلاب الصيد ، أو مع أتانه التي تعاسره حيناً فيطاردها ويعارك

(٢) ديوان النابغة ص ٧ - ١٢ .

(٣) ديوان زهير ص ٤٢ - ٤٨ .

(٤) ديوان امرئ القيس ص ١٠١ - ١٠٤ .

(٥) الحيوان ٢٠/٢ .

الفحول ويناضل الحمر الاخرى ليتفرد بالاتان ويدفعها أمامه ويخلو بها بعيدا
وهى تستجيب له تارة وتمرد عليه أخرى ، ويقضيان أشهر الشتاء راتعين
يجتران بالرطب عن الماء ، حتى اذا جاءت شهور الصيف انطلق بها يريد
الماء ، وتعدو الاتان وهو يتبعها يعدو على جانب منها تارة ، ويرتقى النجاد
والربايا يرقب الطريق تارة أخرى ، وهما فى هذا العدو يثيران غبارا كأنه
غلالة رقيقة يتجاذبانها أو دخان نار العرفج الساطعة ، حتى اذا بلغا الماء شربا
منه وخاضا فيه .

وقد تناول هذه القصة أكثر من شاعر ، كأمريء القيس والنابغة وزهير ،
ولكنهم - فيما أحسب - لم يدعوا فى هذا الوصف مثلما أبدع لبيد فى قصة
الحمار والاتان ، فقد سرد قصتهما فى معلقته حيث يقول : (٦)

أَوْ مَلَمَعٍ وَسَقَتْ لَأَحْقَبَ لَاحَهُ

طَرَدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا

يَعْلُو بِهَا حَدْبَ الْإِكَامِ مُسَحَّجٌ

قَد رَابَهُ عَصِيَانُهَا وَوَحَامُهَا

بِأَحْزَةِ الثَّلْبَوْتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا

قَفَرَ الْمَرَاقِبَ خَوْفَهَا آرَامُهَا

(٦) ديوان لبيد ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

حتى اذا سلخا جُمادى سنةً

جَزَاءَ اِفْطَالِ صِيَامِهِ وَصِيَامِهَا

رجعا بامرهما الى ذي مرةٍ

حَصِيدٍ وَنُجْحٍ صَرِيمَةٍ اِبْرَامِهَا

ورمي دوابرها السفا وتبيجت

ريحُ المصايفِ سَوْمِهَا وَسِهَاْمِهَا

فتنازعا سبطا يطير ظلالة

كُدُخَانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرَامِهَا

مشمولة غليثت بنابت عرفج

كُدُخَانِ نَارِ سَاطِعِ اَسْنَامِهَا

فمضى وقدّمها وكانت عادةً

منه اذا هي عردت اقدامها

فتوسطا عرض السري وصدعا

مَسْجُورَةً مَتَجَاوَرًا قَلَامِهَا

محفوفةٌ وسطَ اليراعِ يُظِلُّها

منه مصرّعٌ غابةٍ وقيامها

وللحمار صفات وعلامات ذكروها ، فهو شتيم الوجه ، يسوق أتنا سماناه ،
قد شبع حتى بشم ، ضخم غليظ سريع ، اذا عدا لا يكبو ولا يتعثر ، أسود
اللون وقد يكون في حقيقه بياض ، وهو كثير الشحيج ، جرىء ضامر البطن ،
وقد يصفونه بصفات العقلاء ، فسحيله يشبه صوت الانسان حين يدعو صاحبه ،
كما يقول زهير : (١)

كان سحيلَه في كل فجرٍ

على أحساءٍ يؤودِ دَعاءُ

ويعيره لبيد صفة الانسان المفكر الذي يقرب الرأي على وجوهه ، ويمنحه
من الانسان لهوه وطربه وغوايته ، فاذا نهق فهو سكير أخذت الحمر منه كل
مأخذ : (٢)

يطرِبُ آناءَ النارِ كأنه

غوى سقاءه في التجارِ نديمٌ

(١) ديوان زهير ص ٧٠ .
(٢) ديوان لبيد ص ٩٦ - ٩٧ .

أميلت عليه قرقف بابلية

لها بعد كاس في العظام هميم

وقد تناول الشعراء الجاهليون كل ما وقعت أعينهم عليه من حيوان الصحراء ، فقد وصفوا الذئب والقطة والباز والعقاب واللقوة والغراب والنعامة والظليم والأفعى والوعول والظباء ، سواء أكان وصفهم لها مباشرا أم عن طريق التشبيه . فهم يشبهون المرأة الحبيبة بالظبية في جمال عنقها وعينيها ، ويشبهون الاطفال بالغزلان ، يقول الخطيئة مشبها حبيته بالظبية التي تناول الفصن بظلفها اذا ارتفع عنها ، ويصفها بحسن الجيد تزجي غزالا وتناول ثمر العضاء : (٣)

كعاطية من ظباء السليل

حسنة الجيد تزجي غزالا

تعاطى العضاء اذا طالها

وتقرو من النبت أرطى وصالا

ولا يفوتنا هنا جيد حبيبة امرى . القيس الذى هو (كجيد الرثم ليس بفاحش اذا هى نصته ولا بمعطل) .

(٣) ديوان الخطيئة ص ٢١٤ .

وكثيرا ما يأتي وصفهم للحيوان مرتبطا بذكر الديار التي خلت فسكتها
الوحوش وأطلقت فيها بعد أن نزل المطر وأبنع النبات ، فصارت مرتعا ومراحا ،
يقول زهير في ديار حبيته : (٤)

بها العين والآرامُ يمشين خلفه

وأطلاؤها ينهض من كل مجثم

ويتناول لبيد هذه الصورة فيوضح معالمها ويجلو مفاتها وما فيها من حياة
وحركة : (٥)

فعلا فروعُ الأيهقان وأطلقتُ

بالجلهتين ظباؤها ونعامها

والعين ساكنة على أطلالها

عُودا تأجل بالفضاء بها

ولا بد أن يرتبط ذكر الحيوان بذكر الصيد ، فصراع كلاب الصيد مع
البقرة أو الثور أو الحمار أو الاتان ، وخلفها الصائد يترصد بسهامه ، كل ذلك

(٤) ديوان زهير ص ٥٠
(٥) ديوان لبيد ص ٢٩٨ - ٢٩٩

يشير في نفس الشاعر شعورا بالمأساة والمغامرة ، فقد عنوا بهذه المشاهد عناية كبيرة ، تأملوا فيها ودققوا النظر في مشاهدتها ، وكثير هم الشعراء الذين برعوا بوصف الصيد ، وكل له أسلوبه وصوره ولوحاته ، فمن أولئك زهير ، وليد ، والنابغة ، وامرؤ القيس ، وكان امرؤ القيس أكثر الجميع ذكرا للصيد ، لانه أعد فرسه للنزه ومطاردة الحيوان ، ومجالس اللهو التي تصيب نصيبها من لحوم الطرائد ، فنجده في قصيدته البائية التي ذكر فيها أم جندب ، يصور قطيعا من النعاج ترعى في خيمة ، وهن لفتوتهن وصباهن كالغذاري اللواتي يمسن بملاء مهدب ، فينادى صحابه أن الجموا الفرس ، قبل أن تجفل النعاج فتهرب ، وحملوا غلامهم على فرس شديد المتن ، فانطلق كدفعة من مطر العشى القوى المتدافع وخلف وراءه سحابة من غبار ، وراح الغلام يستحث فرسه ويزجره ويلذعه بساقه وسوطه ، فانطلق الفرس وجود بكل نشاطه وسرعته ، حتى أدرك القطيع ، فأعمل فيه رمحه طعنا وضربا ، فصرع فريقا ونجا فريق ، بفضل قرون حديدة كالمخرز .

وقد تهيأ للقوم طعام فنزلوا ونصبوا ثيابهم على أسنة الرماح تقيهم حر الشمس ، فطعموا ورموا عيون الوحش ، فبدت متاثرة حول رحالهم وأخيتهم كأنها جزع لم يثقب ، لما فيه من سواد وبياض ناصعين ، وبعد أن طعموا وغادروا مجلسهم كانت مناديلهم أعراف الجياد يمسحون بها ما علق في أيديهم من دسم ، وحملوا بقية الصيد على الحياول كأنها عدول التمر . وفي القصيدة تفصيل فني كثير يوضح الصورة ويجلو مشاهدتها ، يقول : (١)

فبيننا نِعَاجٌ يَرْتَعِينُ خَيْمَةً

كَمْشِي الْعِذَارِي فِي الْمَلَاءِ الْمَهْدَبِ

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٥٠ - ٥٥ .

فكان تناديننا وعقدَ عذاره

وقال صحابي قد شاؤنك فاطلب

فلأيا بلاي ما حملنا وليدنا

على ظهر محبوبك السراة محنب

وولي كشؤبوب العشى بوابل

ويخرجن من جعدي ثراه منصّب

فللسوط الهوب وللساق درة

وللزجر منه وقع أهوج منعب

حتى اذا أدركهن صور مشهد القتال :

فعداى عداة بين ثور ونعجة

وبين شبوب كلقضية قرهّب

وظل لثيران الصريم غماغم

يداعسها بالسّمهرى المقلب

فَكَابِ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَمُتَّقِ
بِمَدْرِيَةٍ كَأَنَّهَا ذَلِقُ مِشْعَبِ

ثم يدعو صحابه الى النزول فقد وجبت الوليمة :

وَقَلْنَا لَفَتَيَانِ كِرَامٍ أَلَا انزَلُوا
فَعَالُوا عَلَيْنَا فِضْلَ ثَوْبِ مُطَنَّبِ
وَأَوْتَادِهِ مَازِيَّةٌ وَعِمَادُهُ

رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعُضَبِ
وَأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ خَوْصِ نِجَابِ
وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعَبِ

فَلَمَّا دَخَلْنَا هَاهُ أَضْفْنَا ظَهْرَنَا
إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ حَدِيدِ مُشْطَبِ
كَأَنَّ عَيُونََ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَانِنَا
وَأَرْحَلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَبِ

نَمُسُّ بِاعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا

إِذَا نَحْنُ قَمْنَا عَنِ شَوَاءِ مُضَهَّبِ

وَرَحْنَا كَانَا جُوءَاتِي عَشِيَّةً

نُعَالِي النِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلِ وَ مُحَقَّبِ

ولا يس بعد ذلك فرسه وما له من قوة ومكانة في نفسه ونفس أصحابه ، وما له من بلاء عظيم في الصيد بحيث تجد دماء الطرائد تسيل على صدره وتخالط لونه كأنها (عصارة حناء بشيب مخضب) .

وعلى الرغم من أن عناية الشاعر الجاهلي بالحيوان كانت شديدة فائقة ، فإنه كان يربط ذكر الحيوان بما يحيط به من طبيعة ساكنة ، فلم ينس أن يتأمل في الصحراء ورمالها وديارها وأطلالها وما يمر عليها من رياح أو سحب أو مطر ، ويتأمل كذلك في السماء والنجوم ، وكان يشيم البرق ويستعلم الغمام ويذكر شدة الحر وقسوة البرد ، ولا ينسى حظه من مجالس يعقدونها للهو وشرب الخمر وسماع الغناء .

لقد تأمل الشعراء الجاهليون في الليل وظلامه ونجومه المتألثة وسحبه الداكنة والبرق الملتمع كأنه سيوف والمطر الهاطل الشديد ، فافتوا في كل ذلك ، ولعل أبرز شاعرين عرفا بوصف المطر والبرق والليل هما ليبي وامرؤ القيس ، فهما يقدمان لوحات رائعة مدهشة وبينهما شبه في موضوعيهما ، فأما ليبي (١) فيوفر لصورته هذه كل أسباب الكمال ، فهو يحدد الزمن بعد هذه

(١) ليبي بن ربيعة للمؤلف ص ٢٦٥ .

من الليل حين نام أصحابه على شعب رحالهم ، فهم على هذا في قافلة راحلة ، وهو ينظر في جوف الليل وقد سهر لهذا البرق وصوبه نحو نجد ، وليد وصحبه فيما يبدو في تهامة من أرض الحجاز ، ويرسم لييد صورة دقيقة رائعة حين يضيء البرق فيسطع ضوؤه على صفحة السحاب الاسود الكثيف المتدلى ، وكأن الرائي يرى أحباشا محاربين شديدي السواد شهروا حرابا بيض ساطعة ، ويستعير الشاعر للرعذ من الابل رغاءها حين تغزل عن صفارها وتمنع منها ، فتحن اليها هادرة مرزومة ، ويستعير من النساء النائحات نواحين وندبهن وهن يحركن خرقا سود يندبن ويلوخن بها ، وقد لاحظ في ذلك لون قطع السحب السود حين تتحرك في كبد السماء ، ولا يترك لييد هذه الصورة دون أن يحققها ويستكمل جوانبها ، فقد هطلت الامطار في موضع من ديار بنى عامر من هذه السحب المتدليلة التي يسطع فيها البرق فنبدو كأنها خيل فيها لوانان : أسود وأبيض ، البياض في بطون الخيل وشفاحها وهي ترمح عن صفارها ، وتجمعت الامطار فاذا هي سيول في أرض شاسعة تمتد من جبل (دهر) حتى (أنال) وانحدر السيل فتدقق نحو (الملحين) فغطى جانبيه ، وقد ذعرت الوحوش في جبل (صاحة) فاتحطت هاربة مخافة أن يجرفها هذا السيل كما جرف أشجار الثث من أعلى الجبال ، ولييد بعيد عن هذه الديار ، وهو على بعده يدعو لقومه بنى مجد - وفيهم أسماء حبيته - أن يرعوا نبت السماء ربعا وصيفا هائين منعمين مبرأين من كل داء أو وباء . واقرأ قصيدة لييد هذه ، وقارنها بقصيدة امرئ القيس في وصف البرق والمطر الذي نزل الوحوش من أعاليها وأغرق الارض (٢) ، فستجد لوحتين رائعتين لكل منهما طعم ومذاق ولون ، يقول لييد : (٣)

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٤ - ٢٦ قوله :

كلمح اليدين في حبي مكلل

أصاح ترى برقا - أريك وميضه

(٣) ديوان لييد ص ٨٨ - ٩٣ .

أصاح تري بريقا هب^{هـ} وهنأ

كمصباح الشعيلة في الذبال

أرقت له وأنجد بعد هدوء

وأصحابي على شعب الرحال

يضيء ربأبه في المزن حبشأ

قياما بالحيراب وبالإلال

كان مصفحات في ذراه

وأنواحا عليهن المآلى

فافرغ في الرباب يقود بُلُقأ

مجوفة تذب عن السخال

وأصبح راسيا برضام دهر

وسال به الخائل في الرمال

وحط وحوش صاحة من ذراها

كان وعولها رَمَكُ الجمال

على الأعراض أمينُ جانبيه

وأيسرُه على كُورَى أُنْثَالِ

وأردف مزُنُه المِلْحِينِ وَبِلا

سريعا صوبُه سرب العزالي

فبات السيلُ يركبُ جانبيه

من البقار كالعمدِ الثفَالِ

أقول و صوبُه مني بعيدُ

يَحْطُ الشَّتَّ من قَلَلِ الجِبَالِ

سقى قومي بني مجدٍ وأسقى

نُميرا والقبائلَ من هلالِ

رَعوهُ مرَبَّعا وتصيِّفوهُ

بلا وَبأِ سُمِّيَ ولا وَبَالِ

ويطول بنا الكلام اذا وقفنا عند معالم الصحراء وهي كثيرة ، فقد وصف الشعراء الجاهليون الرياض والديار والاطلال والدمن ، وارتبط كل هذا

بذكرياتهم وغزلهم ، كما وصفوا الغارة والحرب والاسلحة وما تخلفه الحرب
من جرحى وقتلى ورؤوس مقطعة وأشلاء متناثرة فى حومة القتال •

أما مجالس اللهو وحانات الخمر وما فيها من قيان ورقص وغناء ، فقد
وقفوا عندها وقفة هادئة متأملة فيها فن وابداع • وقد تناولوا الخمر ووصفوا
مجالسها وأثرها فى شاربها (١) وذكروا لونها وصفاءها وطعمها وما تفعله فى
النفوس ، وكان لخبهم للخمر أن شبهوا ريق محبوباتهم بالخمر طيبا ونكهة ،
يقول عبيد بن الابرص : (٢)

لَمَنْ جَمالٌ قَبيلُ الصبْحِ مزمومه

ميمماتٌ بلادا غيرَ معلومه

فبينَ هندٍ وقد هام الفؤادُ بها

بيضاءُ آنسةٌ بالحُسنِ موسومه

كانَ ريقَها بعدَ الكرى اغتبت

صباةً صافيةً بالمسكِ محتومه

(١) للتوسع فى شعر الخمر ينظر : تطور الخمرىات فى الشعر العربى -
جميل سعيد ص ٣٤ وما بعدها وأساليب الصناعة فى شعر الخمر
والناقة - محمد حسين ص ٣٦ وما بعدها ، والحياة العربية من
الشعر الجاهلى - أحمد الحوفى ص ٣٤٥ وما بعدها ، وفن الشعر
الخمرى وتطوره عند العرب - ايليا حاوى ص ١١ وما بعدها •

(٢) ديوانه ص ١٢٧ - ١٢٨ •

مما يغالي بها البياعُ عتقها

ذو شارب أصهب يُغلي بها السيمه

وأكثر الشعراء الجاهليين ذكروا الخمر وافتخروا بشربها ، لأن شربها
من علائم السخاء والاريجية والكرم وانها تبعث فى النفوس القوة والنشوة
وتهز للكرم والعطاء ، يقول حسان بن ثابت : (٣)

ونشربها فتركنا ملوكا

وأسدا ما ينهننا اللقاء

ويقول عمرو بن كلثوم : (٤)

تجورُ بذى اللبانةِ عن هواه

إذا ما ذاقها حتى يلينا

ترى اللحنَ الشحيحَ إذا أمرتُ

عليه لماله فيه مُهينا

(٣) ديوان حسان ص ٤

(٤) شرح المعلقات السبع - الزوزنى ص ١١٨ - ١١٩ .

وقد وصفوا سقاتها ولونها وطعمها قبل المزج وبعده ، وأعجبهم شكلها في
الكأس حين يطفو عليها الحب : (١)

ثم نادوا على الصَّبوح فقامت

قِنَّةٌ في يَمِينِها إِبْرِيْقُ

قَدَمته على عُقَارِ كَعِينِ الدِيدِ

لِكِ صَفِيٍّ سَلَا فِها الرَاوِوقُ

مُزَّةٌ قَبْلَ مَزْجِها فإِذَا ما

مُزِجت لَذَّ طَعْمِها من يَذوقُ

وطفأ فَوْقَها فقايعُ كالِ

بِأَقْوَتِ حُمُرٍ يَزِينُها التَصْفِيْقُ

ولا نجد شاعرا جاهليا يخلو شعره من ذكر الخمر والتفاخر بشربها أو
وصف مجالسها والسعى الى حانوتها وسبائها ، ولكن أشهر شاعر أحب الخمر
وأشاد بذكرها ووصف مجالسها وأثرها في النفوس هو الاعشى ، فهو شاعر
الخمر غير منازع ، فهو يصور سعيه الى الحانوت ومعه صاحب خفيف سريع
الى خدمته ، وينظم الى رفقة من الندمان من كرام القوم ، همهم أن ينالوا

(١) ديوان عدى بن زيد ص ٧٨ .

نصيبهم من ملاذ الحياة ، ويضمهم مجلس للشرب حافل بضروب من العطر
والأزاهير ، فشرّبوا خمرا مزّة ، فغلبتهم وأسكرتهم ، ولا يكاد أحدهم يصحو
من سكرته الا صاح طالبا المزيد ، ويطوف عليهم غلام يحمل كؤوس الخمر
حاذق جيد الخدمة سريع الاجابة في أذنه لؤلؤة قد شمر ثيابه ، ويستمعون في
هذا المجلس الى ألحان العود الذي يرافقه صوت الصنج على ترديد قينة
تسمعهم الغناء ، وهي في ثوب خفيف لا يكاد يستر جسمها ، وهكذا نجد
الاعشى يتأنق في وصف هذا المجلس فيقول : (٢)

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني

شاوٍ مُشيلٌ شلولٌ شلشلٌ شولٌ

في فتية كسيوف الهند قد علموا

أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيلُ

نازعتهم قُضْبَ الرِيحانِ متكئا

وقهوةٌ مُزّةٌ راووقها خِضْلُ

لا يستفيقون منها وهي رَاهِنَةٌ

الا بهاتٍ وان عَلّوا وان نهلوا

(٢) ديوان الاعشى ص ٤٥ - ٤٦ .

يسعى بها ذو زجاجات له نظف

مقلّص أسفل السربال معتمل

ومستجيب تخال الصنج يسمعه

إذا ترجع فيه القينة الفضل

ووصف هذه المجالس كثير في شعر الاعشى ، وفي كل مجلس يعرض
صورا ومشاهد جديدة بارعة رائعة ، ويلاحظ أن الاعشى يقرن بين هذه
المجالس وبين ما يكون فيها من معاينة القيان ، ففي شعره أن القينة التي تعزف
لهم وتطربهم ، تلبس ثوبا خفيفا معطرا بالمسك ملطخا بالزعفران ، وفيه فتق
في موضع كمها يتسع لايدي الشاربين وعبثهم بجسمها : (٣)

وقد أقطع اليوم الطويل بفتية

مساميح تسقى والخباء مروق

ورادة بالمسك صفراء عندنا

لجسّ الندامي في يد الدرع مفتق

(٣) ديوان الاعشى ص ١٤٧ .

إذا قلت غنى الشرب قامت بمزهر

يكاد اذا دارت له الكف ينطقُ

ويشير الى أنهم يشربون الخمر طيلة النهار ، حتى اذا جاء الليل آووا الى بيوت البغايا التي تكون قريبا من الحانات : (٤)

ثم راحوا مغربَ الشمس الى

قُطْفِ المِشِي قَلِيلَاتِ الحَزَنِ

وقد يصور الاعشى ما يكون بينه وبين البغايا من مجادلة ومساومة (١) ، وقد يصف ما يكون بينه وبين الخمار من مساومة لشراء الخمر الجيدة ، وحرص الخمار على فحص الدراهم وعلى الثمن الغالى الربيح • ولم يغادر الاعشى معنى من معانى الخمر أو صفة من صفاتها الا ذكرها وأفنن في وصفها وقد أجاد في تصوير أثرها في الشاربين وفعلها في الرؤوس والعظام والمفاصل : (٢)

وصهباء صرف كلون القصوص

باكرت في الصبح سوآرآها

-
- (٤) ديوان الاعشى ص ٢٢٨ •
(١) القصيدة ٧٨ ، البيت ٨ - ١٢ ص ٢٢٧ •
(٢) ديوان الاعشى ص ٢١٤ •

فظورا تميل بنا مرة

وطورا نعالج امرارها

تكاد تنشى ولما تذق

وتغشى المفاصل افتارها

تدب لها فترة في العظام

وتغشى النوايبه فوارها

تمزتها في بني قايا

وكنت على العلم مختارها

واذا عدنا الى الوصف بعامة نلقى نظرة على صفاته وخصائصه ، فماذا نجد ؟ ان الشاعر الجاهلي كان يحيط بالصورة احاطة تامة ، فهو يستحضر دقائقها ، ويحصر أطرافها ، ويستقصى جوانبها مع دقة في التعبير ومهارة وحذق وروية واجالة نظر ، والفن الجاهلي بسيط جميل من غير ضعف ولا تعقيد والبساطة مظهر من مظاهر البيئة ، فالبادية واضحة بسيطة بساطة الصحراء ووضوح الشمس ، لم تعقدها الحضارة ولم يفسدها الترف ، ومع البساطة صدق في التعبير عن المشاعر والاحساسات ، فالشاعر حين يصور عواطف الحيوان ومشاعره يصف الحاضر المشاهد من خلال عواطفه واحساساته هو من غير غلو ولا مبالغة ولا اسراف .

والوصف الجاهلي لوحات كاملة يوفر لها الشاعر كل أسباب الصورة
الموحية المؤثرة ، فيها الجو الملائم من المكان والزمان واللون والحركة وحتى
الصوت في بعض الاحايين . وقد صوروا عواطف الحيوان ومرحه ونشاطه
وسرعه وخوفه ووساوسه وحذره وجرأته وشدة بطشه ، وقد أظهروا كل
ذلك في القصص التي يسردونها عن الثور والبقرة وحمار الوحش والأتان ،
واتخذوا التشبيه وسيلة من وسائل الاداء وتقريب الصور البعيدة . ومن
الشعراء من كان يعنى بوصف ضخامة الحيوان والعناية بأعضائه ويفصل في
وصف جوارحه وهيكله ولونه وحسن شياته ، وقد أكدوا كذلك على الحصول
المعنوية والاحوال النفسية ، وقد ظهرت انسانيته من تعاطفهم مع الحيوان ،
فقد أضفوا عليه من صفات الانسان وعواطفه وصفاته ، فعبروا عن مخنة الثور
ومخاوفه حين يغشاه الليل بظلامه وصمته فيلوذ بأرطاة وهو يرتجف من قرّة
ريح الشمال وشدة المطر ، ومن مظاهر تعاطف الشاعر مع الحيوان ان جعله
منتصرا في أكثر الاحوال في صراعه مع كلاب الصيد ، فهو يجرحها
ويصرعها .

وقد تكرر الصور لدى الشعراء أو لدى الشاعر الواحد ، ومرجع ذلك
الى البيئة المحدودة التي تتكرر فيها المشاهد وتشابه فيها الصور ، وهذه الصور
وان كانت متشابهة في اطارها العام ، لكن لكل صورة معالجة معينة وتفصيلات
خاصة بها . وعلى العموم فقد احتل فن الوصف مكانا بارزا ومساحة واسعة
في شعر الشعراء الجاهليين .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحكمة

الحكمة الجاهلية دليل على رقي عقلية الشعراء وتفكيرهم وتأملهم في قضايا الناس والحياة ، وهي ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم ، والماضين ومصائرهم ، وتأمل في سعي الانسان وغايته ونهايته ، ثم احساس دقيق بالحياة .

ولا أزعج أنها فلسفة ذات أصول أو تفكير منظم وفق علم مدرّوس ، بل هي الى الاحساس الذاتي والتأثر أقرب منها الى التفكير العلمي ، فهي نظرات وانطباعات وتأمل في الحياة والموت ، ومحاولات لسن نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك ، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات ، ولذلك جاءت حكمتهم حقائق مجردة في تناول الفطرة السليمة تملئها التجربة والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم ، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأمّلات والمشاهدات ، تصاغ في بيت شعر أو مثل أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى ذات دلالات بعيدة ، تقع من النفس موقعها الاثير ، فيقبل عليها السامعون يروونها ويحفظونها ، وتغدو أمثالا تجرى على اللسان على مر العصور ، وقد وجدوا لها في أنفسهم أصداء فكتب للحكمة بذلك الدوام والبقاء .

وقد عرفت الحياة الجاهلية كثيرا من الحكماء ذاع صيتهم وعرفت حكمتهم ، مثل قس بن ساعدة وقصى بن كلاب ، ولقمان بن عاد ، ولقيم بن لقمان .

وعامر بن الظرب ، ومجاشع بن دارم ، وأكثم بن صيفى ، وربيعة بن حذار ،
وهرم بن قطبة (١) . وظهرت الحكمة فى شعر شعراء الجاهلية مثل لييد بن
ربيعة ، وزهير بن أبى سلمى ، وطرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعدى
ابن زيد العبادى ، وأمىة بن أبى الصلت ، وأوس بن حجر ، وذى الأصبع
العدوانى ، وعلقمة بن عبدة ، والأفوه الاودى ، وحاتم الطائى ، وغيرهم
كثير .

وقد جاءت الحكمة الجاهلية على قدر كبير من النضج العقلى ، فقد أفادوا
من خبرة الماضين وأخبار الملوك وقصص الامم البائدة . وشهد بعضهم حياة
طويلة حافلة ، رأوا أجيالا تمضى وأخرى تنشأ ، وأصابوا من خير الحياة
وشرها ، وذاقوا حلوها ومرها ، وفرحوا بما حبتهم ، وحزنوا بما رزأتهم به
من فقد ولد أو ذهب حبيب ، واعتبروا بكل ذلك ، وكان من هؤلاء الشعراء
الجاهليين من نظر واعتبر بالماضين ، وتأمل فى مصير الناس وغاية الحياة ، ولجأوا
أخيرا الى الله سبحانه ، كما فعل لييد وزهير ، ومنهم من يصور ويخبر ويقص
قصصا دينيا كأمية بن أبى الصلت ، ومنهم من يئس وتشاءم وهام وبكى كعدى
ابن زيد ، ومنهم من انصرف الى الحياة يلهو بها ويعب من ملذاتها ويعيش ليومه
بل لساعته كطرفة بن العبد .

فأما لييد (٢) فحكمه منشورة فى قصائد كثيرة ، تأتى فى نغمة روحية
صافية ، فى سياق تسيح الله وذكر الدين ، وتأتى للعبرة والموعظة عند ذكر
الماضين من الامم والملوك ، وتأتى فى ثوب حزين كئيب حين يرثى أخاه وبكى
موتاه ، وتأتى محملة بأنقال السنين فيها سأم وضجر من الحياة حين يتحدث عن

(١) البيان والتبيين ١/٣٦٥ .

(٢) ينظر كتابنا لييد بن ربيعة ص ٣٣٣ .

الشيخوخة وتطول العمر •

ومن جياذ قصائده في الحكمة ، قصيدته في رثاء أخيه أريد ، وليس من الغريب أن يرتبط الرثاء بالحكمة ، فالرثاء يدعو الى التفكير في الحياة والموت والزمان ، وتذكر الماضين الذاهبين فالشاعر في هذا يسجل تجاربه وخبراته في حكم يسوقها وأمثال يضربها ، على شاكلة قوله : (١)

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع

وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وقد كنت في أكناف جار مَضِينة

ففارقني جار باربداً نافع

فلا جزع ان فرّق الدهر بيننا

وكل فتى يوماً به الدهر فأجع

فلا أنا ياتيني طريف بفرحة

ولا أنا مما أحدث الدهر جازع

(١) ديوان لبيد ص ١٦٨ - ١٧٠ •

وما الناس الا كالديارِ وأهلها

بها يومَ حلّوها وغدواً بلاقعُ

وما المرءُ الا كالشهابِ وضوئِه

يخور رمادا بعدُ إذ هو ساطعُ

وما البرُّ الا مضمراتٌ من التقى

وما المالُ الا مُغمّراتٌ ودائعُ

وما المالُ والأهلونَ الا وديعة

ولا بد يوماً أن تردَّ الودائعُ

فهو ينظر الى نفسه والى الناس ، كلهم أبناء فناء صائرون الى بلى ،
وتبقى حركة الزمان خالدة مستمرة ، فالنجوم طوالع ، والجبال والبيوت ثابتة ،
ومن هؤلاء الذين أفنأهم الدهر أخوه الذى يضمن به ويحبه ، وهو مع ذلك
لا ييأس ولا يجزع على فراق أحبته ما دامت هذه هى سنة الحياة ، لا يسلم
من نوازل الدهر أحد ، فقد كتب على الناس العذاب ، ووقفت لهم المصائب
فى كل مرصد فصار مستهيناً بالدنيا ، لا يفرح بشيء من متاعها ، ولا يجزع
أن ألت به المصائب أو نزلت عليه الكوارث ، ويتأمل فى الموت وفناء الناس ،
فيرى حالهم كهذه الديار التى تراها عامرة آهلة ، وما هى الا أيام حتى لا
تجد منها غير رسوم مقفرة وآثار بالية تتناوح بها الرياح وتسفى عليها التراب ،

والانسان في سرعة زواله وفنائه يشبه النار ما أن تراها ساطعة منيرة حتى تعود بعد لحظات رمادا باليا كابيا لا خير فيه ، والانسان في الحياة لا يملك شيئا فما بيده من مال ان هو الا وديعة سرعان ما تسترد ، وهو نفسه وديعة سيعود يوما الى بارئه ، ويمضي مع الناس حين يمضون زرافات الى وادي الفناء كأنهم ابل يزجرها راعيها ، يسوق ما تفرق منها ليضمه الى القطيع السائر ، وهو هنا يؤكد حقيقة كبرى ، هي ان الموت نصيب كل حي ولا ينجو منه أحد .

وأما زهير فقد نظر الى الحياة نظرة واقعية ، فقد خبرها وعرف شرورها ، وخبر أخلاق الناس ونوازعهم ، فتراه يسوق حكمه بأسلوب وعظي حسي ملموس ، يقدم بين يدي الناس نظراته الى الحياة ، فالموت نصيب الانسان ان لم يصبه اليوم فغدا ، وان أخطأه عاش دهرا فيهرم ثم يدركه الموت ، والمرء مجبر في حياته ان يعاشر الناس ويصانهم والا ظلموه وأذلوه ، أما المال فلا خير فيه اذا لم ينفق في صالح القوم ويبدل دون الشرف ، والضعيف في مجتمع القوة لا خير فيه فان لم يقو في حياته سحقه الاقوياء ، والجبان في هذه الدنيا الخائف من منيته لا فرار له وهل يستطيع أن يتخذ له سلما في السماء ؟ وعلى هذا النمط يعرض زهير أفكاره ويسوق مواظمه : (٢)

رَأَيْتَ الْمَنَايَا خَبِطَ عَشْوَاءَ مِنْ تُصِيبُ

تُمَتِّتُهُ وَمِنْ تَخْطِئِي يَعْمرُ فِيهِرَمِ

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله

ولكنني عن علم ما في غد عم

(٢) ديوان زهير ص ٢٩ .

ومن لا يصانع في أمور كثيرةٍ

يضرَّسَ بانِيَابٍ وَيوطأُ بِمَنَسِمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ

عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ

يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقُ الشُّتْمَ يَشْتَمُ

وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنِ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ

يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْلَنَهُ

وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ

وإذا كانت هذه نظرة زهير الى الدنيا وقد رضى منها بهذا الواقع

السيء ، فإن من الشعراء من حاول الهروب من هذا الواقع والتمرد عليه
فالتمس طريقا للهروب منه بأن اتخذ القوة والغارة والخمر واللهو واللذة
والمجون سبيلا الى نسيان شبح الموت وبؤس الحياة ، وكانت هذه هي فلسفة
طرفة بن العبد في حياته ، أن يعيش لساعته ويغتم من ملذات حياته
القصيرة : (١)

(١) ديوان طرفة ص ٢٧ .

وما زال تشرابي الخمرَ ولذتي

وبيعي وإنفاقي طريفني ومُتدي

الى أن تحامتنني العشيبةُ كلها

وأفردتُ أفرادَ البعير المعبدِ

وما دام الموت مترصدا له واذا استهدفه لا يخطئه ، فلم الحذر منه والحواف
من لقاؤه ؟ وما دام الامر كذلك فقد رسم له نهجا في الحياة أن يعب من لذاتها
ما استطاع ، ولذلك يجيب اللاتمين ويلخص لهم مذهبه في الحياة : (٢)

ألا أيذا الزاجري أحضر الوغى

وأن أشهد اللذاتِ هل أنت مخلدي

فان كنت لا تستطيع دفعَ منيتي

فذرني أبادرها بما ملكت يدي

فلولا ثلاثُ هن من حاجة الفتى

وجدك لم أحفل متي قام عودِي

(٢) ديوانه ص ٢٧ - ٢٨ .

وتسأل عن هذه الثلاث فيجيبك ، انها الحمر والفروسية والغزل بالنساء ،
ويذكرها على هذا النظام : (٣)

فمنهن سبقي العاذلاتِ بشريةِ
كُسميتِ متى ما تُغلّ بالماء تزُبدِ
وكرى اذا نادى المضافُ محباً
كسيد الغضا نبهته المتوردِ

وتقصيرُ يوم الدّجن والدّجن معجب
ببكنة تحت الطُراف المعمدِ

وقد يرى - من يرى - أن طرفة غوى ماجن ، دفعه طيش الشباب الى
ركوب هذا المسلك الوعر ، ولكن طرفة يجيب هؤلاء بحكمة الشيوخ ويضعهم
أمام صورة الموت وجها لوجه ، يمثله لهم ويحدثهم عن العمر الذي ينقص
كل يوم ، الموت الذي يترصد بالناس ولا يخطيء منهم أحدا صغيرهم أو
كبيرهم ، غنيهم أو فقيرهم ، فنصيب كل منهم جثوة من تراب ، لا فرق بين
جثوة الغنى وجثوة الفقير فكلهم تراب في تراب : (٤)

(٣) ديوانه ص ٢٩ .

(٤) ديوانه ص ٣١ - ٣٢ .

أرى قبرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ

كقبرِ غوى في البطالة مُفْسِدِ

تري بُجْثوتين من ترابِ عليهما

صفائحُ صُمٍ من صفيحٍ منضدِ

أرى الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويصطفى

عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشددِ

أرى المالَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ

وما تنقصُ الأيامُ والدهرُ ينفدُ

لعمرك ان الموتَ ما أخطأ الفتى

لكالطِوَالِ المرخى وِثْيَاهُ باليدِ

أما عدى بن زيد فيتخذ من التاريخ دروساً وعظات ، يتفكر في مصير الناس وفناء الماضين وزوال النعم ، وهو في مواضع كثيرة من شعره يقص على الناس أخبار الملوك والجبابة الذين أبادهم الدهر وأخنى عليهم الزمان ، ولذلك فلا مطمع في الدنيا ولا مأمّن من غدرها ، فالإنسان ضيف في هذه الدنيا مسافر

فى طريق الفناء ، فلا يغرنك ما تراه من رفاة الناس وما عليهم من نعمة وترف ،
يقول : (١)

من رأنا فليحدثْ نفسه

أنه مُوفٍ على قرن زوالٍ

وخطوب الدهر لا يبقى لها

ولما تأتي به صمُّ الجبالِ

ربَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا

يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ

والأباريقُ عليهم فدم

وعتاقُ الخيلِ تردى في الجلالِ

عمرُوا دهرًا بعيشِ حَسَنِ

آمنى دهرهم غيرِ عِجالِ

ثم أضحوا أنخَعَ الدهرُ بهم

وكذاك الدهرُ يودي بالجبالِ

(١) ديوان عدى ص ٨٢ - ٨٣ .

وكذاك الدهر يرمي بالفتى

في طلاب العيش حالا بعدَ جالٍ

ومن الشعراء من يتجه في نفسه وأفكاره الى الله ، مثل لبيد ، الذى كان فى جاهليته - ككثير من رجالها - يؤمن بالله وحده ولا يشرك به أحدا ، فهو يدري ان كل شىء يؤول الى الله ، وان كل ما فى الدنيا هالك الا وجهه ، وان كل نعيم فى الحياة مصيره الزوال ، وان الناس يذلم الموت ويفرق شملهم ، وكل امرىء صائر الى يوم حساب ، يوم تكشف أعمال الناس فيعلم كل منهم ما قدمت يداه ويعرف حقيقة مسعاه : (٢)

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم

بلى : كلُّ ذى لبٍّ الى اللهِ واسلُّ

ألا كلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ

وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلٌ

وكلُّ أناسٍ سوفٍ تدخل بينهم

دويبةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

(٢) ديوان لبيد ص ٢٥٥ .

وكل امرئ يوماً سيُعلم سعيه

إذا كُشِّفتْ عند الإله المحاصلُ

هذا ضرب من الحكمة تناول القضايا الكبرى في الحياة ، وهناك ضرب آخر اتجه الى الناس وأخلاقهم وطباعهم والشكوى من أذاهم وما جبلوا عليه من غدر وخديعة أو طمع وبخل وجبن ، فهذا أوس بن حجر يبصر بصنف من الناس : (٣) .

فإني رأيت الناسَ الا أقلهم

خفافَ العهودِ يكثرُونَ التنقلا

بني أمّ ذي المال الكثير يرونه

وان كان عبداً سيداً الأمر جحفلا

وهم لمقلّ المال أولادُ عِلَّةٍ

وان كان محضاً في العمومة مخولا

وليس أخوك الدائم العهد بالذي

يدّمك ان ولىّ ويرضيك مقبلا

(٣) ديوان أوس بن حجر ص ٩١ - ٩٢ .

ولكن أخوك الناني ما دمت آمناً
وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضاء

أما علقمة بن عبدة فيين طبيعة المرأة وما جبلت عليه من حب للشباب
والغنى فيقول : (١)

فان تسألوني بالنساء فأنني
بصيرٌ بأدواء النساء طيبٌ
إذا شاب رأسُ المرء أو قل ماله
فليس له من ودهن نصيبٌ

ويوجز زهير خبرته بالناس ويبصر بأخلاقهم ودخائل نفوسهم
فيقول : (٢)

ومن يغترب يحسب عدواً صديقَه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

(١) ديوان علقمة بن عبدة ص ٣٥ - ٣٦ .
(٢) ديوان زهير ص ٣٢ والبيتان الاخيران من شرح المعلقات السبع -
الزوزنى ص ٨٩ .

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ

وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكائن ترى من صاحب لك معجب

زيادته او نقصه في التكلم

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤادهُ

فلم يبق الا صورةُ اللحم والدم

والملاحظ في الحكمة أنها تلخص تجربة الشاعر ونظرته الى الحياة والناس ، وقد جاءت بعامتها في أسلوب واضح سهل بعيد عن الغريب والتكلف ، وقد تطلب على الحكمة مسحة من الحزن والعاطفة التي يشيع فيها الالم والحسرة والتشاؤم ، وذلك لارتباط الحكمة بالرثاء من ناحية ، وللتفكير بمصير الناس والموت والفناء من ناحية ثانية ، ويتضح فيها أثر السن وخبرة الايام ، ففيها تجارب ذاتية ، وفي بعضها وعظ وارشاد ونصح وهداية .

وأكثر شعر الحكمة جاء في تضاعيف القصائد الطوال أو في نهايتها ، ويكون الانتقال اليها من شعر الحمرة واللهم ، فهو صحوة بعد سكرة العيب ، أو مرتبطا بالرثاء لانه حديث عن الموت أو يكون متعلقا بالديار لانها تذكر بالزوال والفناء ، أو ختاماً لقصيدة يلخص فيها خبرته ونظرته في الناس

والحياة ، ولا نعدم أن نجد بعض القصائد تنفرد بموضوع الحكمة ولا تشرك
به غيره ويكثر ذلك في شعر عدى بن زيد وأمية بن أبي الصلت ، ولا يخلو
ديوان شاعر من الحكمة التي تفكر في الحياة ومصير الانسان والزمان واحداثه
والدهر وتقلباته والناس وأخلاقهم وطباعهم والاقوام التي كانت والامم التي
صارت أحاديث وذكريات •



رَفَع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

مصادر البحث ومراجعته

- إحياء علوم الدين - الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد (ت ٥٠٥ هـ)
ط الحلبي ، مصر ١٩٣٩ م .
- الأخبار الطوال - الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) ط
وزارة الارشاد القومي ، مصر .
- أدب الكتاب - الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) تحقيق محمد
بهجة الأثري ، ط مصر ١٣٤١ هـ .
- الأزمنة والأمكنة - المرزوقي : أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٢١ ، هـ)
ط دائرة المعارف ، الهند ١٣٣٢ هـ .
- أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين - محمد محمد
حسين ، ط دار نشر الثقافة ، الاسكندرية مصر ١٩٦٠ م .
- أسباب نزول القرآن - الواحدى : علي بن أحمد النيسابورى . تحقيق أحمد
صقر ، ط مصر .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ابن عبد البر : يوسف بن عبدالله النمري
(ت ٤٦٣ هـ) تحقيق محمد البجاوي ، ط نهضة مصر .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير : علي بن محمد بن الجزري
(ت ٦٣٠ هـ) ط المكتبة الإسلامية ، طهران .
- أسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الأصبغ السلمى (ت القرن الثالث
الهجرى) تحقيق عبد السلام هارون ، ط سنة ١٣٧٣ هـ .

- أسماء نخيل العرب وفرسانها - ابن الاعرابي : محمد بن زياد (٢٣١ هـ)
تحقيق جرجي لوي دلافيدا ، ط بريل ١٩٢٨ م .
- الأصمعيات - الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ)
تحقيق شاكر وهارون ، ط دار المعارف مصر ١٩٥٥ م .
- الأصنام - ابن الكلبي : هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٥ هـ) تحقيق
احمد زكي ، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .
- اعجاز القرآن - الباقلائي : أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ) تحقيق
السيد أحمد صقر ، ط دار المعارف مصر ١٩٦٣ م .
- أعجب العجب في شرح لامية العرب - الزمخشري : جار الله محمود بن عمر
(ت ٥٣٨ هـ) ط حجر ، مصر .
- الأغاني - الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (٣٥٦ هـ) ط دار
الكتب وبولاق وليدن وساسي ، حسب ما يشار في الهامش .
- الأمالي (وذيل الأمالي والنوادر) القالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي
(ت ٣٥٦ هـ) . ط السعادة ، مصر ١٩٥٣ م .
- الأمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) - الشريف المرتضى : علي بن الحسين
العلوي (ت ٤٣٦ هـ) . تحقيق أبي الفضل ابراهيم ، ط الحلبي مصر
١٩٥٤ م .
- الانباه على قبائل الرواة - ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣ هـ)
ط القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- انباه الرواة على انباه النحاة - القفطي : جمال الدين علي بن يوسف (٦٤٦ هـ)
تحقيق أبي الفضل ابراهيم ، ط دار الكتب المصرية ٥٠ - ١٩٥٥ م .
- أنساب الأشراف - البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ) الجزء
الأول ط دار المعارف والجزء الخامس ط القدس .
- أنساب الخيل - ابن الكلبي : هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٦ هـ) تحقيق
أحمد زكي ، ط دار الكتب المصرية ١٩٤٦ م .

- ابغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) . ط السعادة القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- بلاغات النساء - ابن طيفور : أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني (ت ٢٨٠ هـ) ط القاهرة ١٩٠٨ م .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - الآلوسي : محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ) تحقيق الأثري ط سنة ١٩٢٤ م .
- البيان والتبيين - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، ط الحلبي مصر ١٩٤٥ ، وط لجنة التأليف سنة ١٩٤٨ م .
- تاج العروس - الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) ط الخيرية ، مصر ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) - ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) . ط دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٥٦ م .
- تاريخ آداب العرب - الرافعي : مصطفى صادق (ت ١٩٣٢ م) ط الاستقامة ، القاهرة ١٩٤٠ م .
- تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان ، ط الهلال ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- تاريخ الأدب العربي - بروكلمان : كارل ، ترجمة عبد الحلیم النجار ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٠ م .
- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) - بلاشير : ريجيس ترجمة ابراهيم كيلاني ، ط دمشق ١٩٥٦ م .
- تاريخ الجاهلية - عمر فروخ . ط بيروت ١٩٦٤ م .
- تاريخ الشعر العربي - نجيب محمد البهيتي ط دار الكتب المصرية ، مصر ١٩٥٠ م .
- تاريخ الطبري - الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ط أوربا وط الحسينية .

- تاريخ العرب الأدبي - نيكلسون : رينولد ، ترجمة صفاء خلوصي ، ط دار المعارف ، بغداد ١٩٧٠ م .
- تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ، ط المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٦ م .
- تاريخ العرب (مطول) - فليب حتي وجرجي جبور ، ط الكشاف ، بيروت ١٩٥٢ م .
- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٢ هـ) ط الغري ، النجف ١٣٥٨ هـ .
- تجارب الأمم - ابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) نشر كياتاني ، ط ليدن ١٩٠٩ م .
- تريين الأسواق بتفضيل أشواق العشاق - الأنطاكي : داود بن عمر (ت ١٠٠٨ هـ) ط مصر ١٢٩١ هـ .
- تطور الخمريات في الشعر العربي - جميل سعيد ، ط الاعتماد ، مصر ١٩٤٥ م .
- تفسير الكشاف - الزمخشري : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) ط مصر .
- التنبه على أوهام أبي علي في أماليه - البكري : عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ) ط السعادة ، مصر ١٩٥٤ م .
- جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة ، ط القاهرة ١٩٤٦ م .
- جمهرة أشعار العرب - القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ، ط بيروت ١٩٦٣ م .
- جمهرة أنساب العرب - ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف مصر ١٩٦٢ م .
- حديث الأربعاء - طه حسين ، ط الحلبي ، مصر ١٩٣٧ م .
- حضارة العرب - جوستاف لوبون ، ط الحلبي ، مصر ١٩٢٥ م .
- حماسة البحري - البحري : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤ هـ) .
- تحقيق لويس شيخو ، ط الكاثوليكية بيروت ١٩١٠ م .

- حماسة ابن الشجري - ابن الشجري : هبة الله علي بن حمزة العلوي (ت ٥٤٢هـ)
ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٤٥ هـ و ط دمشق ١٩٧٠ م .
- الحماسة البصرية - البصري : صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري
(ت ٦٥٩ هـ) تحقيق مختار الدين أحمد ، ط الهند ١٩٦٤ م .
- الحياة العربية في الشعر الجاهلي - أحمد محمد الحوفي ، ط ٣ نهضة مصر ١٩٥٦
و ط ٤ نهضة مصر ١٩٦٢ م .
- الحيوان - الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام
هارون ، ط الحلبي ١٩٤٥ م .
- خزانة الأدب - البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) ط بولاق
مصر ١٢٩٩ هـ .
- الخصائص - ابن جني : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ط دار الكتب
المصرية ٥٢ - ١٩٥٦ م .
- الخيال - الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ) تحقيق
هافتر ، ط فيينا ١٨٨٥ م .
- الخيال - أبو عبيدة : معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) . ط حيدر آباد ، الهند
١٣٥٨ هـ .
- ديوان الأعشى - الأعشى : ميمون بن قيس (ت ٦٢٩ م) تحقيق رودلف جاير ،
جاير ، ط بيانة ١٩٢٧ م . و ط محمد حسين ، مكتبة الجماهير
- ديوان امرئ القيس - امرؤ القيس بن حجر الكندي . تحقيق أبو الفضل ابراهيم ،
ط دار المعارف مصر ١٩٥٨ م .
- ديوان أوس بن حجر - تحقيق محمد يوسف نجم ، ط صادر بيروت ١٩٦٠ م .
- ديوان جرير - جرير بن عطية بن الخطمي (ت ١١٠ هـ) تحقيق نعمان أمين
طه ، دار المعارف مصر ١٩٧١ م .
- ديوان جميل - جميل بن معمر العذري (ت ٨٢ هـ) تحقيق حسين نصار ،
ط مصر ١٩٦٧ م .

ديوان حاتم الطائي - حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي (ت ٥٧٨ م) ط لندن ١٨٧٢ م .

ديوان حسان بن ثابت - حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤ هـ) ط ليدن ١٩١٠ م
وط السعادة مصر بلا تاريخ .

ديوان الحطيئة - جرويل بن أوس (ت ٣٠ هـ) تحقيق نعمان أمين طه . ط
الحلي مصر ١٩٥٨ م .

ديوان الخرنق - الخرنق بنت بدر بن هفان (ت ٥٧٤ م) ضمن رياض الأدب
في مرآئي شواعر العرب ، جمع لويس شيخو ، ط بيروت ١٨٩٧ م .

ديوان الخنساء - الخنساء : تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية (ت ٢٤ هـ) .
أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء . تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٨٩٦ م .

ديوان زهير - زهير بن أبي سلمى المزني الغطفاني (ت ٦٠٩ م) ط دار الكتب
المصرية ١٩٤٤ م .

ديوان سراقه البارقي - سراقه بن مرداس البارقي الأزدي (ت ٧٩ هـ) تحقيق
حسين نصار ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٤٧ م .

ديوان السموأل - السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي (ت ٥٦٠ م)
تحقيق لويس شيخو ، ط الكاثوليكية بيروت ١٩٢٠ م .

ديوان الشنفرى - الشنفرى : عمرو بن مالك الأزدي (ت ٥٢٥ م) ضمن
الطرائف الأدبية ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط القاهرة ١٩٣٧ م .

ديوان طرفه - طرفه بن العبد البكري (ت ٥٦٤ م) شرح الأعلام الشتمري ،
تحقيق مكس سلفون ، ط باريس ١٩٠٠ م .

ديوان طفيل الغنوي - طفيل بن عوف الغنوي (ت ٦١٠ م) ط لندن ١٩٢٧ م .
ديوان عبيد بن الأبرص - تحقيق لايل ، ط دار المعارف مصر ، بلا تاريخ . وط

حسين نصار ١٩٥٧ م .
ديوان عدي بن زيد - عدي بن زيد العبادي (ت ٥٩٠ م) . تحقيق محمد

جبار المعبيد ، ط بغداد ١٩٦٥ م .

ديوان عروة بن الورد - عروة بن الورد العبسي (ت ٥٩٤ م) ط ابن أبي شنب ، الجزائر ١٩٢٦ م وط دمشق ١٩٦٦ م .

ديوان علقمة الفحل - علقمة بن عبدة (ت ٦٠٣ م) ط لطفي الصقال ، حلب ١٩٦٩ م .

ديوان عمرو بن معديكرب - عمرو بن معديكرب الزبيدي (ت ٦٤٢ م) تحقيق هاشم الطعان ، ط بغداد ١٩٧٠ م .

ديوان عنتره - عنتره بن شداد العبسي (ت ٦٠٠ م) تحقيق محمد سعيد مولوي ، ط المكتب الإسلامي دمشق ١٩٧٠ م .

ديوان الفرزدق - همام بن غالب بن صعصعة (ت ١١٠ هـ) تحقيق الصاوي ، ط مصر ١٩٣٦ م .

ديوان لبيد - لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤٠ هـ) تحقيق احسان عباس ، ط الكويت ١٩٦٢ م .

ديوان المثلث - جرير بن عبد العزيز الضبيعي (ت ٥٦٩ م) تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ط معهد المخطوطات العربية ١٩٧٠ م .

ديوان المثقب العبدى - العائد بن محصن بن ثعلبة (ت ٥٨٨ م) تحقيق محمد حسن آل ياسين ، ط المعارف بغداد ١٩٥٦ م .

ديوان النابغة الذبياني - زياد بن معاوية (ت ٦٠٤ م) صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكري فيصل ، ط بيروت ١٩٦٨ م .

ديوان الهذليين - ط دار الكتب المصرية ٤٥ - ١٩٥٠ م .
رسالة الترييع والتدوير - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)

تحقيق شارل بلا ، ط دمشق ١٩٥٥ م .
رياض الأدب في مرآتي شواعر العرب - جمع وتحقيق لويس شيخو ، بيروت

١٨٩٧ م .
الروض الأنف - السهيلي : عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت ٥٨١ هـ)

ط سنة ١٩١٤ م .

زهر الآداب - الحصري : ابراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ) تحقيق علي محمد
البجاوي ، ط الحلبي مصر ١٩٥٣ م .
السيرة النبوية - ابن هشام : عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) تحقيق السقا
والأبياري وشلبي ، ط الحلبي مصر ١٩٥٥ م .

شرح أشعار الهذليين - السكري : أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥ هـ)
تحقيق عبد الستار فراج ، ط المدني القاهرة ١٩٦٥ م .
شرح ديوان الحماسة - التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٢٠ هـ)
ط بولاق ١٢٩٦ هـ و ط السعادة مصر ١٣٤٦ هـ .

شرح ديوان الحماسة - المرزوقي : أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين
(ت ٤٢١ هـ) تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، ط لجنة الترجمة
والتأليف والنشر ١٩٥١ م .

شرح المعلقات العشر - التبريزي : يحيى بن علي (ت ٥٢٠ هـ) تحقيق فخر
الدين قباوة ، ط حلب ١٩٦٩ م .
شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات - ابن الأنباري : أبو بكر محمد بن
القاسم (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف مصر ١٩٦٣ م .

شرح المعلقات السبع - الزوزني : ابو عبدالله الحسين بن أحمد (ت ٤٨٦ هـ)
ط صادر بيروت ١٩٥٨ م .

شرح المعلقات التسع - النحاس : ابو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل
النصري (ت ٣٣٨ هـ) مخطوط في دار الكتب المصرية رقم ٤٦٠ وطبع
بتحقيق أحمد خطاب ، بغداد ١٩٧٣ م .

شعراء النصرانية - لويس شيخو اليسوعي (ت ١٩٢٧ م) ط الآباء اليسوعيين ،
بيروت ١٩٢٧ م .

الشعر الجاهلي - فؤاد افرام البستاني - سلسلة الروائع ، ط الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٧ وط الرابعة ١٩٥٨ م .

الشعر الجاهلي - محمد النويهي ط الدار القومية ، القاهرة بدون تاريخ .
شعر مالك و متمم ابنا نويرة اليربوعي - ابتسام مرهون الصفار ، ط الارشاد .
بغداد ١٩٦٨ م .

شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه - يحيى الجبوري ، ط مكتبة النهضة بغداد
١٩٦٤ م .

الشعر والشعراء - ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم لدينوري
(ت ٢٧٦ هـ) تحقيق أحمد ... ، ط دار المعارف مصر ٦٦ - ١٩٦٧ م .
الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي - يوسف خليف ، ط دار المعارف ، مصر
١٩٥٩ م .

شعر الوقوف على الأطلال - عزة حسن ، ط الترقى ، دمشق ١٩٦٨ م .
الشعر المفتعل الموضوع عند ابن سلام - علي جواد الطاهر ، بحث في مجلة
الآداب عدد ١٢ كانون أول ١٩٦٥ بيروت .

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - الجوهرى : أبو نصر اسماعيل بن
حماد (ت ٣٦٨ هـ) تحقيق عبد الغفور عطار ، ط مصر ١٩٥٦ م .
صحيح البخاري - البخاري : أبو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)
ط أوربا .

صحيح مسلم - مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
(ت ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط مصر ١٩٥٥ م .
صفة جزيرة العرب - الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤ هـ)
نشر محمد النجدي ، ط السعادة مصر ١٩٥٣ م .

الصناعتين - العسكري : ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ)
تحقيق البنجاوي وابو الفضل ، ط الحلبي مصر ١٩٥٢ م .
طبقات الأمم - صاعد الأندلسي : القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت
٤٦٢ هـ) ط السعادة مصر .

- طبقات فحول الشعراء - الجمحي : محمد بن سلام (ت ٢٣١ هـ) تحقيق محمود شاكر ، ط دار المعارف مصر ١٩٥٢ م .
- الطبقات الكبرى - ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ) تحقيق سخو ، ط ليدن ١٣٢٢ هـ .
- الطرائف الأدبية - تحقيق عبد العزيز الميمني . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٣٧ م .
- العرب قبل الإسلام - جرجي زيدان . ط بعناية حسين مؤنس . دار الهلال مصر .
- العصر الجاهلي - شوقي ضيف . ط دار المعارف . مصر ١٩٦٠ م .
- العقد الفريد - ابن عبد ربه : أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق أحمد أمين والزين والابباري . ط لجنة التأليف مصر ٤٨ - ١٩٥٠ م .
- العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين - الوارد . ط ليدن .
- العمدة - ابن رشيق : الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) نشر محيي الدين عبد الحميد ، ط السعادة مصر ١٩٥٥ م .
- عيون الأخبار - ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم الدينوري (٢٧٦ هـ) ط دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م .
- الغزل في العصر الجاهلي - أحمد محمد الحوفي ، ط الثانية نهضة مصر ١٩٦١ م .
- الفاائق في غريب الحديث والأثر - الزمخشري : جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق البجاوي وأبي الفضل ، ط القاهرة ١٩٤٥ م .
- فتوح البلدان - البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) . ط المصرية ١٩٣٢ م .
- فجر الإسلام - أحمد أمين ، ط السابعة ، مط النهضة مصر .
- فقه اللغة - الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) نشر سليجمان ، ط اوربية .
- فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب - ايليا حاوي . ط دار الثقافة . بيروت بدون تاريخ .

- الفهرست - ابن النديم : محمد بن اسحاق بن يعقوب (ت ٣٨٥ هـ) ط
التجارية مصر ١٣٤٨ هـ . ط لايزك ١٨٧١ م .
- في الأدب الجاهلي - طه حسين . ط الحلبي مصر ١٩٣٧ م .
- في الشعر العربي القديم ونقده - عبد الجبار المطلبي . بحث في مجلة كلية
الآداب ، بغداد نيسان ١٩٦٤ م .
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير : علي بن محمد بن الجزري (ت ٦٣٠ هـ) .
ط المنيرية مصر ١٣٤٩ هـ .
- الكامل في اللغة والأدب - المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي
(ت ٢٨٥ هـ) تحقيق زكي مبارك ثم أحمد شاكر ، ط الحلبي مصر ١٩٣٧ م .
- كتاب المطر (ضمن البلغة في شذور اللغة) - أبو زيد الأنصاري : سعيد بن
أوس بن ثابت (ت ٢١٥ هـ) . ط لويس شيخو ، بيروت ١٩٠٨ م .
- القاموس المحيط - الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب (ت ٨١٦ هـ) ط
الثانية ، مصر بدون تاريخ .
- كتاب الأشربة - ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق
محمد كرد علي ، ط دمشق ١٩٤٧ م .
- كتاب الأنواء في مواسم العرب - ابن قتيبة : تحقيق شارل بيلا . ط الهند ١٩٥٦ م .
- كشف الظنون - حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي (ت ١٠٦٦ هـ)
ط مصر ١٢٧٤ هـ .
- الكواكب السائرة - نجم الدين الغزي . ط بيروت ١٩٤٥ م .
- ليبد بن ربيعة العامري - يحيى الجبوري ، ط بيروت ١٩٧٠ م .
- لسان العرب - ابن منظور : محمد بن المكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ)
ط الأميرية بولاق ١٣٠٠ هـ .
- المغل السائر - ابن الأثير : ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني (ت ٦٣٧ هـ) .
تحقيق الحوفي وطبانة ، ط نهضة مصر ١٩٦٢ م .
- مجمع الأمثال - الميداني : أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) نشر محيي

- الدين عبد الحميد . ط السعادة مصر ١٩٥٩ م .
- محاضرات في تاريخ العرب - صالح احمد العلي . ط بغداد ١٩٦٤ م .
- المحبر - محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) . ط الهند ١٩٤٢ م .
- مختصر الدول - ابن العبري : ابو الفرج غريغوريوس بن هارون المالطي
(ت ٦٨٥ هـ) ط بيروت .
- المختصر في أخبار البشر - ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل صاحب حماة
(ت ٧٣٢ هـ) ط الحسينية مصر .
- مختصر كتاب البلدان - ابن الفقيه : احمد بن محمد الهمداني (ت ٣٦٥ هـ)
نشر دي غويه ، ط ليدن ١٨٨٥ م .
- المرأة في الشعر الجاهلي - احمد محمد الحوفي ط نهضة مصر ١٩٥٤ م .
- مراتب النحويين - ابو الطيب اللغوي : عبد الواحد بن علي الحلبي (ت ٣٥١ هـ)
تحقيق أبي الفضل ابراهيم . ط نهضة مصر ١٩٥٥ م .
- مروج الذهب - المسعودي : علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ) ط محيي الدين
عبد الحميد ، مصر .
- المزهر - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)
تحقيق جاد المولى والبجاوي وأبي الفضل . ط الحلبي بدون تاريخ .
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - ناصر الدين الأسد . ط دار المعارف .
مصر ١٩٥٦ م .
- المعارف - ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ط دار الكتب
المصرية ، مصر ١٩٦٠ م .
- معلقات العرب - بدوي أحمد طبانة . ط الرسالة . مصر ١٩٥٨ م .
- معجم الأدباء - ياقوت : ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)
تحقيق مرجليوث ، ط هندية مصر ٢٣ - ١٩٢٥ م .
- معجم البلدان - ياقوت . ط لايبزك ١٨٦٦ م .

- معجم الشعراء - المرزباني : ابو عبيد محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ) تحقيق
عبد الستار فراج ، ط مصر ١٩٦٠ م .
- معجم ما استعجم - البكري : ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ)
تحقيق مصطفى السقا ، مصر ١٩٤٥ م .
- معجم المطبوعات العربية والمعرية - سر كيس : يوسف اليان ، ط مصر ١٩٢٨ م .
- المغازي (مغازي رسول الله) - الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ)
ط السعادة ، مصر ١٣٦٧ هـ .
- المفضليات - الضبي : المفضل بن محمد (ت ١٧٨ هـ) تحقيق لائل ، ط
أوكسفورد ١٩٢٠ م . وتحقيق شاكر وهارون . ط دار المعارف
مصر ١٩٦٤ .
- مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) . ط
مصطفى محمد بدون تاريخ .
- الملل والنحل - الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) نشر
محمد بدران ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- المنتظم - ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٦٧ هـ) . ط حيدر آباد
١٣٥٩ هـ .
- المنصفات - جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي . ط دمشق ١٩٦٧ م .
- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء - المرزباني : أبو عبيد الله محمد بن عمران
(ت ٣٨٤ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، ط نهضة مصر ١٩٦٥ م .
- نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد - محمد الجزائري ، الأهلية . بيروت
١٣٢٦ هـ .
- نزهة الألباء - ابن الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد
(ت ٥٧٧ هـ) تحقيق ابراهيم السامرائي ، ط بيروت ١٩٧٠ م .
- نسب قريش - المصعب الزبيري : أبو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦ هـ)
تحقيق ليني بروفنسال ، ط دار المعارف مصر ١٩٥٣ م .
- نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي - عبد الحميد مسلوت . ط مصر بدون تاريخ .

النقائض - أبو عبيدة : معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) تحقيق بيفان ، ط ليدن ١٩٠٥ م .

نقد الشعر - قدامة بن جعفر (ت ٣١٠ هـ) نشر كمال مصطفى ، ط مصر ١٩٤٨ ، وط بريل .

نهاية الأرب - النويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ) ط دار الكتب المصرية ، مصر ١٩٢٩ م .

النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٠٦ هـ) . ط حجر .

الوحشيات - أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني . ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٣ م .

الوساطة بين المتنبئ وخصومه - الجرجاني : علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) ط دار إحياء الكتب العربية ، مصر ١٩٤٥ م .

وفيات الأعيان - ابن خلكان : أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) تحقيق احسان عباس ، ط دار الثقافة بيروت .

الهجاء والهجاؤون في الجاهلية - محمد محمد حسين ، ط الآداب ، الإسكندرية ١٩٤٧ م .

Khuda Bukhsh : Contributions to the History of Islam Civilization.
Calcutta. 1930.

Mohammad Ali : Mohammad the Prophet.
Lahore. 1933.

Nicholson (R.A.) : A Literary History of the Arabs.
London. 1941.

O'Leary (De Lacy) : Arabia before Mohammad. 1927.

R. Smith : Kinship and Marriage in old Arabia.
London. 1907.

Sayce (A.H.) : Early Israel.

Von Kremer : Ueber die Gedichte Des Labyd.
Wien 1880.

Perceval (Coussin de) : Essai sur L'Histoire des Arabes. 1849.

Encyclopaedia of Islam.

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس الشعر
- ٢ - فهرس الاعلام
- ٣ - فهرس القبائل والجماعات
- ٤ - فهرس المواضع والبلدان
- ٥ - فهرس الموضوعات .

رَقْع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١ - فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
		[أ]	
٣٥٢	زهير	براء	وأما أن يقول بنو مصاد
٣٥٥	الحطيئة	عواء	ألم أك جاركم فتركتموني
٢٣٣	زهير	الطبائ	تنازعها المها شبها ودر النحور
٢٠٦	الحارث بن حلزة	ضوضاء	أجمعوا أمرهم عشاء فلما
٣٥١	زهير	نساء	وما أدري وسوف أخال أدري
٣٨٤	زهير	دعاء	كأن سحيله في كل فجر
٢٢٧	الحارث بن حلزة	الخلصاء	بعد عهد لنا ببرقة شماء
٢٥٤	زهير	العداء	فصرم حبلها اذ صرمته
٦٨	حسان بن ثابت	اللقاء	ونشرها فتركنا ملوكا
٣٩٥			

[ب]

١٠٥	النابعة الذبياني	مذهب	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
٢٦٣	جميل بن معمر	الحب	الا ايها الركب النيام ألا هبوا
٣١٧	الخنساء	يشيب	تقول نساء شبت من غير كبرة
٣٣٠	الخنساء	تحتلب	سقيا لقبرك من قبر ولا برحت

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٤٣	ذو الرمة	سربُ	ما بال عينك منها الماء ينسكب
٣٥٨	النابغة الذبياني	الشبابُ	إن يك عامر قد قال جهلاً
١٧٥	علقمة بن عبدة	مشيبُ	طحابك قلب في الحسان طروب
٤١٥	علقمة بن عبدة	طيبُ	فإن تسألوني بالنساء فاني
١٣٢	الحطيثة	الذنبا	قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
٣٥٦			
٣٤٤	جرير	كلابا	فغض الطرف انك من نيمر
٣٦١	جرير	الكلابا	إذا قامت لغير صلاة وتر
٣٨٧	امرؤ القيس	المهدبُ	فبينا نعاج يرتعين خميلة
٣٣٢	لييد	تصقبُ	طرب الفؤاد وليته لم يطرب
٢٣٨	النابغة	جانبُ	وصدر أراح الليل عازب همه
٤٤	عامر بن الطفيل	موكبُ	اني وإن كنت ابن سيد عامر
٣٣٣	لييد	المنجبُ	فتعز عن هذا وقل في غيره
٢٤٥	النابغة	الكواكبُ	كليني لهم يا أميمة ناصب
٢٣٩	النابغة	السباسبُ	رقاق النعال طيب حجزاتهم
٢٣٩	لييد	المتحلبُ	ولقد أراني تارة من جعفر
٨٧	عمرو بن معدنيكرب	طيبُ	ابني زياد أنتم في قومكم
٣٣٤	عدي بن زيد	النحيبُ	وما لي ناصر الا نساء
١١٥	عدي بن زيد	والصليبُ	سعي الأعداء لا يألون شراً
٢٠١	لييد	كالأجبُ	أصبحت أمشي بعد سلمى بن مالك
٧٩	عمرو بن كلثوم	أبا	لحا الله أدنانا إلى اللوم زلفة
١٣٥	عميرة بن جعيل	مذاهبةُ	ندمت على شتم العشيرة بعدما
٢٠٣	أبو الطمحان القيني	ثاقبةُ	أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
		[ت]	
١٠٥	أبو قيس بن الأسلت	أُتيتُ	أجرت مخلدا ودفعت عنه
٢٧٢	سنان الفحل الطائي	طويتُ	فان الماء ماء أبي وجدتي
٢٥٧	الشنفري	أمرتُ	واني لخلو إن اريد حلاوتي
١٤٠	شاعر غنوي	فزلتُ	جزى الله عنا جعفر ا حين أزلفت
٩٩	شاعر	مرتُ	خبير بنو لهب فلا تك ملغياً
٢٧٣	شاعر	الناثُ	يا قبح الله بني السعلاة
٢٨٨	الشنفري	تولتُ	ألا ام عمرو أجمعت فاستقلت

[ج]

٢٧٣	أبو ذؤيب الهذلي	نثيخُ	شربن بماء البحر ثم ترفعت
٦٠	كعب بن مالك	الأدعج	فلاقاه عبد بني نوفل

[ح]

٣٢٠	النابعة	جنوحُ	يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم
٢٤٣	جرير	الرواحُ	أتصحو أم فؤادك غير صاح
١٩٣	أوس بن حجر	لّواحُ	اني أرقت ولم تارق معي صاح
١٠٥	عبيد بن الأبرص	تصفاحُ	حلقت بالله ان الله ذو نعم
٣٢٢	السموأل	أنواحي	يا ليت شعري حين أندب هالكا

[د]

٦٢	عروة بن الورد	جاهدُ	أتهزأ مني ان سمت وان ترى
٣٤٩	حيّان بن ربيعة	الحديدُ	لقد علم القبائل ان قومي
٣٤١	حماد عجرد	القردُ	ويا أقبح من قرد

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٦٥	المرقس الأكبر	هجوّد	سرى ليلاً خيال من سليمى
٧٨	الأعشى	يحصدا	لسنا كمن جعلت اياك دارها
٢٩٧	عمرو بن معد يكرب	شدا	لما رأيت نساءنا
١٩٧	النابغة	لم تقصد	في اثر غانية رمتك بسهمها
٢٣١	النابغة	الأسعد	قامت تراءى بين سجنى كلة
١٠٩	رجل من بني ملكان	سعد	أتينا الى سعد ليجمع شملنا
١٩٣	طرفة	اليد	لخولة أطلال بيرقة ثمهد
٢٤٥			
٢٠٣	النمر بن تولب	باد	أبقى الحوادث والأيام من نمر
٢٦٢	طرفة	أرفد	ولست بحلال التلاع مخافة
٣٧٧	النابغة	البرد	والخيل تنزع غرباً في أعتها
٣٣٠	دريد بن الصمة	موعد	أرث جديد الحبل من أم معبد
٤١١	طرفة	مفسد	أرى قبر نحام بخيل بماله
٤١٠	طرفة	تزيد	فمنهن سبى العاذلات بشربة
٢٠٩	طرفة	المهند	وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
١١١	عبدالله بن أنيس	محمد	وقلت له خذها بضربة ماجد
٣٦٧	طرفة	وتغتدي	وأني لأمضي الهم عند احتضاره
١٧٦	النابغة	الأمد	يا دار مية بالعلياء فالسند
٤٠٩	طرفة	مخلدي	ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى
٦٩	طرفة	ومتلدي	وما زال تشرابي الخمر ولذني
٤٠٩			
٣١٣	ابو ذؤيب الهذلي	القلائد	وقام بناتي بالنعال حواسرا
١٩٥	طرفة	ردى	إذا رجعت في صوتها خلت صوتها

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٧٤	الفرزدق	توادٍ	ومنا الذي منع الوائدات
٦١	دريد بن الصمة	أرشدٍ	وهل انا إلا من غزية ان غوت
٧١	طرفة	عوّدي	فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
٢٢٢	زهير	فرقدٍ	كخنساء سفعاء الملائم حرة
٣٥٧	أوس بن مغراء	وعيدُها	فلمست بعافٍ عن شتيمة عامر
٣١٥	الخنساء	هجوْدُها	أبكى أبي عمرا بعين غزيرة
٣١٦	هند بنت عتبة	يريدُها	أبكى عميد الأبطحين كليهما

[ر]

٣٢١	المتمسّس	الدهرُ	خليليّ أما مت يوماً وزحزحت
٣٢٩	تأبط شراً	المتواترُ	فلا يبعدن الشنفرى وسلاحه
٧٣	حاتم الطائي	الذكْرُ	أماوى إن المال غاد ورائح
٣٣٠	المهلل	اليسارُ	مقالك الغيث انك كنت غيثاً
٢٠٠	الحارث بن وعله	الدوابرُ	فدى لكما رجلي أمي وخالتي
٢٠٩	تأبط شراً	حواضرُ	وأمر كسد المنخرين اعتليته
١٠٤	أوس بن حجر	أكبرُ	وباللوات والعزى ومن دان دينها
٢٠٦	علقمة بن عبدة	منحورُ	أوردتها وصدور العيش مسنفة
٥٠	شاعر	غريْرُ	أبى القلب أن يهوى السدير وأهله
٢٠٧	الحارث بن مضاض	سامرُ	كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
٣٠٠	مهلهل	الديارُ	خذ العهد الأكيد عليّ عمري
٣٧٠	عنتره	المهارُ	مقربة الشتاء ولا تراها
٢٧١	خنافر الحميري	خنافرا	ألم تر أن الله عاد بفضله
٢٧٣	الأعشى	الشعيرا	جياذك في الصيف في نعمة
١٣٩	النابغة الجعدي	نيرا	أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٠٨	امرؤ القيس	المقبورا	لو كنت يا ذا الخالص الموتورا
٣٦٢	الخنساء	بكر	معاذ الله يرضعني حبركي
٢٥٨	ليبد	المتهجر	وأنا وإخواناً لنا قد تتابعوا
٣٥٤	الحطيثة	فاخر	قدامة أمسى بعرك الجهل أنفه
٣١٢	الربيع بن زياد	نهار	من كان مسروراً بمقتل مالك
١٧٦	النابعة	أحجار	عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار
٢٠٢	مهلهل	بالذكور	فلولا الريح أسمع أهل حجر
٢٥٩	عروة بن الورد	الأمور	فلو كالיום كان عليّ أمري
١٣٣	حسان بن ثابت	العصافير	لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ
٣٤٦			
١٩١	أبو ذؤيب الهذلي	الحميري	عرفت الديار كرسم الكتاب
٧٠	المنخل اليشكري	تحوري	ان كنت عاذلتي فسيري
٢٤٧	عروة بن الورد	فاسهري	أقلّي عليّ اللوم يا ابنة منذر
٢٦٦			
٥٤	جبله بن الأيهم	ضرر	تنصرت الأشراف من عار لطفة
١٩٣	امرؤ القيس	وتدر	ديمة هطلاء فيها وطف
٣١٣	ليبد	شعر	فقوما فقولا بالذي قد علمتما
٣٤٤	ابو النجم العجلي	ذكر	إني وكل شاعر من البشر
٢٦٠	امرؤ القيس	حجر	وتعرف فيه من أبيه شماتلا
٦٥	الحطيثة	حاضره	وشر المنايا هالك وسط أهله
٣٩٩	الأعشى	سوارها	وصهباء صرف كلون الفصوص
٣٣٢	ابو ذؤيب الهذلي	غبارها	هل الدهر إلا ليلة ونهارها
		[س]	
٢٥٧	امرؤ القيس	ملبسا	ألا ان بعد العدم للمرء قنوة

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٣١٤	الخنساء	نفسى	فلولا كثرة الباكين حولي
٣٤١	الحطيئة	شاسى	ما كان ذنب بغيفض أن رأى رجلاً

[ص]

٣٢٨	أخت قبيصة بن ضرار	قبيصا	لا تبعدن وكل شيء ذاهب
٣٥٩	الأعشى	خمائصا	تبيتون في المشتى ملاء بطونكم

[ع]

٣٣٣	متمم بن نويرة	تفجعُ	صرمت زنيبة حبل من لا يقطع
٣٣٦	ابو ذؤيب الهذلي	يجزعُ	أمن المنون وريبها تتوجع
٣٣٥	ابو ذؤيب الهذلي	تدمعُ	فالعين بعدهم كأن حداقها
٦٠	كعب بن مالك	مقنعُ	فجئنا الى موج من البحر وسطه
٣٦٩	شاعر	تجاعُ	مفداة مكرمة علينا
٣٢٩	لييد	طالعُ	فلا تبعدن إن المنية موعد
٩٩	لييد	لعمرك لا تدري الضوارب بالحصى صانعُ	
٤٠٥	لييد	المصانعُ	بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
٨٨	شاعر	جوعُ	أقول بالمرصر لما ساءني شعبي
٢٦٢	الأعشى	قرعا	أغر أبيض يستسقى الغمام به
٣٢٩	متمم بن نويرة	فأمرعا	سقى الله أرضا حلها قبر مالك
٨٦	شاعر	تباعُ	أبيت اللعن ان سكاب علق
٣٧٨	الأعشى	ذرعاً	كأنها بعد ما أفضى النجاد به
٢٤٤	أوس بن حجر	وقعا	أيتها النفس اجملى جزعا
٥٩	الحادرة	مجمع	أسمى ويحك هل سمعت بغدرة
٢٥٠	بشامة بن الغدير	فالشرع	لمن الديار عفون بالجزع

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٣١	المسيب بن علس	الققعاع	فلأهدين مع الرياح قصيدة
٢٩٠	سويد بن أبي كاهل	اتسع	بسطت رابعة الحبل لنا
٣٤٣	سويد بن أبي كاهل	منع	فرّمني هارباً شيطانه
٣٤٧	لييد	ملمعه	مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

[ف]

٢٦٦	عروة بن الورد	أخوف	أرى أم حسان الغداة تلومني
-----	---------------	------	---------------------------

[ق]

١٣٢	الأعشى	معشوق	أرقت وما هذا السهاد المؤرق
١٩٤	الأعشى	تحرق	لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
٣٩٨	الأعشى	مروق	وقد أقطع الليل الطويل بفتية
٣٩٦	عدي بن زيد	ابريق	ثم نادوا على الصبوح فقامت
	أم عمرو	بالأبرق	فإن أنتم لم تطلبوا بأخيكم
٧٢	بنت وقدان		
٣٢٤	الممزق العبدي	راق	هل للفتى من بنات الدهر من واق
٢٥٧	تأبط شراً	أخلاقي	لتقرعن عليّ السن من ندم
٣٧٠	المتلمس	المرهق	أبقت لنا الأيام
١٩٣	عبيد بن الأبرص	بروقه	سقى الرباب مجلجل الأكناف

[ك]

٢٥٥	زهير	الرتك	هل تلحقني وأصحابي بهم قلص
٢٣٦	تأبط شراً	الضواحك	إذا هزه في عظم قرن تهلت
٨٢	أبو سفيان بن الحارث	آنك	حسبتم جلاد القوم عند قباهم

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
		[ل]	
١٠٦	ليبيد	المحاصلُ	وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه
٢٨	الشنفرى	أنملُ	ولا تزدهي الأجهال حلمي ولا أرى
٢٣٨	طفيل الغنوي	الرحلُ	وجعلت كوري فوق ناجية
٢٨٧	الأعشى	تختلُ	ليست كمن يكره الجيران طلعتها
٠١٧٧	الأعشى	الرجلُ	ودع هريرة إن الركب مرتحل
٢٥١			
٣٣٥	المتنخل الهذلي	منبرلُ	ما بال عينك تبكي دمعها خضل
٢٦٥	تأبط شراً	ما يطلُ	ان بالشعب الذي دون سلع
١٣٧	ليبيد	زائلُ	ألا كل شيء ما خلا الله باطل
٢٣٩	ليبيد	الأناملُ	وكل أناس سوف تدخل بينهم
٤١٣	ليبيد	واسلُ	أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
٣٢٨	ليبيد	باطلُ	ألا تسألان المرء ماذا يحاول
٢١٦	ابو خراش الهذلي	حولُ	أرى الدهر لا يبقى على حدثانه
٣٩٧	الأعشى	شولُ	وقد غدوت إلى الخانوت يتبعني
٤١٤	أوس بن حجر	التنقلا	فإني رأيت الناس الا أقلهم
٣٨٥	الحطيئة	غزالا	كعاطية من ظباء السليل
٧٠	ليبيد	المسابلا	وبيض على النيران في كل شتوة
٣٧٧	ليبيد	سوافلا	ومشعلة رهواً كأن جيادها
٢٣٧	أوس بن حجر	أعصلا	واني امرؤ أعددت للحرب بعدما
٢٤٦	أوس بن حجر	موكلا	صحا قلبه عن سكرة فتأملاً
٣٤٠	جرير	مثقالا	لو أن تغلب جمعت أحسابها
٣٦١	جرير	الأمثالا	والتغلبى اذا تنحج للقرى
٢٥٨	امرؤ القيس	مفلفل	كأن مكاكي الجواء غدية

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٣٠	امرؤ القيس	مزملي	كأن ثيرا في عرائن وبله
٠٢٩	عنتره	المأكل	ولقد أبيت على الطوى وأظله
١٣٧			
٣٤٦	النجاشي	المتدلل	أولئك اخوال اللعين وأسرة
٢٦١	امرؤ القيس	بكلكل	فقلت له لما تمطي بصلبه
١٤٤	سراقة البارقي	مهلهل	ولقد أصبت من القريض طريقة
٢٨٣	امرؤ القيس	المخلخل	إذا قلت هاتي نوليبي تمايلت
٣٧٣	امرؤ القيس	هيكلي	وقد اغتدى والظير في وكناتها
٢٢٩	امرؤ القيس	مقتل	وما ذرفت عينك الا لتقدحي
٢٤٤	ابو النجم العجلي	الأحول	والشمس قد كادت ولما تفعل
٢٠٤	امرؤ القيس	معجل	فظل طهارة اللحم ما بين منضج
٦٣	لييد	عقيل	أرى الجزار يشحذ شفرته
٢٠٥	امرؤ القيس	المتحمل	ويوم عقرت للعداري مطيبي
٢١٠	امرؤ القيس	معجل	وبيضة خدر لا يرام خباؤها
٣٩١	امرؤ القيس	مكللي	أصاح ترى برقاً أريك وميضه
٣٠٣	عمرو بن الاطنابة	النائل	إني من القوم الذين اذا انتدوا
١٩٤	لييد	الذبال	أصاح ترى بريقاً هب وهنا
٣٩٢			
٢٦٢	امرؤ القيس	خلخال	كأنني لم أركب جواداً للذة
٣٦٤	امراة	الذلول	لا خار ربي لأبي الفصيل
١٠٦	علاف بن شهاب	المغتال	ولقد شهدت الخصم يوم رفاعه
١٧٦	الأعشى	سؤالي	ما بكاء الكبير بالأطلال
٢٥٦	الأعشى	تعلي	فدعها وسل المهم عنها بجسرة
٢٣٥	امرؤ القيس	ليبتي	وليل كموج البحر أرخى سدوله

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٩٧	طفيل الغنوي	مؤتلى	فنحن منعنا يوم حرس نساءكم
٤١٢	عدي بن زيد	زوال	من رأنا فليحدث نفسه
٢٣٦	زهير	رواحله	صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
٢٤٦			
٢٦٥	طرفة	ماثلُه	أتعرف رسم الدار قفراً منازلُه
٣١٩	شاعر	صياقلُه	عقرت على قبر النجاشي ناقتي
٢٣٩	الأعشى	ظلالها	بجلالة سرح كأن بغرزها
٣٥٠	أوس بن حجر	ضلالها	ذا ناقة شدت برحل ونمرق

[م]

٣٧١	زهير	الخدمُ	تهوى على ربذات غير فائرة
٢٥٣	زهير	هرمُ	ان البخيل ملوم حيث كان
٢٥٥	ليبد	ذامُ	تلك ابنة السعدى أضحت تشتكي
٢٤٧	عمرو بن براقه	نائمُ	تقول سليمان لا تعرض لتلفة
١٧٥	علقمة بن عبدة	مصرومُ	هل ما علمت وما استودعت مكتوم مصرومُ
٣٧١	علقمة بن عبدة	معلومُ	وقد أقود أمام الحي سلهبة
٢٠٩	ليبد	أرومُ	ولهم حلوم كالجبال وسادة
٣٨٤	ليبد	نديمُ	يطرب آناء النهار كأنه
١٠٦	حاتم الطائي	ريممُ	أما والذي لا يعلم الغيب غيره
٣٠١			
١٩١	حاتم الطائي	منمنما	أتعرف أطلالا ونؤيا مهدهما
٢٩٥	الحصين بن الحمام	مظلما	ولما رأيت الود ليس بنافعي
٣١٩	الأسدي	صداكما	أقيم على قبريكما لست بارحا
٣٦٩	ربيعة بن مقروم	الشكيميا	وجردا يقربن دون العيال
٤١٥	زهير	يكرمُ	ومن يغترب يحسب عدواً صديقه

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٥٤	عنتره	مصرم	هل تبلغني دارها شذنية
٢٤٥	عنتره	توهم	هل غادر الشعراء من متردم
٢٢٩	عنتره	الترنم	قري الذباب بها يغني وحده
٣٤٢	الأعشى	واعجم	فلما رأيت الناس للشرا أقبلوا
١٠٥	زهير	مقسم	فمن مبلغ الأحلاف غني رسالة
١٩٢	زهير	معصم	ديار لها بالرقمتين كأنها
١٩٥	زهير	متوخم	فقفصوا منايا بينهم ثم أصدروا
٤٠٧	زهير	فيهرم	رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
٢٠٧	زهير	مجتّم	بها العين والآرام يمشين خلفه
٣٨٦			
٣٥٦	ربيعة الرقي	حاتم	لستان ما بين اليزيديين في الندى
١٣١	شاعر	مواسم	وما هو إلا القول يسري فتغتدي
١٢٨	امرؤ القيس	خدام	عوجاً على الطلل المحيل لأننا
١١٦	شداد بن الأسود	وهام	يخبرنا الرسول لسوف نحيا
١٣٦	شاعر بكري	كلثوم	ألهى بني تغلب عن كل مكرمة
٣٠٢			
٢٢٧	عنتره	واسلمي	يا دار عبلة بالجواء تكلمي
٣٧٥، ٢٦	عنتره	تعلمي	هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
٨٧	شاعر	سقامي	الأسودان اراء عظامي
٢٩٨	كبشة بنت معديكرب	دمي	وأرسل عبدالله اذحان يومه
٣٣٢	المرقش الأكبر	كلم	هل بالديار أن تجيب صمم
٣٩٤	عبيد بن الأبرص	معلومة	لمن الجمال قبيل الصبح مزومة
٢٧٢	بجير بن عنمة	جرمه	وان مولاي ذو يعبرني

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٤٥، ٢١٣	لييد	فرجامها	عفت الديار محلها فمقامها
٢٢٦	لييد	مرامها	مرية حلت بفيد وجاورت
٣٨٦، ٢٠٧	لييد	نعامها	فعلا فروع الأيهقان واطفلت
١٩١	لييد	أقلامها	وجلا السيول عن الطلول كأنها
٢١٩	لييد	أيامها	علقت تردد في نهاء صعائد
٢٣٧	لييد	زمامها	وغداة ريح قد وزعت وقره
٢٥٤	لييد	صرامها	فاقطع لبانة من تعرض وصله
٢٥٥	لييد	قوامها	أفتلك أم وحشية مسبوعة
٣٨٢	لييد	وكدامها	أو ملمع وسقت لأحقب لاحه
١٩٢	لييد	وشامها	أو رجع واشمة أسف تؤورها

[ن]

٦٧	قيس بن عاصم	فطن	لا يفظنون لعيب جارهم
١٣٨	زهير بن جناب	ما جني	ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه
٣٦٣	أم الصريح الكندية	دخانا	كان الدار يوم تكون فيها
٦٥	القطامي	كانا	وكن اذا أغرن على جناب
٣٠٧	عبد الشارق	علينا	ألا حبيت عنا يا ردينا
٢٤٥	عمرو بن كلثوم	الأندرينا	ألا هبي بصحنك فاصبحينا
٣٠٣			
٣٠٥	عمرو بن كلثوم	بنينا	وقد علم القبائل من معد
٢٨٥	عمرو بن كلثوم	الكاشحينا	تريك اذا دخلت على خلاء
٣٩٥	عمرو بن كلثوم	يلينا	تجور بذى اللبانة عن هواه
٢٥	عمرو بن كلثوم	الجاهلينا	ألا لا يجهلن أحد علينا
٢٨٠، ٢٦			

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٣٨٠	لييد	كالسرحان	حتى أشب له ضراء مكلب
٢٣٤	لييد	رمحان	فعدا على حذر مورث عدة
١٩٢	لييد	السوبان	درس المنا بمتالع فأبان
٤٣٤	هدبة بن الخشرم	أمان	اني من قضاة من يكدها
١٣٤	حسان بن ثابت	بيان	وقد كنا نقول اذا رأينا
٢٥٦	المثقب العبدي	القيون	فسل لهم عنك بذات لوث
٦٦	شاعر	اسقوني	يا عمرو ألا تدع شتمي ومنقصتي
١٩٠	امرؤ القيس	يماني	لمن طلل أبصرته فشجاني
١١١	أمامة المزيرية	ما يمني	تكذب دين الله والمرء أحمدا
٢٦٠	النابعة	اني	وهم وردوا الجفار على تميم
٣٩٩	الأعشى	الحزن	ثم راحوا مغرب الشمس الى
٢٤٤	ابو مقاتل	المهرجان	لا تقل بشري ولكن بشريان
٦٤	قريط بن أنيف	وحدانا	قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم
٥١	عمرو بن كلثوم	مقتوينا	تهددنا واوعدنا رويدا

[ي]

٣٢٣	صريم بن معشر	الحوازيا	الا لست في شيء فروحا معاويا
٣٢٢	عبد يغوث بن صلاءة	لسانيا	أقول وقد شدوا لساني بنسعة
٣٤٥			
٣٢٦	مالك بن الريب	النواجيا	ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
٣٢٥	علقمة بن سهل	المواليا	فلن يعدم الباكون قبراً لجثتي
٣٢٧	عسرو بن قيس المرادي	فيها	سعيد قومي على سعدى فبكيها

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٧٤	النمر بن توبل	أرانيها	لها أسارير من لحم تتمره
١٠٥	افنون التغلبي	واقيا	لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي
٦٦	شاعر	كما هيا	وقد ينبت المرعى على دمن الثرى

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢ - فهرس الأعلام

[أ]

- آدم : ١٦١ .
آشور : ٣٩ .
آكل المرار = حجر بن الحارث .
الآلوسي (محمود شكري) : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .
آن بلنت : ١٨٥ .
أهلوارد : ١٦٠ .
ابان بن عثمان : ١٤٥ .
ابراهيم الخليل (النبي) : ٩ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٧٠ .
ابن الأثير : ٢٨ .
ابنة السعدي : ٢٢٥ .
أبو زيد الأنصاري : ١٥١ .
ابن الأثير : ٢٦١ .
أثيلة بنت المتنخل : ٣٢٢ .
أحمد = محمد . رسول الله .
أحمد بن تيمية (شيخ الاسلام) : ٣١ .
احمد الحوفى : ١٧١ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٣٦٤ ، ٣٩٤ .
أحمد بن عبدالله (ابو العباس) : ٣١ .
احمد بن عبدالله : ٣٤٠ .

- أحيحة بن الجلاح : ١٧٩
 اخت قبيصة بن ضرار : ٣٢٨ .
 الأخطل التغلبي : ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ .
 أربد بن قيس : ٣٢٨ - ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٤٠٥ .
 ابن اسحاق (محمد بن اسحاق) : ١٥٧ ، ١٦٢ .
 الأسدي (شاعر) : ٣١٩ .
 الأسعد (نجم) : ٢٣١ ، ٢٣٣ .
 اسفنديار : ١٠٠ .
 أسماء بنت عوف : ٢٩٢ .
 أسماء (امرأة في الشعر) : ٢٢٧ - ٢٤٥ ، ٣٣١ ، ٣٩١ .
 اسماعيل (النبي) : ١٠٧ .
 الأسود بن عبد شمس : ١١٦ .
 الأشعري (أبو موسى) : ١٤١ .
 أشيل : ٢٠٥ .
 الأصفهاني (أبو الفرج) : ٧٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٨٢ .
 الأصمعي (عبد الملك بن قريب) : ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٨ .
 ١٦٢ .
 الأعشى (ميمون بن قيس) : ١٨ ، ٥٤ ، ٧١ ، ٧٨ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٤٣ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ،
 ٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
 ٣١٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ .
 ٣٩٩ .
 أعشى نهشل : ٣٢٤ .
 الأعلم الشتمري : ٢٩٤ .
 أفنون التغلبي (صريم بن معشر) : ١٠٥ ، ٣٢٢ .

الأفوه الأودي : ١٠١ ، ٤٠٤ .

أكثم بن صيفي : ١٠١ ، ٤٠٤ .

أمامة : ٢٣٢ .

أمامة المزيرية : ١١١ .

الأمبراطور : ٥٣ ، ٥٥ .

أم حسان : ٢٦٦ .

أم عمرو : ٢٤٦ .

أم أوفى : ٢٢٨ ، ٢٤٥ .

أم وهب : ٢٦٠ .

امرأة المحلق : ١٣٢ .

أمرؤ القيس : ٢٠ ، ٥٥ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٦١ ، ١٦٦ ،

١٧٠ ، ١٧٣ - ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ،

٢٥٨ ، ٢٦٠ - ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٦٥ ، ٣٦٦ ،

٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ .

أمية بن أبي الصلت : ٦٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٩٠ ، ٤٠٤ .

أميمة : ٢٤٥ ، ٣٣٦ .

ابن الأنباري : ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٢ .

ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد) : ١٨٢ .

ابن الأنباري (محمد بن القاسم) : ١٨٢ ، ١٨٤ .

انتوميلون : ٢٠٥ .

أوس بن حجر : ٦٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٧٠ ، ١٩٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ،

٢٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٤ ، ٤١٤ .

أوليري : ٣٤ ، ٤٣ ، ١١٤ ، ١١٦ .

اياس بن قبيصة : ٥١ .

ايسكو : ١٨٥ .

[ب]

- باتروكل : ٢٠٥ .
باسيه : ١٦٠ .
الباقلاني : ١٧٩ ، ١٨٢ .
يجير بن عنمة الطائي : ٢٧٢ .
البحثري : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .
بدوي طبانة : ١٧٣ ، ١٨٣ .
ابو براء (عامر بن مالك) : ٣١٢ .
برترام توماس : ١٣ .
البراض بن قيس : ٦٩ .
برزخ العروضي : ١٤٨ .
برسيفال : ٥٢ .
بروكلمان : ١٦٠ ، ١٨٤ .
البسوس (ناقة) : ٥٥ ، ١٠٠ ، ٢٩٩ .
بشار بن برد : ٩٠ ، ٣٤٠ .
بشامة بن الغدير : ٢٥٠ .
البصري (صدر الدين بن أبي الفرج) : ٢٩٤ .
بطريق (لقب الروم) : ٥٣ .
البغدادي (عبد القادر بن عمر) : ١٨١ .
بغيفض : ٣٤١ .
ابو بكر الصديق : ٣٦ ، ٦٩ ، ١٠٠ ، ١٤٠ .
البكري (رجل من بني بكر) : ٣٦ .
البلادري : ١٩ .
بلاشير : ١١٠ ، ١٥٩ .
بنات نعش (كواكب) : ٩٦ .
البيهتي (نجيب محمد) : ٢٠٤ .

- بهرام جور : ٤٩ .
بهيسة بنت أوس الطائي : ٦٧ .

[ت]

- تأبط شراً : ٦٠ ، ٢٠٩ ، ٢٣٦ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٣٢٨ .
التبريزي : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ٢٨٠ .
التغليبي : ٣٦١ .
أبو تمام الطائي : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

[ث]

- الثعالي : ٩٦ .
ثعلب (ابو العباس) : ١٤٩ .
الثور (برج) : ٩٦ .
ثورا (الثور بالكلدانية) : ٩٦ .

[ج]

- جابر بن سمرة : ١٣٩ .
الجاحظ (عمرو بن بحر) : ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٩ ،
١٨١ ، ١٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٨١ .
جبل بن جوال : ١١٣ .
جبله بن الأيهم : ٥٣ .
الجددي (برج) : ٩٦ .
جذيمة الأبرش : ٤١ .
الجرادتان (مغنيتان) : ٦٨ .
الجرجاني (القاضي عبد العزيز) : ١٩٦ ، ٣٥١ .
الجرجي زيدان : ٥٠ ، ١٣٩ ، ٢٧٠ .

- جرير بن عطية : ٧٩ ، ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ،
 ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ .
- جروة (فرس) : ٣٧٢ .
- جستنيان (امبراطور الروم) : ٥٣ .
- جشم بن بكر : ٣٦٢ .
- ابو جعفر = النحاس .
- جعفر بن قريع : ١٣٢ .
- جفنة بن عمرو = مزيباء .
- جميل سعيد : ٤٩٣ .
- جميل بن معمر العذري : ١٣٦ ، ٢٦٣ .
- جناد الكوفي : ١٤٨ ، ١٦٢ .
- أم جندب : ٣٨٧ .
- ابن جني : ٣٨٧ .
- جهنّام : ٣٤٢ .
- جورجي ليفي دلا فيدا : ١٦٧ .
- الجوزاء (كوكب) : ٩٦ .
- جوسون (مستشرق) : ١٨٥ .
- الجون (فرس) : ٨٦ .
- الجوهري : ٣١ .
- جوين بن عبد العزي : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

[ح]

- حاتم الطائي : ٦٣ ، ١٠٦ ، ١٩١ ، ٣٠١ ، ٤٠٤ .
- حاجب بن زرارة : ٣٤٨ .
- حاجي خليفة : ١٨٥ .
- الحادرة (قطبة بن أوس) : ٥٩ .

الحارث بن حلزة : ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٥ .

الحارث بن ابي شمر : ٥٣ .

الحارث بن جبلة : ٥٢ .

الحارث بن عمرو : ٥٠ ، ٥٥ .

الحارث بن عوف : ٦٧ .

الحارث بن كلدة الثقفي : ٩٤ ، ٩٧ .

الحارث بن مضاخ الجرمي : ٢٠٧ .

الحارث بن وعله الجرمي : ٢٠٠ .

حبيش (حبيبة عبدالله العامري) : ٢٩٢ .

حجر : ٢٦٠ .

حجر بن الحارث (آكل المرار) : ٥٤ ، ٥٥ .

حذيفة بن بدر الفزاري : ٢٤٥ ، ٢٧٢ .

ابن حذيم التميمي : ٩٧ .

الحرون (فرس) : ٨٦ .

حسان بن ثابت : ٥٤ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٥٦ ، ١٧٩ .

١٩٠ ، ١٩٧ ، ٣٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٩٥ .

أم حسان (سلمى بنت المنذر) : ٢٤٧ .

ابو حسان (صخر بن عمرو) : ٣١٧ .

الحسن البصري : ١٣٩ .

حسين نصار : ١٦٧ ، ٣٧١ .

الحصري القيرواني : ١٣١ .

حصن بن حذيفة الفزاري : ٢٤٥ ، ٣٢٠ ، ٣٤٨ .

الحصين بن الحمام المري : ٢٩٥ .

حضرمي بن عامر : ٣٢ .

- الحطيفة : ٦٥ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٧٠ ، ٢٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٨٥ .
 حليلة : ٥٣ .
 حماد الراوية : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ،
 ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ .
 حماد عجرد : ٣٤٠ .
 حمزة بن عبد المطلب : ٦٠ .
 الحمل : ٢٣٣ .
 الحنفاء (فرس) : ٣٧٢ .
 الحوفي (احمد محمد) : ٦٣ ، ٧٤ .
 حيان بن ربيعة : ٣٤٩ .

[خ]

- خالد : ٣٣١ .
 خالد بن سنان العبسي : ١١٠ .
 خالد بن الوليد : ٥١ .
 ابن خالويه : ٣٠ .
 خبيب : ٣٣٥ .
 خدابخش : ٩٠ .
 خدش بن زهير العامري : ٣٠٧ ، ٣٤٥ .
 ابن خذام : ١٢٨ .
 ابو خراش الهذلي : ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .
 الخرنق : ٣٦٣ .
 الخطار (فرس) : ٣٧٢ .
 خلاد بن يزيد الباهلي : ١٥٩ .

ابن خلدون : ٢٤ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٩٦ ، ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
١٨١ .

خنافر الحميري : ٢٧١ .

خلف الأحمر : ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٧٠ ، ٣٥١ .

الخنساء : ١٣٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٦٠ ،
٣٦٢ .

خولة : ١٥٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ .

خويلد بن خالد = ابو ذؤيب الهذلي .

[د]

داحس (فرس) : ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٨٤ ، ٣٧٢ .

داود بن متمام بن نويرة : ١٥٦ .

دختنوس بنت لقيط بن زرارة : ٣٦٣ .

دريد بن الصمة : ٦١ ، ١٥٨ ، ٣٣٠ ، ٣٦٢ .

دغفل بن حنظلة الشيباني : ١٠٠ .

ابو داود الايادي : ١٤٤ .

دوول (فرس) : ٣٧٢ .

دي ساسي : ١٨٥ .

[ذ]

ابو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد) : ١٣٦ ، ١٩١ ، ٢٧٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٢ .

٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

ابو ذر : ٢٨ .

ذو الأصبع العدواني : ٣٤٤ .

ذو الخمار (فرس) : ٣٧٢ .

- ذو الرمة : ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٨٢ .
 ذو ريدان (من ملوك اليمن) : ٥٤ .
 ذو نواس : ١١٢ .

[ر]

- رؤبة بن العجاج : ١٩٦ .
 رابعة : ٢٩٠ .
 الراعي النميري : ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
 الرافي (مصطفى صادق) : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٢ .
 الربيع بن زياد : ٩٢ ، ٣١١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٧٤ .
 ربيعه بن جحدر اللحياني : ٣٣٢ .
 ربيعه بن حذار : ١٠١ ، ٤٠٤ .
 ربيعه بن عبد الرحمن الرقي : ٣٥٦ .
 ربيع المقترين (ربيعه بن مالك) : ٦٤ .
 ربيعه بن مقروم : ٣٦٩ .
 ربيعه بن مكدم : ٣١٨ .
 ردينة (امرأة تنسب اليها الرماح) : ٨٠ ، ٣٠٧ .
 ابن رشيق القيرواني : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٤٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٠١ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ .
 ابن الرومي : ٣٤٠ .
 روبنان : ٩١ ، ١٠٧ .

[ز]

- الزبرقان بن بدر : ٣٤١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
 زرارة بن عدس : ٣٤٨ .
 الزمخشري : ٨٣ ، ١٠١ .

زنيبة : ٣٣٣ .

- زهير بن أبي سلمى : ٢٨ ، ٦٧ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٦٦ .
١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ - ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ .
٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ .
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ .
٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ .

زهير بن جناب : ١٣٨ .

الزوزني : ١٧٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ .

زياد بن أبيه : ١٣٣ .

زيد الخيل : ٣٧٢ .

زيد بن عمرو بن نفيل : ٩٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ .

ابو زيد الأنصاري : ٩٦ ، ١٥٣ .

زيد بن الكيس النمري : ١٠ .

زنيب (ترخيم زينب) : ٣٣٤ .

[س]

السائب الكلبي : ١٥١ .

السائح (النعمان الأعور) : ٤٩ .

سابور الأول : ٤٩ .

ساعدة بن جؤية الهذلي : ١٣٦ .

سايس (مستشرق) : ٩٢ .

سراقة البارقي : ١٤٤ .

السرطان (برج) : ٩٦ .

سركيس : ١٧٧ .

سعد (صنم) : ١٠٩ .

سعدى : ٣٢٧ .

- ابو سعيد الضريير : ١٨٥ .
- سعيد بن عثمان بن عفان : ٣٢٦ .
- سعيدة : ٣٢٧ .
- ابو سفيان بن الحارث : ٨٢ ، ١٥٧ .
- ابو سفيان بن حرب : ٧١ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٣٤٥ .
- سكاب (فرس) : ٨٦ .
- السكري (الحسن بن الحسن) : ١٥١ .
- ابن السكيت : ١٤٩ .
- ابن سلام (محمد بن سلام الجمحي) : ٨٣ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ،
- ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٨١ .
- سلمى بن مالك : ١٣١ .
- سلمى بن ربيعة : ٣٣٢ .
- سلمان بن ربيعة الباهلي : ٩٨ .
- سلمة بن الحارث بن عمرو : ٥٥ .
- ابو سلمة : ١٣٩ .
- سلمى ابنة منذر : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- سليمى : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- سليمان (النبي) : ١١٦ .
- سمّك اليهودي : ١١٣ .
- السموأل بن عادياء : ١١٣ ، ٣٢١ .
- سمية (في شعر الحادرة) : ٥٩ .
- سمي (تصغير أسماء) : ٣٩٣ .
- سنان الفحل الطائي : ٢٧٢ .
- أم سنبله الأسلمية : ٣٦ .
- سهيل (نجم) : ٣٥٥ .

- سويد بن الصامت : ١٠١ .
 سويد بن أبي كاهل : ٢٩٠ ، ٣٤٣ .
 السيوطي : ١٨٥ .
 ابن سيده : ٢٧٩ .

[ش]

- ابو شبل : ٢٩٥ .
 ابن الشجري : ٢٩٤ .
 شداد بن الأسود : ١١٦ .
 شرحبيل بن الحارث : ٥٥ .
 الشريف المرتضى : ٣٤٥ .
 الشعري (كوكب) : ٩٦ .
 شقائق النعمان (ورد) : ٢٣ .
 شمسار : ٢٧١ .
 الشعري (نجم) : ٣٥٥ .
 شعبة بن الغريض : ٣٢١ .
 شكري فيصل : ١٢٢ .
 شكيب أرسلان : ١٧٠ .
 الشماخ بن ضرار الغطفاني : ٣٦٥ .
 الشميم الحلبي : ١٩٤ .
 الشنفرى الأزدي : ٢٧ ، ٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٨٨ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
 شوقي ضيف : ١٧١ ، ١٨٢ .
 الشيباني (أبو عمرو) : ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٠ .
 شيبة (عم هند بنت عتبة) : ٣١٦ .
 شيخ من هذيل : ١٤٤ .

[ص]

- صاعد الأندلسي : ٩٥ ، ١٠٣ .
صالح (النبي) : ١٥ .
صخر بن عمرو : ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٥٩ .
صرمة بن أبي أنس : ١١٠ .
ابو الصريح الكلبي : ٣٦٣ .
ام الصريح بنت أوس الكندية : ٣٦٣ .
صعصة بن ناجية : ٧٤ .

[ض]

- ابن ضبا الأسدي : ٤٦ .
ضرار بن الأزور : ٣٢ .

[ط]

- ابو طالب (عم النبي) : ١٥٦ ، ١٧٥ .
طرفة بن العبد : ٥٠ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٠١ ، ١٣٦ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .
١٧٨ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ .
٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ .
الطرماح بن حكيم : ١٤٣ .
الطفيل الغنوي : ٢٣٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧ ، ٣٦٥ .
الطفيل بن مالك : ٣٧١ .
ابو الطمحان القيني : ٢٠٣ .
طه حسين : ١٢٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
ابو الطيب اللغوي : ١٤٦ ، ١٥١ .

[ع]

- عائشة (أم المؤمنين) : ٣٦ . ٦٩ . ١٣٨ . ١٤١ .
عاصم بن أيوب : ١٨٥ .
عامر : ٢٩٧ .
عامر بن صعصعة : ٤٤ .
عامر بن الطفيل : ٤٤ ، ٣٥٨ . ٣٧١ .
عامر بن الظرب : ١٠١ . ٤٠٤ .
عامر بن مالك (ابو براء) : ٣٥٨ .
العباس بن مرداس : ٦٩ ، ٣٠٦ .
عبد الجبار المطلي : ٢٦٤ .
ابن عبد ربه : ١٧٣ . ١٨٢ . ١٨٥ .
عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب : ١٧٧ .
عبد الرحمن بن عوف : ٦٩ .
عبد الشارق بن عبد العزى : ٣٠٧ .
عبد العزى : ١١٦ .
عبد عمرو بن بشر : ٣٦٣ .
عبدالله بن أنيس : ١١١ .
عبدالله بن جدعان : ٦٨ ، ٣٤٥ . ٣٤٨ .
عبدالله بن رواحة : ١٣٨ ، ١٧٩ .
عبدالله بن الزبعرى : ٨٣ .
عبدالله بن الصمة : ٢٣١ .

- عبدالله بن عباس : ١٤١ ، ١٤٥ .
عبدالله بن علقمة : ٢٩٢ .
عبدالله بن كعب بن العجلان : ٢٩٢ ، ٣٤٦ .
عبدالله بن محمد بن المجير : ١٧٧ .
عبدالله بن محمد العبدلكاني : ٢٩٤ .
عبدالله بن معديكرب : ٢٩٨ ، ١٩٩ .
عبد شمس : ٨١ ، ٩٣ ، ١١٦ .
عبد المطلب (جد الرسول) : ٨١ ، ٩٣ .
عبد المعين الملوحي : ٣٠٧ .
عبد الملك بن مروان : ٦٢ ، ٦٥ ، ١٤٣ ، ٢٤٣ .
عبد يغوث بن صلاة : ٣٢٢ ، ٣٤٥ .
عبلة بنت مالك : ٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .
عبيد بن الأبرص : ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٣ ،
٣٩٤ ، ٤٠٤ .
عبيد بن شرية الجرهمي : ١٤٢ .
ابو عبيدة (معمر بن المثني) : ٤٨ ، ٩٠ .
عتبة (ابو هند) : ٣١٦ .
عثمان بن عفان : ٣٤ ، ٦٩ ، ٨٨ ، ٣٢٦ .
عثمان بن مظعون : ٦٩ .
العجاج : ٣٤٣ .
العجلي (ابو النجم) : ٢٤٣ ، ٣٤٣ .
عدنان (جد عرب الشمال) : ١٠٠ ، ١٦٨ .
عدي بن زيد العبادي : ٥١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٣٣٤ .
٤١٧ ، ٤١١ ، ٤٠٤ .
عروة بن الزبير : ١٤٥ .

- عروة بن الورد : ٦٠ ، ٦٢ ، ٢٠١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
- عرام بن الأصبح السلمي : ٣٦ ، ٥٨ .
- العزى (صنم) : ١٠٤ .
- العسكري (الحسن بن عبدالله) : ١٠١ .
- العسكري (ابو هلال) : ١٣٠ ، ٢٩٤ .
- ابو عفك : ١١١ .
- ابو عقيل = لبيد .
- علاف بن شهاب التيمي : ١٠٦ .
- علان الشعوبي : ٩٠ .
- علقمة بن سهل : ٣٢٥ .
- علقمة بن عبدة الفحل : ٥٤ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٦ ، ٣٤٥ .
- ٣٧١ ، ٤٠٤ ، ٤١٥ .
- علقمة بن علاثة : ٣٥٩ .
- علي بن أبي طالب : ١٤١ ، ١٤٢ .
- علي جواد الطاهر : ١٧١ .
- عمر بن الخطاب : ١٤ ، ٥٤ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٧٧ .
- ابو عمرو : ٣٠٧ ، ٣٠٩ .
- أم عمرو : ٣٣٢ .
- عمرو بن الاطنابة : ٣٠٣ .
- عمرو بن امرئ القيس : ١٧٩ .
- عمرو بن براءة : ٢٤٦ .
- عمرو بن الشريد : ٣١٥ .
- ابو عمرو الشيباني : ١٦٢ ، ٣٧١ .
- ابو عمرو بن العلاء : ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ .
- عمرو بن عدي اللخمي : ٤٩ .

- عمرو بن قميثة : ١٧٠ .
 عمرو بن قيس المرادي : ٣٢٧ .
 عمرو بن كلثوم : ٢٥ . ٢٦ . ٢٨ . ٥٠ . ٥١ . ٦٨ . ٧٩ . ١٣٦ . ١٧٠ .
 ١٧٣ . ١٧٤ . ١٧٥ . ١٧٧ . ١٨٤ . ٢٢٨ . ٢٤٥ . ٢٨٥ . ٣٠٢ .
 ٣٩٥ . ٣٠٤ .
 عمرو بن لحي : ١٠٧ .
 عمرو بن معديكرب الزبيدي : ٨٧ . ٢٩٧ . ٢٩٨ . ٢٩٩ . ٣٠٦ .
 عمرو المقصور : ٥٤ .
 عمرو بن نفييل : ٩٤ .
 عمرو بن هند : ٥٠ . ٦٨ . ١٨٤ . ٢٤٥ . ٣٦٣ .
 أم عمرو بنت وقدان : ٧٢ .
 عمرو بن يربوع : ٢٧٣ .
 عمير بن شميم = القطامي .
 عميرة بن جعيل : ١٣٥ .
 عنبرة بن شداد العبسي : ٢٦ . ٢٨ . ١٢٨ . ١٢٩ . ١٣٧ . ١٧٣ . ١٧٤ .
 ١٧٥ . ١٧٨ . ٢٢٦ . ٢٢٧ . ٢٢٩ . ٢٤٥ . ٢٥٤ . ٣٠٦ . ٣٧٠ .
 ٣٧٢ . ٣٧٤ - ٣٧٧ .
 العوام بن كعب المازني : ٣٢٧ .
 عيسى (النبي) : ٢٩ ، ١١٤ ، ١١٥ .
 العيوق (كوكب) : ٩٦ .

[غ]

- الغبراء (فرس) : ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٨٤ ، ٣٧٢ .
 الغريص (مغني) : ٣١٣ .
 غوية بن سلمى : ٣٣٢ .

[ف]

- قواد افرام البستاني : ١٧١ ، ٢٦٤ .
ابن فارس : ٢٩٤ .
فاطمة بنت المنذر : ٢٩٢ .
الفرزدق : ٧٤ ، ٧٩ ، ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ .
ابن الفريعة (حسان بن ثابت) : ١٣٣ .
ابو الفصيل : ٣٦٤ .
فون كريم : ١٠٩ .
فيلارك (لقب الروم) : ١٣ .

[ق]

- ابو قابوس (المنذر الثالث) : ٥١ ، ٥٣ .
القبالي (ابو علي) : ١٨٥ ، ٢٧١ .
قباد (ملك الفرس) : ٥٠ ، ٥٥ .
قبيصة بن ضرار : ٣٢٨ .
ابن قتيبة : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ .
قحطان (جد عرب الجنوب) : ١٠٠ .
قدامة بن جعفر : ٢٥٩ ، ٢٨٠ .
قدامة العبيسي : ٣٥٤ .
قرزل (فرس) : ٨٦ ، ٣٧٢ .
القرشي (ابو زيد) : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ - ١٧٩ .
قريط بن أنيف : ٦٤ .
قريع بن كعب : ١٣٢ .
قس بن ساعدة الأيادي : ١٠١ ، ١١٠ ، ٤٠٣ .
قصي بن كلاب : ١٠١ ، ٤٠٣ .

- القطامي (عمير بن شميم) : ٦٥ .
 ابن القطان : ١٥٣ .
 قطبة بن أوس (الحادرة) : ٥٩ .
 قطرب : ٣٧١ .
 القعقاع بن قيس : ١٣١ .
 قيس بن الخطيم : ١٧٩ ، ٣٦٠ .
 قيس بن زهير العبسي : ٣٧٢ .
 قيس بن عاصم : ٢٨ ، ١٧٠ ، ٦٩ .
 قيس بن عمرو النجاشي : ٣٤٦ .
 قيس بن مسعود المرادي : ٣٢٧ .
 ابو قيس بن الأسلت : ١٠٥ ، ١٧٩ .
 ابو قيس (عم لييد) : ٢٠١ .
 قيصر (ملك الروم) : ٥٣ .

[ك]

- كبشة بنت معديكرب : ٢٩٨ .
 كثير عزة : ١٣٦ .
 كديا (برج الجدي بالكلدانية) : ٩٦ .
 كسرى انو شروان : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٩٣ ، ١٠٠ .
 كعب الأحبار : ١١٢ .
 كعب بن الأشرف : ١١٣ .
 كعب بن زهير : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٧٠ .
 كعب بن مالك : ٦٠ ، ١٣٨ .
 ابن الكلبي (هشام بن محمد) : ٥٢ ، ١٠٧ ، ١٥٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٣٣٠ .
 ٣٧١ .
 كليب بن ربيعة : ٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣٣٠ .

الكميت : ١٤٣ .

كنانة بن عبد ياليل : ٦٤ .

ابن كيسان : ١٨٤ .

[ل]

لؤي بن غالب : ١٠١ .

المالات (صنم) : ١٠٤ - ١٠٥ .

لايل (شارلس جيمس) : ١٦٠ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٧ .

ليد بن ربيعة : ٣٩ - ٥١ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٠ - ٧٩ - ٩٣ - ٩٨ - ٩٩ .

١٠١ - ١٠٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤١ - ١٦٦ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٧ .

١٨٥ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٤ - ٢٠١ - ٢٠٧ - ٢٠٩ - ٢١٣ - ٢١٥ .

٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٣٤ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٥ - ٢٥٤ .

٢٥٥ - ٢٥٨ - ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٤٠ .

٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٧ - ٣٦٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨٢ - ٣٨٣ .

٣٨٤ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٤٠٤ - ٤١٣ .

ابن لسان الحمرة : ١٠٠ .

لقمان بن عاد : ١٠١ - ٤٠٣ .

لقيم بن لقمان : ١٠١ - ٤٠٣ .

لقيط بن زرارة : ٤٦٣ .

لميس : ٢٩٧ .

لويس شيخو : ١١٠ ، ١٦٢ .

ابو ليلى = النابغة الجعدي .

ليلى (أم عمرو بن كلثوم) : ٥١ .

[م]

مالك بن الريب : ٣٢٦ .

- مالك بن زهير : ٣١٢ .
- مالك بن العجلان : ١٧٩ .
- مالك بن مسمع : ٦٥ .
- مالك بن نزيمة : ٣٢٩ ، ٣٧٢ .
- مالك بن : ٧٣ .
- المبرد (محمد بن يزيد) : ١٦٢ ، ١٨٢ .
- المتجرودة : ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ .
- المتلمس : ٥٠ ، ٣٢١ ، ٣٧٠ ، ٣٨١ .
- متمم بن نوية : ١٥٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ .
- المتنخل الهذلي : ٣٣٥ .
- المتقّب العبدى : ٥١ ، ٢٥٦ .
- مجامع بن دارم : ١٠١ ، ٤٠٤ .
- المجبر بن عبد الرحمن : ١٧٧ .
- المحلّق : ١٣٢ ، ١٣٣ .
- محمد (النبي ، رسول الله) : ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ،
٧١ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،
١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٣١٣ .
- محمد أحمد الغمراوي : ١٧٠ .
- محمد بن اسحاق : ١٤٥ .
- محمد الجزائري : ٣٧١ .
- محمد بن حبيب : ٩٣ ، ١٤٩ .
- محمد حسين : ١٩٨ ، ٣٩٤ .
- محمد الخضري : ١٧٠ .
- محمد بن السائب الكلبي : ١٤٥ ، ١٥١ .
- محمد فريد وجدي : ١٧٠ .

- . محمد لطفي جمعة : ١٧٠ .
 . محمد بن المجير : ١٧٧ .
 . محمد بن يحيى الشاطبي : ٢٩٤ .
 . مخارق بن شهاب : ٣٤٥ .
 . مرجليوث : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ - ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .
 . مرداخ (المريخ بالكلدانية) : ٩٦ .
 . ابن المرزبان (محمد بن خلف) : ٢٩٤ .
 . المرزوقي : ٩٣ ، ١٢٩ .
 . المرقش الأصغر : ١٣٦ ، ٢٩٢ .
 . المرقش الأكبر : ٥٤ ، ١٣٦ . ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣٣١ .
 . المريخ (برج) : ٩٦ .
 . المزنوق (فرس) : ٣٧١ .
 . مزيقياء (جفنة بن عمرو) : ٤١ ، ٥٢ .
 . ابن مستطاع العنبري : ٦٥ .
 . مسحل : ٢٢٦ .
 . المسيب بن علس : ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .
 . معاوية : ١٤٢ .
 . معاوية بن ابي سفيان : ٨٠ ، ١٣٣ ، ٣٤٥ .
 . معاوية بن عمرو : ٣١٥ ، ٣٥٩ .
 . معاوية بن مالك (معود الحكماء) : ٧٩ .
 . معاوية بن معشر : ٣٢٣ .
 . أم معبد : ٣٣٠ .
 . معديكرب بن الحارث بن عمرو : ٥٥ .
 . الفضل الضبي : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ،
 . ١٧٧ .

- المفضل النكري : ٣٠٧ .
 ابو مقاتل : ٢٤٤ .
 الممزق العبدي : ٣٢٤ .
 المنخل اليشكري : ٧٠ ، ٥١ .
 المنذر بن ماء السماء : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ .
 مهلهل بن ربيعة : ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ .
 ٣٣٠ .
 موير (مستشرق) : ١٦٠ .
 الميداني : ١٤٨ ، ١٠١ ، ١٣١ .
 ابن مينيتوس : ٢٠٥ .

[ن]

- النابعة الجعدي (ابو ليلى) : ٣٤ ، ٨٨ ، ١٣٨ .
 النابعة الذبياني : ٥١ ، ٥٤ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
 ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨٦ ،
 ٣٢٠ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ .
 ناصر الدين الأسد : ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
 النجاشي (ملك الحبشة) : ٣١٨ ، ٣١٩ .
 النحاس (ابو جعفر) : ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ .
 ابن النديم : ١٥٧ .
 نسطوريوس : ١١٤ .
 نشيبة بنت محرث : ٣٣٢ .
 النضر بن الحارث : ١٠٠ .
 النضر بن شميل : ٣٧١ .
 النعام (فرس) : ٨٦ .
 نعم (امرأة) : ١٧٦ .

النعمان بن المنذر : ٤٩ ، ٥١ ، ٧٩ ، ٩٣ ، ٢٤٤ ، ٣٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
٣٤٨ .

- النعمان بن قهوس التميمي : ٣٦٣ .
- النمر بن تولب : ٢٠٣ ، ٢٧٤ .
- نوار (امرأة) : ٢٢٦ .
- نوفل (من قريش) : ٩٣ .
- نولدكه : ١٦٠ .
- النويهي (محمد) : ١٢٢ ، ٢٦٤ .
- نيكلسون : ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٨٢ .

[هـ]

- هاشم بن عبد مناف : ٨١ ، ٩٣ .
- هدبة بن الخشم : ١٣٦ ، ٣٢٦ ، ٣٤٨ .
- هرم بن سنان : ٢٨ ، ٦٧ ، ٢٥٣ .
- هرم بن قطبة : ٤٠٤ .
- هريرة : ١٧٧ ، ٢٥١ ، ٢٨٧ .
- هشام بن عبد الملك : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
- هشام بن محمد الكلبي : ١٥١ .
- ابن هشام (عبد الملك) : ١٥٧ ، ١٥٨ .
- الهطال (فرس) : ٣٧٢ .
- الهمداني : ١١ .
- هند : ٢٩٢ ، ٣٩٤ .
- هند بنت عتبة : ٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ .
- هند (أم عمرو بن هند) : ٥١ .
- هنجستنبرج (مستشرق) : ١٨٢ .
- هوار (كليمانت) : ١٦٠ ، ١٨٣ .

- . هود (النبي) : ١٣ .
- . هومل (مؤلف) : ٩٢ .
- . هوميروس : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
- . الهيثم بن عدي : ١٤٧ ، ١٤٨ .

[و]

- . وحشي (عبد بني نوفل) : ٦٠ .
- . الورد (فرس) : ٣٧٢ .
- . ورقة بن نوفل : ١١٠ .
- . الوليد بن عتبة : ٣١٦ .
- . الوليد بن عقبة : ٦٣ .
- . الوليد بن يزيد : ١٤٧ .
- . وهب بن منبه : ١١٢ .
- . ويلفر سكاون بلنت : ١٨٥ .

[ي]

- . ياقوت الحموي : ١٥ . ١٧ . ١٨ . ١٨٢ .
- . يحيى بن القطان : ١٥٣ .
- . يزدجرد الأول : ٤٩ .
- . يزيد بن حاتم : ٣٥٦ .
- . يزيد (من بني سليم) : ٣٥٦ .
- . يعقوب البرادعي : ١١٤ .
- . يوسف بن محمد الأندلسي : ٢٩٤ .

٣ - فهرس القبائل والجماعات

[أ]

- الآشوريون : ٢٧٠ .
الأحباش : ٨ ، ٦٠ ، ٩٣ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ٢٧١ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .
الأحناف : ٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ .
الأرمن : ٣١ .
الأزد : ٤٠ ، ٤١ ، ٣٥٦ .
أزد السبارة : ٤١ .
أزد شنوءة : ٤١ .
أزد عمان : ٤١ .
أسد (بنو أسد) : ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٩٩ .
أسلم : ٣٦ .
الأشعرون : ٤٢ .
أصحاب الدهر (الدهرية) : ٢٧ ، ١١٦ .
الأصنام : ٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .
أهل مصر : ٢٧٠ .
الأوثان (وثن ، وثني) : ٢٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .
الأورييون : ٩١ .

- الأوس : ٤١ ، ٥٨ ، ١١٢ ، ١٧٩ .
اولاد جعفر بن قريع : ١٣٢ .
اياد (قبيلة) : ٤٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١١٤ .

[ب]

- البابليون : ٢٧٠ .
باهلة بن أعصر : ٤٠ .
بجيلة : ١٧ ، ٤٢ ، ٤٣ .
البدو : ٧ ، ٢٤ ، ٥٧ .
البصريون : ١٤٨ ، ١٥٢ .
الباغايا : ٣٩٩ .
بكر : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ١١٤ ، ١٨٤ ، ٣٠٠ .
ابو بكر بن كلاب : ٤٦ .
البلاغيون : ٢٣٧ .
بلي (قبيلة) : ١٥ ، ٤٢ .
بهثة : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
بهاء : ٤٢ .
بنو بهدل : ١١٢ .
البيزنطيون : ١١٧ .

[ت]

- التبابعة (ملوك) : ١١٢ .
التتر : ٣١ .
الترك : ٣١ .
تغلب : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١١٤ ، ١٣٦ ، ١٨٤ ، ٣٠٢ ، ٣٤٠ ، ٣٦١ .
تميم : ١٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٧٤ ، ١١٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٦٠ ، ٣٤٥ .

تيم : ٣٢٢ .

تنوخ : ٤١ ، ٤٩ .

[ث]

ثعلبة بن عمرو : ٥٧ .

ثقيف : ٣٩ ، ٥٨ .

ثمود (قوم صالح) : ١٥ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١٥٧ .

الثوية : ١١٥ .

[ج]

الجاهليون : ٥ ، ٦ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ٦٩ .

٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٥ .

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

١٢٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ .

٢٨٣ .

جرم : ٢٠ ، ٢٠١ .

جديس : ١٧ ، ١٨ .

جذام : ١٥ ، ٤٢ ، ٥٢ .

جشم : ٦١ .

جشم بن بكر : ٣٦٢ .

جعفر بن كلاب : ٤٦ ، ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٩٧ ، ٣٤٥ .

آل جفنة : ٤١ ، ٥٢ .

جمرات العرب : ٤٧ .

الجن : ٣٤٢ .

الجنوبيون : ٢٧٤ .

جهينة : ١٥ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

[ح]

- حارثة بن عمرو : ٤١ .
حارثة بن كلب : ٩٦ .
الحبش (الحبشيات) : ٦٠ . ٩٤ .
حسل : ٦٥ .
حسيل : ٦٥ .
آل حصن : ٣٥٠ . ٣٥١ . ٣٥٢ . ٣٥٣ .
الحضر : ٧ . ٥٧ .
بنو الحلاف بن الحارث : ٣٣ . ٧٦ .
الحلول (قبيلة) : ٦٥ .
حمير : ٤٢ . ٥٤ . ١٦٣ . ١٦٨ . ٢٧٠ .
بنو حنيفة : ٤٠ .
الحواريون : ١٦٢ .
حوتكة (قبيلة) : ٤٢ .

[خ]

- خنعم : ٤٢ .
خزاعة : ٤١ ، ١١٥ .
الخزرج : ٤١ ، ٥٨ ، ١١٢ ، ١٥١ ، ١٧٩ .
الخلفاء الراشدون : ٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٢ .
خندف : ٤٣ .

[ذ]

- ذبيان : ٤٦ ، ٦٧ ، ١٠٥ .

[ر]

- ربيعة : ٤٠ .

- الرواة : ٢٨ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ٢٧١ .
 رواية السيرة : ١٤٥ .
 الروم (الرومان - الروميات) : ٨ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٠ .
 ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١٢ ، ١١٤ .
 الرقيق الأسود : ٦٠ ، ١١٤ .

[س]

- الساسانية : ٤٩ .
 الساميون : ١٠٧ .
 سعد بن تميم : ٤٠ .
 سعد هذيم : ٤٢ .
 سليم : ١٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٧٨ ، ٨٢ .
 السريان : ٣٩ .

[ش]

- شعراء عبد القيس : ١٥٠ .
 الشعوبية : ٨٩ ، ٩٠ ، ١٥١ ، ١٦٩ .
 الشعوب الآرية : ٢٠٤ .
 الشماليون : ٢٧٤ .
 الشياطين : ٣٤٢ .

[ص]

- الصائفة : ٩ ، ٢٧ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١١٥ .
 الصحابة : ٩٠ ، ٩٧ ، ١٣٩ .
 الصعاليك : ٦٠ ، ٦٢ ، ١٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٦ .

[ض]

- الضباب : ٤٦ . ٦٥ .
ضبة : ٤٠ . ٦٥ .
ضبيب : ٦٥ .
ضبيعة : ٤٠ .
الضجاعمة : ٤١ . ٤٢ . ٥٢ .

[ط]

- طسم : ١٧ . ١٨ .
طئي : ١٨ . ٤٠ . ٤١ . ٤٦ . ٢٧٢ .

[ع]

- عاد : ١٣ . ١٥٧ .
عامر بن صعصعة : ٣٩ . ٥٨ . ٩٣ . ٣٤٥ . ٣٥٧ . ٣٩١ .
عاملة : ٤٢ . ٥٢ . ١١٤ .
العباد : ١١٤ .
بنو عباد : ٣٦٣ .
العباسيون : ١٢١ . ٢٥٠ . ٣٤٠ .
عبدة الأوثان : ١٠٣ . ١٠٤ .
العبرانيون : ٩٢ . ٢٧٠ .
عبد القيس : ١٧ . ٤٠ . ١٥٠ .
عبس : ٦٢ . ٦٧ .
عبد الدار : ٤٦ .
آل عبدالله : ٣٥٣ .
بنو عبد المدان : ١٣٣ . ١٣٤ . ٣٤٦ .
بنو عبد مناف : ٤٦ .

- العييد : ٥٩ . ٦٠ . ٦١ . ١١٨ .
 بنو العجلان : ٣٤٦ .
 العجم : ٨١ .
 العدنانية (العدنانيون) : ٣٩ . ٤٣ . ١٦٨ . ٢٧٠ .
 عدوان : ٣٩ .
 عذرة : ١٥ . ٤٢ .
 العرب : في مواضع كثيرة .
 عك : ٤٢ .
 علماء الساميات : ٢٦٩ .
 عمرو بن عامر : ٤١ .
 عمرو بن يربوع : ٢٧٣ .
 آل عمران : ١٧٨ .
 عترة : ٤٠ .

[غ]

- غزية : ٦١ .
 الغساسنة : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١٩٧ .
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
 غطفان : ٣٩ .
 بنو الغوث : ٢٢٢ ، ٢٢٤ .

[ف]

- الفرس (فارس ، فارسي) : ٨ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٥٠ - ٥٥ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٢ .
 ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٦٤ .
 فزارة : ٥٣ .
 فهم : ٣٩ ، ٨١ .
 الفينيقيون : ٢٧٠ .

[ق]

- بنو قايا : ٤٠٠ .
 القحطانيون (القحطانية) : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ - ٢٧٠ .
 قريش : ٣٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١١٥ .
 ١١٦ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ٢٩٣ ، ٣٤٥ .
 قريش الأباطح : ٣٥ ، ٥٨ .
 قريش الظواهر : ٣٥ ، ٥٨ .
 القراء السبعة : ١٤٩ .
 قريظة : ١١٢ .
 القصاص : ١٤٥ .
 قضاة : ١٥ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ١١٤ ، ٣٤٨ .
 القياصرة : ١١٢ .
 قيس عيلان : ١٤ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٣٥٦ .
 قينقاع : ١١٢ .

[ك]

- الكتاب العباسيون : ٣٤٠ .
 آل كسرى : ١٢ .
 بنو كعب : ٣٤٤ ، ٣٤٦ .
 بنو كعب بن ربابعة : ٣٩ .
 بنو كلاب : ٣٤٤ .
 كلب : ٤٢ ، ٥١ ، ٥٢ .
 الكلدان (الكلدانيون) : ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٥ ، ٢٧٠ .
 كنانة : ٣٩ ، ٦٩ ، ١١٥ ، ٢٩٣ .
 كندة : ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١١٧ .

الكهان : ١٦١ .
الكوفيون : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ .

[ل]

لحيان : ٩١ .
لخم : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ١١٥ .
اللصوص : ١٤٧ .
اللغويون : ٢٨٠ .
بنو لهب : ٩٩ .

[م]

المؤدبون : ١٤٣ .
المؤرخون : ١٤٥ .
بنو مازن : ٢٩٩ .
المانوية : ٩٠ ، ١١٠ .
بنو مجد : ٣٩١ ، ٣٩٣ .
المجوس (المجوسية) : ٩ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٥ .
المخضرمون : ٣٣٦ .
المربديون : ٢٠٦ .
مدين : ١٥ .
مذحج : ٤٢ .
مرة بن عوف : ٤٦ ، ٩٦ ، ٢٢٦ .
المرتدون : ٣٢ .
المزدكية : ٥٠ ، ٩٠ .
مزينة : ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٨ .

- المستشرقون : ٣٣ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ،
 ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ .
- المسجديون : ٣٠٦ .
- المسلمون : ٢٨ ، ٣٢ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ .
- ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٦٣ .
- ١٦٥ .
- المشركون : ١١٠ ، ١٦٥ .
- بنو مصاد : ٣٥٢ .
- مضر : ٧٩ ، ٢٧٠ .
- مطاعيم الريح : ٦٣ ، ٦٤ .
- المطيون : ٤٦ .
- المعتقون : ٦٠ .
- معد : ٣٠٥ .
- المعمرون : ١٦٩ ، ٣٠٥ .
- المفسرون : ١٦٩ .
- المكيون : ١٦ ، ٨٣ .
- بنو ملكان : ١٠٨ .
- الناذرة : ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٩٢ ، ٩٣ .
- المنوفستيون : ١١٤ .
- المهاجرون : ٣٣ ، ٥٣ .
- مهرة : ٤٢ .
- الموالي : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٩ .
- المولدون : ١٢٩ .

[ن]

بنو نيهان : ٣٧٨ ، ٣٨٠

- النحاة : ١٤٥ .
النساخ : ١٧٤ .
النساطرة : ١١٤ .
النصب (اوثنان) : ٢٧ ، ١٠٩ .
النصارى : ٩ ، ٥٣ ، ٩٤ ، ١٦٢ .
آل نصر بن ربيعة : ٤١ ، ٥٢ .
بنو النضير : ١١٢ .
بنو نفييل : ٢٩٧ .
النمر بن قاسط : ٤٠ .
بنو نعيم : ٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٩٣ .
بنو نوفل : ٦٠ .

[ه]

- بنو هاشم : ١٨٣ ، ٣٦٠ .
هذيل : ٣٩ ، ٨١ ، ١٤٤ ، ٢٧٢ ، ٣٣٦ ، ٣٨١ .
هلال : ٣٩ ، ٣٩٣ .
همدان : ٤٢ .
الهنود : ٢٨ ، ٩٢ ، ٩٤ .
هوازن : ٣٩ .

[و]

- الوثنية : ٩ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ .

[ي]

- اليعاقبة : ٥٣ ، ١١٤ .

يمناٲ (ملوك اليمن) : ٥٤

اليمٲيون : ٤٩ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٢٧٠ .

اليونان : ٥٢ ، ٩٢ ، ٣٤٤ .

اليهود : ٩ ، ١٥ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٦٩ .

. ٣٠٦

٤ - فهرس المواضع والبلدان

[أ]

- . ابان : ١٩٢ .
- . الأبطحان : ٣١٦ .
- . الأبرق : ٧٢ .
- . الأبلاء : ٢٢٨ .
- . أثال : ٣٩٣ ، ٣٩١ .
- . أجأ (جبل طي) : ١٢ ، ١٨ ، ٤٠ ، ٤١ .
- . الأحساء : ١٧ ، ١٢ .
- . أحساء يمؤود : ٣٨٤ .
- . الأحقاف : ١٣ .
- . الأخدود : ١١٢ .
- . الأردن : ٥٢ .
- . إرم : ١٥ .
- . أظلم : ٢٩٥ .
- . الأعراض : ٣٩٣ .
- . افريقية : ٨٠ ، ٨٢ .
- . أقور (جزيرة) : ٤٠ .
- . اندرين : ٣٠٣ .
- . أودية الشرب : ٢٢٨ .

أوطاس : ٣٩
أيلة = العقبة .

[ب]

البادية : ٧ ، ٨ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٧٥ - ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ،
٩٧ ، ١٠٨ ، ١٤٥ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ،
٤٠٠ .

بحار : ٢٥٠ .

البحرين : ١٧ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥١ .

البحر الأحمر : ١١ ، ١٦ ، ٢١ ، ٤٢ .

البحر العربي : ١٣ .

البحر الميت : ٤٢ .

برقة شهيد : ١٩٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ .

برقة شماء : ٢٢٧ .

بريدة : ٢٠ .

البصرة : ١٧ ، ١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

البنضيع : ٢١٦ .

بطرا : ٩١ .

بطن جبث : ٢٨٣ .

بعلبك : ٢٢٨ .

بلاد العرب = جزيرة العرب .

بلاد الكلدان : ٢٧٠ .

البيت الحرام = الحرم .

بيشة (واد) : ١٧ ، ٣٩ ، ٤٢ .

البيعة (موضع العبادة) : ٩٤ ، ١١٥ .

[ت]

- تبالة (واد) : ١٧ .
تثليث : ٤٢ .
تربة : ٤٢ .
تكريت : ٧٨ .
تنوفة : ١٠٩ .
تهامة : ١٦ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٣٩١ .
تهامة اليمن : ١٦ .
توضح : ٢٢٨ .
تيماء : ١٢ ، ٤٢ ، ١١٢ ، ١١٣ .
تيمن : ٢٠١ .

[ث]

- ثبير : ٢٣٠ .
ثهمد : ٢٢٨ .

[ج]

- الجابية : ٥٢ .
الجيل الأنخضر : ١٢ .
الجبلان (أجأ وسلمى) : ٢٢٦ .
جدة : ١٦ .
الجزع : ٢٥٠ .
الجزيرة (جزيرة العرب ، بلاد العرب) : ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ،
٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
٦٠ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٩١ - ٩٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ٢٠٠ ،
٢٧٠ .

- الجفار : ٢٦٠ .
 جَلَّقَ : ٥٢ ، ٢٠٠ .
 الجهلتان : ٢١٤ .
 جَوَّ : ١٨ .
 الجواء : ٢٢٧ ، ٢٥٨ .
 الجولان : ٥٢ .

[ح]

- حائل : ١٣ .
 الحاجر : ٣٩ .
 الحبس : ١٩٢ .
 الحبشة : ٢٢ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ٢٧٠ .
 الحجاز : ١١ ، ١٥ - ١٩ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٧ ، ٧٧ ،
 ١١٢ ، ١٩٦ ، ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، ٣٩١ .
 حجر (اليمامة) : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٤٠ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
 الحجون^٢ : ٢٠٧ .
 الحماد : ١٢ .
 الحديدية : ٣٣ .
 الحديدية : ١٦ .
 حذنه : ٢٠١ .
 الحرة : ١٤ .
 حرة النار : ١٤ .
 الحرثان : ٣١٥ .
 حرس : ٢٩٧ .
 الحرم (البيت الحرام) : ٣٥ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ١٨١ .
 الحزن : ٢٢٧ .

- حس : ٣٥٨ .
الحسا : ٢١ .
حسمى : ١٥ .
حضر موت : ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٨٤ .
حضور الشيخ (جيل) : ٢٠ .
حلب : ٤٢ .
حماءة : ٤٢ .
حنين : ٣٩ .
الحوزاء : ١٦٠ .
حوران : ١٤ .
الحوض (حرة) : ١٤ .
حومانة الدراج : ٢٢٨ .
حومل : ٢٢٨ .
الحيرة : ٤١ ، ٤٩ - ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٠٠ ،
١١٤ ، ١١٥ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ .

[خ]

- الخدريية (حرة) : ١٤ .
الخط : ١٧ .
خفية : ٥٠ .
الخلصاء : ٢٢٧ .
الخليج العربي : ١١ ، ١٤ .
الخورنق : ٤٩ ، ٨٠ .
خيبر : ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ١١٢ ، ١١٣ .
خيف سلام : ٧٨ .

[د]

- الدارات : ١٢ .
دارة الآرام : ٢٠ .
دارة جلجل : ٢٠ .
ديا : ٨٤ ، ٩٣ .
الدخول : ١٤٤ ، ٢٢٨ .
دمشق : ٥٢ ، ٢٢٨ .
دمون : ٢٠ .
دهر : ٣٩١ ، ٣٩٢ .
الدهناء : ١٣ ، ١٨ .
الدوم : ٢٥٠ .
دومة الجندل : ٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ٢٠٠ .
الدير : ٩٤ .

[ذ]

- ذو المجاز : ٨٤ .

[ر]

- الرافدان (ارض الرافدين) : ١١ .
الربع الخالي : ١٢ ، ١٣ ، ٢١ .
الرجام : ٢١٣ .
رنخام : ٢٢٦ .
رضوى (جبل) : ٣٥ ، ٣٩ ، ٥٨ .
الرقط (دور معاوية) : ٨٠ .
الرقمتان : ١٩٢ ، ٢٢٨ .
رياض القطا : ٢٢٨ .

الريان : ٢١٤ .

[ز]

زيد : ١٧ ، ٤٢ .

[س]

السافلة : ١٦ .

سبأ : ٥٤ ، ٩١ ، ١١٦ .

الستار : ٢٩٥ .

سد مأرب : ٨٠ .

سدوس : ١٧ ، ١٨ .

السدير (قصر) : ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٠ .

السراة (جبال) : ١١ ، ١٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٣٣٨ .

السرطان (واد) : ١٢ ، ٢١ .

سقط اللوى : ٢٢٨ .

السقيفة : ١٤٠ .

سلع : ٢٦٥ .

سلمى (جبل) : ١٢ ، ١٨ ، ٤٠ ، ٤١ .

السماوة (بادية) : ١٢ ، ١٨ ، ٤٢ .

السمهرية : ٨٠ .

سمير : ٤١ .

السند : ٤٠ ، ١٧٦ .

سنداد : ٤٠ .

السوارقية (قرية) : ١٦ ، ٧٨ .

السوبان : ١٩٢ .

سورية : ١١ . ٢٧٠

سيناء : ١٥ .

[ش]

الشام : ٧ . ١٢ . ١٨ . ٢٠ . ٣٨ . ٤٠ . ٤٢ . ٤٨ . ٥١ - ٥٣ . ٥٦ .

٥٧ . ٨٠ - ٨٣ . ٩٢ - ٩٤ . ١٠٠ . ١١٤ . ١٩٠ . ١٩٦ . ١٩٧ .

٢٠٣ . ٢٤٩ . ٢٧٠ .

الشجر : ١٣ . ١٦ . ٤٢ . ٨٤ .

الشرب : ٢٢٨ .

الشرع : ٢٥٠ .

الشعب : ٢٦٥ .

شعب جبلة : ٣٦٣ .

الشعبتان : ٢٢٨ .

شمر (جبل) : ١٢ ، ١٩ .

شوران (حرة) : ١٤ .

الشيطان : ٣٧٨ .

[ص]

صاحة : ٣٩١ . ٣٩٢ .

صحار : ٨٤ . ٩٣ .

الصحراء العربية : ١٦٦ .

صحراء الغبيط : ٢٣٠ .

صعاند : ٢١٩ .

صعدة : ٢٩٨ .

الصفا : ٢٠٧ .

صفا المشرق : ٣٣٨ .

- الصفاح : ٢٢٨ .
الصفراء (قرية) : ٧٧ ، ٥٨ ، ٣٥ .
الصفاح : ٢٢٨ .
الصمتان : ٢٢٧ .
صنعاء : ٨٤ ، ٤٢ ، ٢٠ ، ١٧ .
صوائق : ٢٢٦ .
الصوامع : ٩٤ .
الصين : ٩٣ ، ٩٢ ، ٨٢ .

[ط]

- الطائف : ٢٠٠ ، ٨٢ ، ٧٧ ، ٥٨ ، ٣٩ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٥ .
طلخام : ٢٢٦ .

[ظ]

- ظفار : ٤٢ ، ١٧ ، ١٦ .

[ع]

- عاذب : ٢٢٨ .
عدن : ٨٤ ، ٨٢ ، ٤٢ ، ١٧ .
العراق : ١٤٣ ، ٥٦ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ١٨ ، ١٢ ، ٧ .
٢٧٠ ، ٢٤٩ ، ١٩٦ .
العروض : ٣٨ ، ١٧ .
عزور (جبل) : ٥٨ ، ٣٥ .
عسير : ٢١ ، ١٩ ، ١٧ .
العفير : ١٧ .
العقبة (ايلة) : ٤٢ ، ١٤ .

- العقيق : ٢٦٣ .
 عكاظ : ٨٤ ، ١٣٢ ، ٢٦٠ .
 العلاء : ١٥ .
 العلياء : ١٧٦ .
 عمان : ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٨٤ .
 عنيزتان : ٢٢٧ .
 عين أباغ : ٤٠ ، ٥٣ .

[غ]

- الغريان : ٥٠ .
 غزوة : ٩٣ .
 غزوان (جبل) : ١٦ ، ٢٠ .
 الغضا : ١٨ ، ٣٢٦ .
 الغور (غور تهامة) : ١٦ ، ٣٩ .
 الغول : ٢١٣ .
 الغيليم : ٢٢٧ .

[ف]

- فارس (بلاد فارس) : ٨١ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٠ .
 فتاق (ذو) : ٢٢٨ .
 فذك : ١٥ ، ٢١ ، ١١٣ .
 الفرات : ٤٠ ، ٤٩ .
 الفرع : ٥٨ ، ٧٨ .
 فرغانة : ١٥٠ .
 فلج : ٣٩ ، ٢٥١ .
 فلسطين : ١١ ، ٤٢ ، ١١٧ .

فيد : ٤١ ، ٢٢٦ .

فينيقية : ٢٧٠ .

[ق]

قاصرين : ٢٢٨ .

قدس وآرة (جبل) : ٣٩ .

القدسين (جبل) : ٥٨ .

قرح (مدينة) : ١٥ .

القسطنطينية : ٥٣ .

قصر الهاجري : ٣٦٦ .

القصيم : ١٨ .

قطر : ١٤ ، ١٧ ، ٤٠ .

القطيف : ١٧ .

القلزم : ١٦ .

القنان : ١٩٢ .

القهر : ٨٧ ، ٢٢٦ .

[ك]

كاظمة : ١٧ .

الكعبة : ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

. ١٨٣

الكوفة : ٤٩ ، ١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٤٦ - ١٥٠

. الكويت : ١٧ .

. اللوبة (اللابة) : ١٤ .

. ليلي (حرة) : ١٤ .

[م]

- . ١٩٢ : متالع
. ٢٢٨ ، ٢٢٧ : المتثلّم
. ٨٤ : مجنة
. ٢٣١ ، ٢٣٠ : المجيمر
. ٢٢٦ : محجر
. ٢٢٨ : الحياة
. ١٨ : المحيط الهندي
. ١٦ ، ١٥ : مدائن صالح
. ١٥ ، ١١ : مدين
. المدينة (يثرب) : ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٣
. ٥٨ ، ٧١ ، ٧٥ - ٨٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٠٠
. المربرد : ٣٥٠
. مرّ الظهران : ٤١
. مسجد الرسول : ١٣٩ ، ١٤٠
. المساجد : ١٤٥
. المشرق : ٣٣٨
. المشقر : ٨٤ ، ٩٣
. مصر : ٢٧٠ ، ٣٣٦
. المعزاء : ٢٩٧
. معين : ٩١
. المقرأة : ٢٢٨
. مكة : ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٦
. ٨٠ - ٨٤ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ٢٠٠
. ٢٠٧ ، ٢٧٠ ، ٣١٣

- الملحين : ١٦٢ .
منى : ٢١٣ . ٣٩١ . ٣٩٣ .
منفوحة : ١٧ . ١٨ .
مهرة : ١٦ . ٢١ .
الموصل : ٩٤

[ن]

- نهبان (جبل) : ٥٨ .
نجد : ١٢ . ١٥ - ٢٠ . ٢٢ . ٣٦ . ٣٨ . ٣٩ . ٤٠ . ٤١ . ٤٨ . ٥٤ .
٥٥ . ٨٤ . ٣٩١ . ٣٩٢ .
نجد السافلة : ١٨ .
نجد العالية : ١٨ .
نجران : ١٧ . ٤٢ . ٨٤ . ١١٢ . ١١٤ .
نعاف صارة : ١٩٢ .
النفود (صحراء) : ١٢ ، ١٨ .
نهاء صعائد : ٢١٩ .

[هـ]

- هجر : ١٧ . ٤٠ . ٨٤ .
الهند : ٨٢ . ٩٢ . ٩٣ . ٣٦٣ .

[و]

- وادي الرمة : ١٧ . ٢٠ .
وادي القرى : ١٥ . ٢١ . ٤٢ . ٧٧ . ١١٢ . ١١٣ .
واقم (حرة) : ١٤ .
وجرة : ٢١٠ . ٢١١ .

- . الوجه : ١٦ .
- . وحاف القهر : ٢٢٦ .
- . الوفاء : ٢٢٨ .
- . ورقان (جبل) : ٥٨ .
- . الوشوم : ١٨ .

[ي]

- . يبرين (رملة) : ٤٠ .
- . يثرب = المدينة .
- . اليمامة : ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ٢٠٣ .
- . اليمن : ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٧٥ .
- . ٨٠ - ٨٣ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٩٠ .
- . ١٩٦ ، ٢٣٠ .
- . ينبع : ١٦ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٧٨ .

٥ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الباب الأول : الجاهلية
١٠ - ٥	مقدمة
٢٣ - ١١	تمهيد : بلاد العرب
٢٧ - ٢٤	الفصل الأول : عرب الجاهلية
	الجاهلية - مفهومها - الجاهلية كما وردت في القرآن - في الحديث - في الشعر - معنى الجاهلية - زمنها - العرب والأعراب - تحديد المفهوم - الأعراب في القرآن - مع رسول الله - نظرهم الى الدين الاسلامي - نظرة المسلمين الى الأعراب - لكل قبيلة حاضرة وبادية - اختلاط البدو بالحضر .
٥٦ - ٣٨	الفصل الثاني : الحياة السياسية
	تحديد العصر - مواطن القبائل في الجزيرة - القبائل العدنانية ومنازلها - سكان الحجاز - نجد - اليمامة - البحرين - العراق - القبائل القحطانية - هجرتهم - سكان الشام - الحجاز - نجد - العراق - القبائل المقيمة في اليمن - النظام القبلي - القبيلة وحدة سياسية واجتماعية - تكوين القبيلة - الرئيس وصفاته - أفراد القبيلة والتزاماتهم - العصية - صلات القبائل - الحلف والجوار - أسباب

الصفحة

الحلف - صلوات الحرب - أيام العرب - الامارات العربية -
المناذرة وملوكهم - الغاسنة وملوكهم - مملكة كندة .

٨٨ - ٥٧

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية

البدو والحضر - طبقات المجتمع - أبناء القبيلة - الموالي - العيد -
العصبية القبلية - المثل العربية - الكرم والشجاعة والنجدة -
تمجيد القوة - الثأر - حلماة الجاهلية - آفات اجتماعية - الخمر -
الميسر - النساء - المرأة ومكانتها - أعمالها - مكانتها عند الشعراء -
الاسلام والمرأة . معاش العرب - تفاوتهم في الرزق - موارد
الحاضرة - الزراعة - الصناعة - التجارة - قريش والتجارة -
قوافلها وتجارها - الأسواق - انتشارها في الجزيرة - موارد البادية -
الإبل - الخيل - الصيد - الغزو - فقر البادية - حنين العرب إلى
البادية .

١٠٢ - ٨٩

الفصل الرابع : الحياة العقلية

صورة خاطئة عن العصر - التعصب الديني - الشعوبية - حضارة
العرب الجنوبية - الجاهلية الأولى - صلتهم بالأمم المجاورة - وسائل
الاتصال - الأسواق - الأسفار - الوفادات - الجاليات الأجنبية .
علوم العرب - النجوم - الأنواء - الطب والبيطرة - الفراسة
والقيافة - الأنساب - التاريخ والأخبار - الحكم والأمثال -
طبيعة الحكم العربية .

١١٨ - ١٠٣

الفصل الخامس : الحياة الدينية

مفهوم الشرك - إيمان الجاهلين بالله - الأصنام - دخولها مكة -
ضعف الإيمان بالدين عند الأعراب - أديان الجزيرة - الحنيفية -

الصفحة

اليهودية - مواطن اليهود في الجزيرة - مدى أثرهم في العرب -
النصرانية - القبائل النصرانية - أديان أخرى - فترة الارهاص
والتطلع الى الدين الجديد .

الباب الثاني الشعر الجاهلي

١٢٧ - ١٨٦

الفصل الأول : قضايا الشعر الجاهلي

قدم الشعر الجاهلي - نضجه واكتماله - مكانته في النفوس - أثره
في الحياة العربية - أثره في فعل الخير - أثره في فعل الشر -
منزلة الشاعر - رواية الشعر - اتصال الرواية في الاسلام -
ازدهارها في العصر الأموي - المؤدبون - الرواة وجمع الشعر -
مدرسة الكوفة والبصرة - رواية الكوفة - رواية البصرة - خصائص
المدرستين .

١١٥

الانتحال :

تنبيه القدماء الى الشعر المنتحل - ابن سلام الجمحي - ابن هشام -
ابن النديم - المستشرقون - أهم آرائهم - من رد عليهم - العرب
المحدثون - طه حسين وكتابه في الشعر الجاهلي - أهم الردود عليه .

١٧٣

المعلقات :

قيمتها الأدبية - عددها - شعراؤها - أسماؤها - قصة تعليقها
وكتابتها - شروح المعلقات - سبب العناية بها .

٢٧٥ ١٨٩

الفصل الثاني : خصائص الشعر الجاهلي

١٨٩

الطابع البدوي

١٩٩

الواقعية والوضوح

٢١٣

التصوير

الصفحة

٢٤١

بنية القصيدة :

المطلع - التخلص - الخاتمة - الوحدة الموضوعية - لغة الشعر الجاهلي .

٢٧٩ - ٤١٧

الفصل الثالث : فنون الشعر الجاهلي

٢٧٩

الغزل :

الغزل والنسيب والتشبيب - عاطفة الغزل - افتتاح القصائد بالغزل - المرأة - مقاييس الجمال - الغزل الحسي - وصف الأعضاء - وصف المحاسن الخلقية - وصف ما يلقاه العاشق - الشعراء وقصص الحب .

٢٩٣

الحماسة :

معنى الحماسة - قوة شعر الحماسة - وصف المارك - شعر البطولة - سبي النساء - المرأة وتحريض المقاتلين - أثرها في إدامة الحرب - الفخر - التمدح بالفضائل النفسية - أشهر قصائد الفخر - الفخر بالقبيلة - المبالغة - المنصفات - شعراء الأنصاف .
الرثاء

٣١١

أنواعه - الندب - التأين - العزاء - براعة النساء في شعر الرثاء - الخنساء - هند بنت عتبة - جزع المرأة - جزع بعض الرجال - رثاء النفس - من رثى نفسه - صلة الرثاء بالحكمة - رثاء الزوجات - بدء قصائد الرثاء بالحكمة - ألفاظ تتكرر في الرثاء - الرثاء وذكر المرأة - الحديث عن العين والدموع - رثاء الأولاد .

٣٣٩

الهجاء :

تعبير عن عاطفة السخط - صلته بالحروب - الاضحاك من

الصفحة

الخصوم - أثر العصبيات القبلية - الهجاء والسحر - شياطين الشعراء - الخوف من الهجاء - أثره في نفوس العرب - الأشراف أكثر تعرضاً للهجاء - الهجاء دفاعاً عن القبيلة - أصدق الهجاء - الهجاء العفيف - الهجاء المقذع - المقارنة والمخايرة - ترفع بعض الشعراء عن الهجاء - أسلوب الهجاء وخصائصه - أبرز شعراء الهجاء - النساء وشعر الهجاء .

٣٦٥

الوصف :

وصف الحيوان - الناقة - الفرس - الثور والبقرة - حمار الوحش - حيوانات أخرى - الصيد - وصف الطبيعة - الليل والسحاب والبرق - مجالس اللهو - وصف الخمر - القيان - خصائص الوصف .

٤٠٣

الحكمة :

طبيعة الحكمة - الحكمة والفلسفة - أشهر الحكماء - نضج الحكمة الجاهلية - شعراء الحكمة - لييد - زهير - طرفة - عدي بن زيد - الحكمة وقضايا الحياة الكبرى - الحكمة وأخلاق الناس .

مصادر البحث ومراجعته .

٥٠٩ - ٤٣٥

فهارس الكتاب :

٤٣٧

١ - فهرس الشعر

٤٥٣

٢ - فهرس الأعلام

٤٧٩

٣ - فهرس القبائل والجماعات

٤٩١

٤ - فهرس المواضع والبلدان

٥٠٥

٥ - فهرس الموضوعات

من كتب المؤلف

- ١ - الاسلام والشعر بغداد ١٩٦٤
- ٢ - شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه بغداد ١٩٦٤ ، بيروت ١٩٨٠
- ٣ - ديوان العباس بن مرداس السلمي بغداد ١٩٦٨
- ٤ - الجاهلية بغداد ١٩٦٨
- ٥ - شعر النعمان بن بشير الأنصاري بغداد ١٩٦٨
- ٦ - شعر عروة بن أذينة بيروت ١٩٧٠
- ٧ - لبيد بن ربيعة العامري بيروت ١٩٧٠ ، الكويت ١٩٨٠
- ٨ - شعر المتوكل الليثي بيروت ١٩٧١
- ٩ - شعر الحارث المخزومي النجف ١٩٧٢
- ١٠ - الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه بيروت ١٩٧٢ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨١
- ١١ - شعر عبدة بن الطبيب بيروت ١٩٧٢
- ١٢ - شعر عبد الله بن الزبير الأسدي بغداد ١٩٧٤
- ١٣ - شعر أبي حية النميري دمشق ١٩٧٥
- ١٤ - شعر عمرو بن شأس الأسدي النجف ١٩٧٦
- ١٥ - شعر عمر بن لجأ التيمي بغداد ١٩٧٦
- ١٦ - الحيرة ومكة (ترجمة عن الانكليزية) بغداد ١٩٧٦
- ١٧ - ديوان الطغرائي (بالاشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر) بغداد ١٩٧٦
- ١٨ - شعر هذبة بن الخشرم العذري دمشق ١٩٧٦
- ١٩ - أصول الشعر العربي (ترجمة عن الانكليزية ، بيروت ١٩٧٨ ، ١٩٨٠
- ٢٠ - شعر عبدالله بن الزبيري القاهرة ١٩٧٨ ، بيروت ١٩٨١
- ٢١ - شعر خدّاش بن زهير دمشق ١٩٨١
- ٢٢ - قصائد جاهلية نادرة بيروت ١٩٨١

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com